الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران السانية

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية قسم التاريخ وعلم الآثار

المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس

(138-483هـ/755-1090م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة الأندلس

من إعداد الطالب:

محي الدين صفي الدين

تحت إشراف:

أ. د عبد القادر بوباية

المشرف المساعد:

د. عبيد بوداود

أعضاء لجنة المناقشة:

د. فاطمة بلهواري- جامعة وهران..............................رئيسًا

أ.د عبد القادر بوباية- جامعة وهران.................مقررًا ومشرفًا

د. عبيد بوداود- م.ج معسكر..........................مقررًا مساعدًا

د. لخضر عبد اللي- جامعة تلمسان..........................مناقشًا

السنة الجامعية 1428-1429هـ/2007-2008م

بسم الله الرحمن الرحيم

لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِين لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ولَمْ يُخرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِين.إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُم فأولئك هُمُ الظَّالِمُونَ.

سورة الممتحنة

الآية 8 و9

إهداء

- إلى الوالدين الفاضلين اللذان منحاني الدعم بدعواتهما الصالحة.
- إلى شريكة حياتي التي وقفت إلى جانبي في الأوقات العصيبة.
- إلى أبنائي الذين لم يبخلوا علي بمساعداتهم كلما احتجت إلى ذلك.
- إلى الأخ الكريم الذي وجدت فيه المحفز والمساند.
- إلى الأخوات اللواتي كثيرا ما ترقبن انتهاء هذا العمل.
- إلى كل مسلم في أنحاء المعمورة.

كلمة شكر وعرفان

لم يكن بوسعي أن أنهي هذا العمل لولا عناية الله سبحانه وتعالى أولا، ثم المساعدة التي تلقيتها من الأستاذ الدكتور عبد القادر بوباية، الذي قبل الإشراف علي، وظلّ يدّعني دعًّا لإتمام هذا العمل، ولم يبخل علي بمساعداته وتوجيهاته، وتحملني طوال هذه السنوات.

كما لا يفوتني بهذه المناسبة أن أتوجه بالشكر الخالص إلى السادة الأساتذة الذين أشرفوا على تكويننا خلال السنة النظرية، وهم الدكتور محمد بن معمر، والدكتور عبيد بوداود، والدكتورة فاطمة بلهواري، والدكتور غازي جاسم الشمري والأستاذة سعاد عيساوي، والذين لم يبخلوا علينا بمعارفهم ونصائحهم وإرشاداتهم.

كما لا يفوتني أيضا، أن أقدم شكري إلى كل زملائي في الدفعة، الذين ساعدوني، كل حسب ما تيسر له من إمكانات، وعلى رأسهم الأخ الفاضل طارق وراد.

جزى الله عني كل من ساعدني على إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

* الفصل الثاني: مكانة المستعربين ودورهم في المجتمع الأندلسي

أ) أوضاع المستعربين في ظل السلطة الإسلامي

ب) مكانة المستعربين في المجتمع الأندلسي

ج) دور المستعربين في المجتمع الأندلسي

- الدور الإيجابي
- الدور السلبي

وجد المسلمون عند فتحهم الأندلس، غالبية سكانها نصارى؛ فأمنوهم على أرواحهم وممتلكاتهم وديانتهم ومعابدهم، وعرضوا عليهم الإسلام؛ فقبله بعضهم بينما ظلّ عدد كبير منهم على نصرانيتهم.

ظلّ النصارى يشكلون مجموعة بشرية هامة في الأندلس الإسلامية، إذ تمتعوا بحقوق وامتيازات عديدة، وبخاصة خلال الحكم الأموي، أي من سنة 138 إلى سنة 422هـ/755-1031م، وبعد سقوط الخلافة الأموية حافظ النصارى على نفس الحقوق إلى نهاية القرن الخامس الهجري (11م)، تاريخ بداية حروب الاسترداد ونهاية ملوك الطوائف، وظهور مصطلح المستعربين كإشارة إلى هذه الطائفة.

فمتى تمّ استعراب نصارى الأندلس؟ وما هي الخصائص التي تميزوا بها عن بقية الطوائف الأخرى المكونة للمجتمع الأندلسي؟ وهل كان لهم زيٌّ مميز؟ وهل كانت لهم مواطن خاصة بهم؟ وهل كانت لهم أعيادهم الخاصة؟ وإذا كان الأمر كذلك؛ فهل كانوا يحتفلون بها بكل حرية، أم كانوا يمنعون من ذلك؟ وما كان موقف المسلمين من هذه الأعياد؟

ثم ما هي المكانة التي كانت لهم في المجتمع الأندلسي؟ فهل أشركهم المسلمون في حكم البلاد، أم أقصوهم وهمشوهم؟ وهل سلبوا منهم حقوقهم واضطهدوهم وفرضوا عليهم الإسلام قصرًا، وصادروا منهم ممتلكاتهم ومعابدهم، أم أنهم منحوهم حقوقهم المدنية والدينية كاملة، وتركوا لهم معابدهم وخيروهم بين اعتناق الإسلام أو البقاء على ديانتهم المسيحية؟

وأخيرًا، فيم تمثل دورهم في المجتمع الأندلسي؟ وهل كان هذا الدور في مستوى المكانة التي منحت لهم؟ أم أنهم ساهموا في تقويض الحكم الإسلامي في الأندلس؟

هذه بعض التساؤلات التي سنحاول الإجابة عنها من خلال هذا البحث الذي يدور موضوعه حول المستعربين ودورهم في الأندلس خلال الحكم الأموي وملوك الطوائف(138-483هـ/755-1090م).

لقد حظي موضوع هذه الدراسة بعناية عدد من المؤرخين الغربيين، وبخاصة منهم الأسبان الذين كان لهم السبق في تناول المستعربين بالدراسة، ولذلك كانت أعمالهم المرجع الرئيس الذي استند إليه كل من كتب بعدهم عن هذه المجموعة، وأهم الدراسات التي أنجزت في هذا الموضوع:

1- العمل الهام الذي قام به سيموني، والمتمثل في مؤلفه الضخم الموسوم بـ"تاريخ مستعربي إسبانيا"[1] الذي تناول فيه تاريخ المستعربين منذ أن وطئت أقدام الفاتحين المسلمين أرض الأندلس سنة 92هـ/711م إلى غاية سقوط غرناطة في يد المسيحيين سنة 897هـ/1492م.

2- كتاب إيسيدرو دي لاس كاخيغاس المعنون بـ"الأقليات الإثنية والدينية في العصور الوسطى الإسبانية: المستعربون"[2] الذي تناول فيه هو الآخر طائفة المستعربين بالدراسة، منذ دخول الفاتحين المسلمين الأندلس، إلى غاية سقوط طليطلة في أيدي المسيحيين سنة 478هـ/1085م.

إضافة إلى هذين الكتابين، صدر عدد من المقالات في المجلات العلمية التاريخية بعضها باللغة العربية، والبعض الآخر بلغات أجنبية، نذكر منها:

1- مقالة للمؤرخ الإسباني ميكيل دي ايبالزا بعنوان: "المستعربون: أقلية مسيحية مهمة في الأندلس المسلمة"[3]، وتناول فيها التطور التاريخي للمستعربين داخل المجتمع الأندلسي، ويرى أن عددًا منهم كان مضطرًا إلى التحول الاضطراري إلى الإسلام.

2- ومقالة أخرى لنفس المؤرخ مترجمة إلى اللغة الفرنسية بعنوان:

1-Simonet Francisco Javier: Historia de los Mozarabes de Espaňa, segunda edicion, Oriental Press, Amsterdam, Netherlands, 1967.

2- Isidro de las cagigas: Minorias Etnico–Relgiosas de la Edad Media Espanola "los Mozarabes", Instituto de Estudios Africanos, Madrid, tomo 1, 1947, tomo 2, 1948.

äã ¡íâæÏ ÈæÞÚí ÉãÌÑÊ¡ÉãáÓãá ÓáäÃ ÍÝÉãåã ÉíÍÓã ÉáÞ : : ’g ¿”„”-3 1999 2 Y'Wx.T.Xgc •.T.Z UI T g j „i ˆ “ I •”` .T.I T r ÌãáÓ Úãì ¡ÓáäÃ íÝÉ ÈÑÚâ .265-233 o p

«Les Mozarabes état de la question»[1] يؤكد فيها على النظرية التواصلية، أي أن المسيحيين الذين وجدوا بالأندلس منذ الفتح الإسلامي عايشوا المسلمين، واستطاعوا رغم استعرابهم، الصمود أمام التأثير القوي للإسلام كدين وحضارة، والحفاظ على شبه جزيرة إيبيريا مسيحية.

3- مقالة للمؤرخة الإسبانية مارغريتا لوبيث غوميث بعنوان: «المستعربون: نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس»[2]، تطرقت فيها بكل موضوعية إلى وضع المستعربين في المجتمع الأندلسي، والمكانة التي حضوا بها، والدور الهام الذي لعبوه في نقل الحضارة العربية الإسلامية من الأندلس إلى العالم المسيحي عن طريق الهجرات وعمليات الترجمة.

4- مقالة لبيير غيشار بعنوان: "مستعربو بلنسيه بين التاريخ والأسطورة"[3]، وناقش فيها آراء بعض المؤرخين المتعصبين مثل سيموني وايزيدرو دي لاس كاخيغاس، والفرنسي هنري بيريس (Henri Peres)، الذين تبنوا النظرية التواصلية؛ فدحضها بأدلة تاريخية واستنتاجات منطقية، ولذلك تعتبر هذه المقالة من المقالات ذات القيمة العلمية الكبيرة التي تعرّضت بالدراسة للمستعربيين.

5- مقالة لعبد القادر عثمان محمد جاد الرب تحت عنوان: "المستعربون في عصر ملوك الطوائف بالأندلس (403-486هـ/1012-1093م)"[4]، وتناول صاحبها بالدراسة، أصل ومدلول كلمة" مستعربون"، ثم أعطى صورة عامة عن أوضاعهم الاجتماعية، وأشار بعد ذلك إلى حركة الاسترداد النصرانية، وموقف المستعربين منها.

---

1 -Mikel de Epalza: Les Mozarabes état de la question ,traduction Française d'André Bazzana, revue du Monde Musulman et de la Méditerranéée, N° 63-64, edisud, Aix en Provence , France, 1992 pp 39- 47.

2- [illegible] : [illegible] : [illegible] 1999 2 [illegible] o p 267-283.

3-Pierre Guichard: Les Mozarabes de Valence entre l'histoire et le mythe, revue de l'occident Musulman et de la mediterrannee, N40, 1985, pp 17- 27.

4- [illegible] : [illegible] (403-486 / 1012-1093 [illegible] 25 1424 /2003 p o 249–274.

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى كتاب «فجر الأندلس» لصاحبه حسين مؤنس، والذي تناول فيه بالدراسة تاريخ الأندلس خلال مرحلة الولاة 92– 138هـ/711-756م، وخصّ النصارى بجزء هام من دراسته القيمة[1].

هذه إذا هي أهم الكتب والمقالات التي تناولت هذه الطائفة بالدراسة، والتي كان أغلبها من إنتاج مؤرخين غربيين، وبخاصة منهم الأسبان الذين لم تخلُ كتاباتهم من انتقادات لاذعة للإسلام والمسلمين، وشتائم للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وتشويه للحقائق التاريخية، وتعصب مفرط للمسيحية؛ فكان ذلك من بين دوافع اختياري لهذا الموضوع، والتي منها:

1- محاولة الرد على ادعاءات المؤرخين الغربيين الذين مجدوا المستعربين واعتبروهم حماة الدين المسيحي والثقافة الأيبيرية، كما كالوا للإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم وأتباعه الشتائم والتهم وهم منها براء.

2- التعريف بهذه الطائفة، وتوضيح خصائصها ومميزاتها ومكانتها في المجتمع الأندلسي، والدور الحقيقي الذي لعبته فيه، وبخاصة دورهم السلبي الذي يتعمّد أغلب المؤرخين عدم الإشارة إليه، كما يكتفي المؤرخون العرب عند تطرقهم للمستعربين بذكر مكانتهم المرموقة في المجتمع الأندلسي وعلاقاتهم الجيدة بالمسلمين.

ومن أجل استيفاء البحث حقه من الدراسة قسمنا هذه المذكرة إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

المقدمة: وتتضمن عرضا عاما للموضوع، والأسباب التي دفعتني إلى اختيار موضوع البحث، ونقد المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في انجازه، والمنهج الذي اتبعته للوصول إلى بعض الحقائق.

التمهيد: وتعرضت فيه إلى العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي، كما حاولت إبراز الفروق الطبقية فيه، بدراسة الطبقات الثلاث المكونة له (الخاصة، الوسطى، العامة) كل على حدى.

%‰-1 ÑÌÝ: ¡ÓáäÑÏ ÝíÊÇÑÎ ÇáÓáäã ÇáÊÍ ?Óáã ÇÌÞÇ ÇÏãäÇ ÊÇÃ?ãÇ É (711-756م ...ÒÌ 2 1405 /1985.

الفصل الأول: بدأته بمناقشة مصطلح "المستعربين"، ثم حاولت تحديد تاريخ تقريبي لظهورهم في المجتمع الأندلسي، وأوضحت الأسباب التي ساهمت في هذا الظهور، ثم انتقلت إلى تحديد الأصول التي ينتمون إليها، وأبرز مواطن استقرارهم في الأندلس، وطبيعة أزيائهم، وأهم الأعياد التي يحتفلون بها وطريقتهم في ذلك.

الفصل الثاني: وتعرضت فيه إلى أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية في ظل الحكم الإسلامي، ثم إلى مكانتهم في المجتمع الأندلسي، وأخيرا إلى الدور (الإيجابي والسلبي) الذي لعبوه في هذا المجتمع.

وأمام قلة المادة المتعلقة بالمستعربين في المصادر، اضطررت إلى اعتماد المنهج الاستقرائي الإستنتاجي، وذلك بأخذ معلومة أو مجموعة من المعلومات، ومحاولة استنتاج حقائق غير مصرّح بها، كما لجأت إلى المنهج المقارن بعرض نص على آخر قصد استخلاص النتائج.

ولتغطية شح المصادر بالمعلومات المتعلقة بهذا الموضوع، وجدت نفسي مضطرا إلى الاعتماد أيضا على المراجع الإسبانية والفرنسية، التي كثيرا ما تبتعد عن الموضوعية، ولذا توخيت الحذر في الأخذ بنصوصها.

وأثناء إنجازي لهذا العمل، واجهتني مجموعة من الصعوبات كان أبرزها:

1- ندرة المادة المتعلقة بالمستعربين في المصادر العربية، ولا يعود ذلك إلى قصورها كما ذهب إليه عدد من المؤرخين الإسبان مثل ميكيل دي إيبالزا[1]، بل يعود إلى الدور الثانوي الذي لعبته هذه الطائفة في المجتمع الأندلسي، والدليل على ذلك، عدم وجود وثائق مسيحية، لاتينية كانت أو عربية، أشارت إليهم قبل سقوط طليطلة في أيدي المسيحيين سنة 478هـ/1085م، لذلك حاولت الإستفادة من الملاحظات العرضية الموجودة في عدد محدود من المصادر العربية، والتي تكتفي عادة بإيراد تمرداتهم السياسية أو طرائف عنهم.

2- نقص الدراسات العربية المتعلقة بهذه الطائفة حسب علمي، مع نزر قليل من المقالات المنشورة في بعض المجلات، علما أن بعضها مترجم من لغات أجنبية.

1- ’g¿"„" : [illegible] Õ 250.

3- أهم الدراسات المتعلقة بالمستعربين مكتوبة باللغة الإسبانية، وأقصد هنا كتابي سيموني وإيزيدرو دي لاس كاخيغاس، ونظرا لقصر باعي في هذه اللغة؛ فقد استغرق مني قراءتها وفهمها وقتا طويلا.

4- عدم توفر نسخ من الكتابين سابقي الذكر في مكتبات مدينة وهران والمدن المجاورة لها، مما اضطرني إلى التنقل مرات عديدة إلى الجزائر العاصمة بحثا عنهما، وأسعفني الحظ في العثور عليهما بعد جهد مضن ووقت طويل.

<u>عرض ونقد المصادر والمراجع:</u> اعتمدت في إنجاز هذا العمل على عدد من المصادر التي استخرجت منها إشارات عارضة وغير مقصودة إلى المستعربين أو إلى شأن من الشؤون المتعلقة بهم، وما رأيت أنه يخدم موضوع البحث، كما اعتمدت على عدد من المراجع الأجنبية والعربية التي تناولت طائفة المستعربين بالدراسة، سواء كان ذلك طيلة الحكم الإسلامي للأندلس، أو لفترة من فتراته.

<u>أ- المصادر:</u> تنوعت المصادر التي اعتمدت عليها في إنجاز هذا العمل، من كتب التاريخ وكتب التراجم وكتب الجغرافية والكتب الفقهية.

1- كتب التاريخ:

* كتاب "**المقتبس**" لابن حيان القرطبي: وهو أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان المتوفي سنة 469هـ/1076م.

أرخ فيه صاحبه للأندلس منذ فتحها إلى أواخر القرن الرابع الهجري (10م)، وهو عبارة عن اقتباسات من مؤلفات، أصبح أغلبها في عداد المفقود، وهذا ما زاد من أهمية الكتاب وقيمته العلمية، إلا أن ابن حيان كثيرا ما يظهر ميله للأسرة الأموية الحاكمة، وجملة ما وصلنا من المقتبس، خمس قطع منفصلة زمنيا، ومتفاوتة الحجم، كل قطعة تناولت فترة زمنية من تاريخ الحكم الأموي بالأندلس.

- القطعة الأولى: وهي **السفر الثاني من كتاب المقتبس**[1]، وحوى الأحداث التي شهدتها الأندلس من سنة 180 إلى 232هـ/796-846م، أي عهد الحكم الربضي

\ •cW/.¿p ”~ ƒ †.T.j „i ˆ “ „ˆ “ †w g•ˆcˆ €”,c[k W/ˆ.T.VU/„ ‰ “ ŠU/.T.i ǂ:.T. %W/
. .Ï ¡É ã?Ó?Ç ÊÇÓÑÏâæ

كاملا(180-206هـ/796-821م)، وجزءا هاما من عهد ابنه عبد الرحمن الثاني(206-232هـ/822-846م).

- القطعة الثانية: بعنوان **"المقتبس من أنباء رجال الأندلس"**[1]، وتضمنت أهم الأحداث التي شهدتها الأندلس من سنة 232 إلى 267هـ/846-880م، أي السنوات الأخيرة من عهد عبد الرحمن بن الحكم، وجزءًا هاما من عهد ابنه محمد (238-273هـ/852-886م).

- القطعة الثالثة: ونشرت بعنوان **"المقتبس في تأريخ رجال الأندلس"**[2]، وتضمنت الأحداث التي وقعت على عهد الأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ/888-912م).

- القطعة الرابعة: نشرت تحت عنوان:**"المقتبس"**[3]، وتؤرخ للأحداث الواقعة فيما بين سنوات 300-330هـ/912-941م، أي لجزء هام من عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله (300-350هـ/912-961م).

- القطعة الخامسة: نشرت بعنوان: **"المقتبس في أخبار بلد الأندلس"**[4]، وتعالج خمس سنوات 360-364هـ/971-974م من عهد الحكم المستنصر (350- 366هـ/961-976م)، وتتضمن هذه القطعة تفاصيل عن العلاقات السياسية بين الأندلس والممالك المسيحية في الشمال، ودور المستعربين فيها.

أفادني هذا المؤلف كثيرا لاحتوائه عددا كبيرا من الوقائع والأحداث والأخبار المختلفة، وبخاصة القطعة الثالثة منه، والتي تطرق فيها صاحبها إلى الثورات التي شهدتها الأندلس على عهد الأمير محمد، والتي شارك المستعربون في عدد منها، كما أن القطع المتبقية الأخرى لم تخل من إشارات إلى نصارى الأندلس.

%1 k W:.T. ¡ÊæÑ Ê¡ íÑÚá ÈÇÊá ÑÇÏ ¡íß íáÚ ÏæãÍã ÞÍÊ¡ÓáäÇ áÇÌÑ ÁÇÈäà 1393 / 1973 .

%2 : ÈÇÊß ÎÑÃÊ íÝÓÈÊãá ÈÇÌÑ ÁÇÈäà ÓáäÇ È?Ç åÑÔã ãæÑÔáÇ ...k „Š i.T.W “ 1937. k ”i W

%3 k W:.T. Šn ik W gi• ¡ áÚåÏ ?ÇÊãÇ íáÚÑ íÇäÊíÑ ÞÇ ¡ÓáÇ Ý ?ÇÏÈÈåÇÑÃ

%4 : áÊãÊÝ ÍÞ ÑÇÊÎ ÏáÇÊá ÓáäÇ ÞÍÊ¡ÓáäÇ ÏÇÊÍ ÑäÈ äã ÏÇÌÑ ÍÇ ÑÇÊ ÑÏ ÈáÇÑÍ ¡ÊæÑÈ 1979 g”i g 1965.

%5 : áÊãÊÝ ÍÞ ÑÇÊÎ ÏáÇÊá ÓáäÇ ÞÍÊ¡ÓáäÇ ÏÇÊÍ ÑäÈ äã ÏÇÌÑ ÍÇ ÑÇÊ ÑÏ ÈáÇÑÍ ¡ÊæÑÈ 1965.

* كتاب: **"البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"**[1] لأبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن عذاري المراكشي (كان حيا عام 712هـ/1312م)، ويعتبر من أهم مصادر تاريخ الغرب الإسلامي منذ الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، لما حواه من اقتباسات من كتب لازال أغلبها في عداد المؤلفات الضائعة مثل كتاب المتين لابن حيان، ولذا حفل الكتاب بمعلومات قيمة وعديدة.

يتكون كتاب البيان المغرب من خمسة أجزاء، خصص المؤلف الجزء الأول لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى القرن الرابع الهجري، وخصص الجزء الثاني لتاريخ الأندلس من الفتح إلى القرن الرابع الهجري، أما الجزء الثالث فتناول فيه تاريخ الأندلس من تولي المظفر بن المنصور بن أبي عامر الحجابة إلى آخر ملوك الطوائف، وتضمن الجزءان الرابع والخامس أخبار المغرب والأندلس في ظل المرابطين والموحدين.

استفدت كثيرا من كتاب البيان المغرب، وبخاصة الأجزاء الثاني والثالث والرابع التي خصصها المؤلف لتاريخ الأندلس، إذ تعرض في الثاني إلى الثورات التي شهدتها الأندلس في عهد الأمير محمد، وشارك فيها المستعربون، كما سمح لي بالمقارنة بين المعلومات الواردة فيه وتلك التي تضمنها المقتبس.

واستفدت أيضا من الجزء الرابع من هذا الكتاب الذي خصصه ابن عذاري لبداية ظهور المرابطين في المغرب وعبورهم إلى الأندلس، والذي تعرض فيه بإسهاب لتحركات السيد الكنبيطور، واستيلائه على بلنسية، وتنكيله بالقاضي ابن جحاف.

- كتاب: **"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"**[2] لصاحبه أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني، المتوفى سنة

1- [illegible] 2، 1400/1980.
[illegible] 3، 1983.
[illegible] 3، 1983.
2- [illegible]
[illegible] 1، 1997.

1041هـ/1631م، وهو كتاب موسوعي، مزج فيه صاحبه بين الأدب والتاريخ، وينقسم على قسمين يتألف كل منهما من أربعة أجزاء.

تحدث المقري في القسم الأول عن الأندلس وجغرافيتها، وعن الخلافة الأموية بالأندلس، كما ضمنه تراجم لعدد من الشخصيات التي وفدت على العدوة الأندلسية، أما القسم الثاني فخصصه صاحبه للحديث عن حياة ابن الخطيب وإنتاجه العلمي.

ساعدني هذا الكتاب في استيفاء تراجم بعض الشخصيات التي ورد ذكرها في هذا العمل، كما اقتبست منه عددا من الأشعار التي تخدم موضوعي بشكل أو بآخر، وأفادتني الإشارات العرضية العديدة إلى نصارى الأندلس، التي وردت في الكتاب.

2- كتب التراجم:

- كتاب: **"قضاة قرطبة وعلماء إفريقية"**[1] لأبي عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني، المتوفي سنة 361هـ/971م، وهو عبارة عن كتاب تراجم للقضاة الذين تعاقبوا على منصب القضاء في قرطبة منذ فتح الأندلس، وحتى عهد الخليفة الحكم المستنصر، وكثيرا ما يستعرض الخشني طرفا من حياة القاضي الذي يترجم له، وجوانب من القضايا التي كانت تعرض عليه، وبعض العادات والأزياء المنتشرة في الأندلس آنذاك.

أعانني هذا الكتاب في أخذ فكرة عن بعض المعاملات والعادات المنتشرة في الأندلس مثل شرب الخمور، كما استخرجت منه تراجم للقضاة الوارد ذكرهم في البحث، واستفدت من القضايا والأحداث التي تضمنها الكتاب، والتي كان النصارى طرفا فيها.

- كتاب: **"تاريخ علماء الأندلس"**[2]، لمؤلفه الحافظ أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي المشهور بابن الفرضي، المتوفى سنة 403هـ/1013م.

---

[1] الخشني: قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981م.

%W7 ÑçÊ: Î Ú ãáÇ Ç?ÇäÓ¡ÊÍÐ Þ ÑæÍí É ÈÏ ÂÑÍ ãä ÂÓ ÝÍí ¡ ÏçÑ[TÝ.x ^ YW” i• Z 1
1417 /1997 .

يبدأه المؤلف بنبذ عن حكام الأندلس الأمويين، من عبد الرحمن الداخل إلى المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر.

يعتبر هذا الكتاب من أهم كتب التراجم الأندلسية، ومرجع أهميته أن صاحبه كان يتحرّى الدقة في الأخبار والتواريخ التي كان يسجلها، لذا لجأت إلى هذا الكتاب في كثير من الأحيان لاستخراج تراجم الشخصيات العلمية التي وردت أسماؤها في هذا البحث.

* كتاب: **"بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس"**[1] لأبي جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي، المتوفي سنة 599هـ/1202م، ويعتبر هذا الكتاب من أهم كتب التراجم الأندلسية، على الرغم من اعتماده الكبير على كتاب جذوة المقتبس لأبي عبد الله الحميدي[2].

كما ضمَّن الضبي كتابه بعض الوثائق الهامة، أبرزها المعاهدة التي أبرمها عبد العزيز بن موسى بن نصير مع تدمير بن عبدوس[3].

وبذلك فقد أفادني الكتاب في استخراج تراجم الرجال الذين ذكروا في البحث، كما استعنت بالمعاهدة المذكورة في الوصول إلى بعض الاستنتاجات.

* كتاب: **"المغرب في حلى المغرب"**[4] لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي المتوفى سنة 683هـ/1284م، وهو كتاب جمع بين الجغرافيا والتاريخ والتراجم، وتعاقب على تأليفه بنو سعيد طيلة مائة وخمس عشرة سنة، وتبرز أهميته في احتوائه على مقتطفات من كتب تاريخ وأدب وغيرها، كما ضم أشعارا عديدة.

ساعدني هذا الكتاب في استكمال تراجم شخصيات غير موجودة في كتب التراجم الأخرى مثل الشاعر ابن المرعزي النصراني، كما اقتبست منه أشعارا تخدم موضوعي.

3- الكتب الأدبية:

1- [illegible] 1 1417 /1997 .

2- [illegible] 5.

3- [illegible] 235.

4- [illegible] 3 1955.

* كتاب: **"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"**[1] لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفى سنة 542هـ/1084م، وهو كتاب ضخم، قسمه صاحبه إلى أربعة أقسام، خصص القسم الأول منه لأهل قرطبة وضواحيها، والقسم الثاني لأهل غرب الأندلس، والقسم الثالث لأهل شرق الأندلس، والقسم الرابع خصصه لمن طرأ على الأندلس، وعموما فقد اشتمل كتاب الذخيرة على 154 ترجمة مهمة لأعيان الأدب والسياسة ممن عاصرهم، أو تقدموه قليلا[2].

يعتبر هذا الكتاب موسوعة أدبية حفظت لنا تراث القرن الخامس الهجري(11م) الأدبي، كما حفظت لنا مقتطفات عديدة من كتاب "المتين" لابن حيان، وبذلك استفدت منه باقتباس تراجم الأدباء والشعراء، والأشعار التي تخدم بحثي من بعيد أو قريب مثل الخمريات.

4- كتب الفقه:

* كتاب: **"أحكام أهل الذمة"**[3] لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى سنة 751هـ/1350م، وجمع فيه صاحبه أهم الأحكام المتعلقة بأهل الذمة، من حقوق وواجبات ومعاملة المسلمين لهم، مستندا في ذلك إلى الكتاب والسنة وآراء الأئمة الأربعة؛ فكانت أحكامه شاملة لكل أهل الذمة من يهود ونصارى، الذين تواجدوا في كل أنحاء العالم الإسلامي آنذاك.

أفادني الكتاب كثيرا في التعرف على الأحكام المتعلقة بأهل الذمة، وبخاصة النصارى، وعلى بعض العادات التي كانوا يقومون بها في أعيادهم.

---

‡UW%W : ¡íã?Ó?ç ÈÑÛâ Ñçï ¡ÓçË äçÓíÅ ÞÞÍÊ¡ÉÑÒÌâ áåÅ äÓíã íÝÉÑíÎÐâ
. 2000 1 Z•i ”W

%‰g.T.i -‡2 : ¡ã?Ú?ç ¡ÊæÑ È¡ä íÍ?ãáâãáÚâ Ñçï ¡ã?Ú?ç 5Ø 1980 4 .266

‡”•%W ¡nŠ‡..’ gÛi ’i•i Ux.T.€”~•[i„Un• ’i„W.T.ĝ cL} l•” €”,c[Yˆh.T.¿ •L‡U,cL
. 1997/ 1418 1 Z•i ”W‡j c %WiTg

- كتاب: **"المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغ رب"**[1] للفقيه أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي المتوفى سنة 914هـ/1508م.

وهو كتاب ضخم جمع فيه صاحبه عددا كبيرا من الفتاوى المختلفة أغراضها، بعضها له، والبعض الآخر لفقهاء من إفريقية والأندلس مثل ابن رشد وعبد الرحمن بن بقي بن مخلد وغيرهما.

استفدت كثيرا من بعض الفتاوى التي تضمنها الكتاب، وبخاصة تلك الذي تعلقت بنصارى الأندلس لأنها توضح جوانب من حياتهم الاجتماعية والدينية والاقتصادية وبعض عاداتهم، وطبيعة معاملة المسلمين لهم.

5- كتب الجغرافيا:

* كتاب: **"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"**[2] للشريف أبي عبد الله محمد بن عبد الله الإدريسي المتوفى سنة 558هـ/1161م، وهو أول كتاب اتسم بالعمل الموسوعي في مجال الجغرافيا والبلدانيات، واشتهر قديما باسم "كتاب رجار" نسبة إلى ملك صقلية رجار الثاني (المتوفى سنة 548هـ/1153م) الذي طلب من الإدريسي تأليفه.

درس الإدريسي في كتابه العالم المعروف لديه آنذاك، إلا أن القسم المخصص لشبه جزيرة إيبيريا يعتبر من أحسن أجزاء الكتاب، وأدلها على ملكة الإدريسي الجغرافية، وقدرته على الابتكار وجمع المعلومات، ثم تنسيقها في كلٍ واحدٍ مترابط[3].

وقد ساعدني الكتاب في تحديد أماكن المدن الأندلسية، وبعض الخصائص التي ميزت كل مدينة.

* كتاب: **"الروض المعطار في خبر الأقطار"**[1] لمحمد بن عبد المنعم الحميري المتوفى سنة 726هـ/1326م، وهو عبارة عن معجم جغرافي مرتب على حروف

1- v^Ù.T• Vix^.T.iÜx^.T. ÞÞÍÊ¡ÈÑÛãâæ ÓáäÇæ ÉÞÑÝ ÁÇãáÚ ìæÇÊÝäÚ
"`c g^c^} TnPWÛtx.T‰ Yw•^`^ ÈÑÛâ ¡Êæ ÑÈ¡ íã?Ó?Ç 1401 /1981.

2- íÓÑÏ?Ç: ÉÑÇÞâ ÉÞÑÝ?Ç ÉÑÒÌæ ¡ÓáäÇ?Ç ÓÈÊã ää ÈÇÊÈ ÉåÒäâ ÞÇÊÎãâ ÞÞÍÊ¡ ÞÝÍÊ áÚÇãÓ áÚÑÊâ ¡íÍ
iSj`.T. Y'x^Ù.TZ Ww•W^.T.‰T•"g .1983

3- %‰d-c : ÇíÝÑÛÌâ ÇíÝÑÛÌâæ íÝäæ ÇíÓáäÇ ¡ÒÑÔâ Ý ÇíÓÑÏ?Ç ÞãÉ ÚáÇ ÓÏáÇ íÝÑÛÌâ ÏåÚ ÇíÝÑÛÌâ ÏåÚ ¡ÓÞáÇ ãâ
ÕÍÝÉ ÇáåÏí ãÓÏíÉ ÇÊÎ?Ó ?ã ÉÝí ãÏÑÏ ¡ÇãáÇÏÇ 9 (0 g'i g .1961- 1962.

الهجاء، ذكر فيه صاحبه المدن والقرى المعروفة في عصره والأخبار والوقائع المتصلة بها، ووضع نصب عينيه شهرة المكان، وأن يكون مما اتصل به قصة أو حكمة أو خبر طريف أو معنى مستملح مستغرب[2].

ولذلك كان هذا الكتاب مفيدا بالنسبة لي، لأنني استعنت به في تحديد مواقع وأسماء المدن التي ذكرت في البحث، كما استفدت من الأخبار التي أوردها الحميري، والتي لها علاقة بنصارى الأندلس أو بمعابدهم، أو بشأن من شؤونهم.

ب- المراجع:

* كتاب:**"Historia de los Mozarabes de Espaňa"** [3] لمؤلفه الإسباني فرانسيسكو خافيير سيموني، وهو عمل هام يتكون من حوالي ألف صفحة، اعتمد صاحبه في تأليفه على وثائق ومصادر لاتينية وعربية، وتناول فيه تاريخ المستعربين منذ أن وطئت أقدام الفاتحين المسلمين أرض الأندلس سنة 92هـ/711م، إلى غاية سقوط مدينة غرناطة في أيدي المسيحيين سنة 897هـ/1492م.

تضمن هذا الكتاب كما هائلا من المعلومات حول المستعربين، إذ نوّع مؤلفه مصادر معلوماته باستعماله لوثائق ومصادر مسيحية وأخرى إسلامية، وهذا ما أثرى كتابه بالأخبار المتعلقة بهذه الطائفة، وبذلك يبقى المرجع الرئيس الخاص بها، ولا يمكن لأي باحث يتناول شأنا من شؤونها بالدراسة الاستغناء عنه، إلا أن صاحبه حاد عن الموضوعية في عدد من فقرات الكتاب بتحامله على المسلمين وادعائه أن ثقافتهم كانت أدنى من ثقافة المستعربين.

وتحول سيموني من خلال كتابه هذا، من مؤرخ إلى رجل دين مسيحي متعصب ومدافع بشراسة عن المسيحية، وموجها التهم للمسلمين، حتى أنه اعتبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم مزيفا: "Una profeta falsa"[4].

1- [illegible] 2 .1980

2- [illegible] .9

3-Francisco Javier Simonet- Historia de los Mozarabes de Espana- Amesterdam Oriental Press-Netherlands- 1967.

4- Ibid, p 69.

ورغم ذلك استعنت به كثيرا في أغلب مراحل البحث، وبخاصة في الوصول إلى بعض الحقائق التي انفرد بها، مثل أعياد المستعربين وتواريخها.

* كتاب: **Minorias Etnico-Religiosas de la edad media Española : los Mozarabes** لصاحبه إيسيدرو دي لاس كاخيغاس[1]، ويأتي هذا الكتاب، الذي يتألف من جزأين، في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد كتاب سيموني، لأنه نُشِر بعد هذا الأخير بحوالي نصف قرن، ولأنه تناول تاريخ المستعربين من الفتح الإسلامي إلى غاية سقوط طليطلة في أيدي المسيحيين أي من سنة 92 إلى 478هـ/ 711- 1085م.

وقد ركز إيسيدرو في كتابه على النظرية التواصلية، أي أن المستعربين هم الذين حافظوا على شبه جزيرة إيبيريا مسيحية، ويتفق مع سيموني في التعصب للمسيحية، وتوجيه الاتهامات للإسلام والمسلمين.

أعانني هذا الكتاب في مقارنة معلوماته بالمعلومات التي أوردها سيموني، مما سمح لي بالخروج ببعض الاستنتاجات.

- كتاب: **"فجر الأندلس"** لصاحبه حسين مؤنس، والذي تناول فيه بالدراسة تاريخ الأندلس على عهد الولاة (92-138هـ/711-756م)، وهو من المراجع الهامة لاعتماد صاحبه على مصادر عديدة ومتنوعة، عربية ومسيحية، وخص المستعربين بجزء هام من كتابه، ناقش فيه عدة أفكار من بينها تاريخ ظهور التسمية، كما أوضح الحقوق الدينية والمدنية التي تمتعوا بها إبان الفترة المذكورة.

فضلا على ذلك، استعنت بمصادر ومراجع أخرى بهدف تغطية النقائص في المذكرة، وقد قيدناها في فهرس المصادر والمراجع.

1 - Isidro de las Cagigas- Minorias Etnico- Religiosas de la Edad Media Espanola «I – Los Mozarabes»- instituto de estudios Africanos- Madrid- Tomo 1- 1947-Tomo 2- 1948

الــتمـهـيـد

تمهيد: شكلت الأندلس ظاهرة اجتماعية فريدة في الغرب الإسلامي خلال العصور الوسطى؛ فرغم أن الفاتحين المسلمين شكلوا أقلية عددية بالنسبة لسكانها القوط، إلا أنهم استطاعوا إخضاع الأندلس لسيطرتهم، وامتزجوا بهؤلاء السكان، مما أدى إلى ظهور عناصر جديدة، ساهمت في تكوين المجتمع الأندلسي.

أ)العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي: تتفق غالبية المؤرخين[1] على تقسيم المجتمع الأندلسي إلى مجموعتين بشريتين كبيرتين هما: المسلمون، وغير المسلمين (المسيحيون واليهود)، ويقوم هذا التقسيم كما هو ملاحظ على أساس ديني.

إلا أن ليفي بروفنسال يقسم سكان الأندلس إلى مجموعتين، الأولى تتكون من العرب والصقالبة والسودان، ويسميهم الأجانب (Allogènes)، والثانية تتكون من الأسالمة أو المسالمة، والمولدين[2]، والمسيحيين، واليهود، وهم بذلك أصحاب البلاد أو الأهالي[3]، وهذا التقسيم في رأينا ينطوي على نظرة عنصرية.

أما ابن الأحمر، فقد قسّم سكان الأندلس إلى أربع مجموعات هي:

1- بنو هاشم: وهم الذين وفدوا من الحجاز واليمن والعراق والشام ومصر وبرقة وإفريقية والمغرب الأقصى.

2- سادات العرب وجراثيمهم ومواليهم الوافدين على الأندلس من نفس المناطق التي وفد منها بنو هاشم.

3- البربر: وقدموا إلى الأندلس من إفريقية والمغرب.

4- السكان الأصليون: وقد قسّمهم إلى نصارى ويهود، وهؤلاء حسب رأيه إما أنهم أسلموا بعد الفتح، أو أنهم تعرضوا للسبي[4].

نلاحظ مما سبق أن ابن الأحمر يقسم العرب إلى فئتين، تتمثل الأولى في بني هاشم، ويقصد بهم القرشيين، وتشمل الفئة الثانية سادات العرب وجراثيمهم ومواليهم،

1- عبد الواحد ذنون طه- دراسات أندلسية- دار المدار الإسلامي- بيروت- ط1- جوان- 2004م- ص73/حسين مؤنس- فجر الأندلس- الدار السعودية للنشر والتوزيع- جدّة- ط2- 1405هـ-1985م- 416.

2- لا يفرق ليفي بروفنسال بين الأسالمة والمولدين. -Levy Provencal – Histoire de l'Espagne Musulmane- edition Maisonneuve et Larose- Paris- 1ere edition- 1999- T 3 p 180.

3- Ibid – p 167.

4- ابن الأحمر- بيوتات فاس الكبرى- دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط 1972- ص23.

مع أنه لم يذكر النصارى واليهود الذين ظلوا متمسكين بديانتهم في الأندلس في ظل الحكم الإسلامي، وهذا مخالف لما دلت عليه الوثائق والمصادر.

وبالنسبة إلينا فسنعتمد التقسيم المتفق عليه من طرف غالبية المؤرخين، والذي يقسم سكان الأندلس إلى مجموعتين كبيرتين هما: المسلمون وغير المسلمين:

أولا: العناصر المسلمة:

1- العـرب: وهم أهم عنصر من العناصر الطارئة على الأندلس؛ فقد دخلوها على دفعات متلاحقة وبأعداد معتبرة، وأول مجموعة منهم دخلت الأندلس مع طارق بن زياد قدر عددها بحوالي ثلاث مائة رجل[1]، وهو عدد قليل جدا بالنسبة لجيش طارق الذي كان قوامه أكثر من عشرة آلاف مقاتل، وكان من بين هؤلاء العرب، عبد الملك بن عامر المعافري[2] الجد الأعلى للمنصور بن أبي عامر، وقد تولى السيطرة على الجزيرة الخضراء (Algeciras).

أما المجموعة الثانية فدخلت مع موسى بن نصير سنة 93هـ/712م، في جيش اختلف المؤرخون في تعداده بين عشرة آلاف رجل[3]، وثمانية عشر ألف رجل[4]، وعشرين ألف رجل[5]، ومهما بلغ الاختلاف في عدد أفراد هذا الجيش، فإن الثابت أن غالبيتهم كانت من العرب، وخاصة اليمنية وقبائل عربية أخرى، على رأسهم

1- عبد الرحمن ابن خلدون- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر- دار الكتب العلمية- بيروت - ط 1- 1413هـ/1922م- ج4 ص141.

2- ابن بسام- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة- تحقيق إحسان عباس- دار الغرب الإسلامي- ط 1- 2000- ج 4 ص 40.

3- المقري أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- تحقيق إحسان عباس- دار صادر- بيروت- ط 1 - 1997م- ج1 ص277.

4- المصدر السابق- ج 1 ص269.

5- Gustave le Bon – la civilisation des arabes – édité par S.N.E.D – Algerie – page 202.

الصحابي المنيذر الإفريقي[1]، ومجموعة من التابعين نذكر منهم حبيب بن أبي عبيدة الفهري[2]، وحنش بن عبد الله الصنعاني[3].

وهاتان المجموعتان أصبحتا تعرفان فيما بعد بالعرب البلديين، أما المجموعة الثالثة من العرب، فدخلت مع بلج بن بشر بن عياض القشيري، وقد فاق عددهم الإثني عشر ألفا، وعُرفوا بالطالعة الأولى من الشاميين[4]، أما الطالعة الثانية فدخلت مع أبي الخطار الكلبي، إلا أن عددها لم يزد عن ثلاثين رجل[5].

يضاف إلى هؤلاء عدد آخر من العرب دخلوا الأندلس فرادى وجماعات لأغراض مختلفة، وبخاصة بعد استحواذ بن بني أمية على السلطة هناك، واستتباب الأمور لهم.

وعموما فقد بلغ عدد العرب الداخلين إلى الأندلس خلال السنوات الأولى للفتح الإسلامي، حوالي خمسين ألف رجل، دخلها معظمهم بنسائهم[6]، وكان استيطانهم في الأندلس قائما على استحسان ما يلائمهم، فقد آثر بعضهم البوادي والمفاوز[7]، بينما استقر معظمهم بالحواضر[8].

وعند دخول طالعة بلج بن بشر الأندلس تضايق بهم العرب البلديون منهم، وطلبوا من أبي الخطار الكلبي أمير الأندلس إخراجهم من قرطبة وقالوا لهم: "بلدنا

1- المنيذر مصغرا رجل من أصحاب النبي سكن إفريقية، وقيل إنه دخل الأندلس- العسقلاني- الإصابة في تمييز الصحابة- تحقيق علي محمد البجاوي- دار الجيل بيروت- ط1- 1412هـ/1992م- ج6 ص227- رقم الترجمة 8258.

2- حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري (ت124هـ/742م) دخل الأندلس مع موسى بن نصير، وشارك في قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير، وقتل في إحدى المعارك ضد البربر- الحميدي- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس- تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي- دار الكتب العلمية- بيروت الطبعة الأولى- 1417هـ/1997م- ص175 ترجمة رقم 393.

3- حنش بن عبد الله الصنعاني (ت100هـ/718م) تابعي من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انتقل إلى مصر بعد وفاته، وغزا المغرب، ثم دخل الأندلس مع موسى بن نصير، وبنى جامع سرقسطة- ابن الفرضي- تاريخ علماء الأندلس- تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي- دار الكتب العلمية- 1417هـ/1997م- صص111،109 ترجمة رقم 391/الحميدي- المصدر السابق- ص179،178 ترجمة رقم 403.

4- المقري- المصدر السابق- ج3 ص22.

5- ابن القوطية- تاريخ افتتاح الأندلس- تحقيق وتعليق إسماعيل العربي- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر 1989م- ص32.

6-Pierre Guichard – « les arabes ont bien envahi l'Espagne » annales économiques et sociétés – années 79 – n 06 – 1974 – PP1486/1502 – p 1502

7- المقري- المصدر السابق- ج1 ص276.

8- ابن الأحمر- المصدر السابق- ص25.

يضيق بنا فاخرجوا عنا"[1]، ففرقهم في البلاد، وأنزل أهل دمشق إلبيرة (Elvira)، وأنزل أهل حمص إشبيلية (Sevilla)، وأهل قنسرين جيان (Jaen)، وأهل الأردن رية (Rayo) ومالقة (Malaga)، وأهل فلسطين شذونة (Sidonia)، وأهل مصر تدمير (Tudmir)[2].

وتجمع العرب في الأندلس حسب التنظيم القبلي لهم، بحيث استقرت كل قبيلة بعشائرها في مكان خاص بها، أصبح فيما بعد يسمى باسم هذه القبيلة، مثل جزء البكريين وجزء اللخميين وجزء خشين وإقليم همذان وإقليم بني أسد وإقليم بني أوس وإقليم كنانة[3].

ورغم اتخاذ بعضهم زوجات من أهل البلاد، إلا أن العرب حافظوا على تنظيمهم وتماسكهم القبلي، فقبيلة بلي مثلا، والتي كانت مستقرة في شمال قرطبة، ظلت إلى غاية القرن السادس الهجري(12م) محافظة على أنسابها، متمسكة ببعض عاداتها كعدم أكل إلية الشاة وإقراء الضيف[4]، واستطاع العرب بفضل تنظيمهم القبلي، القبلي، احتواء الأجناس الأخرى.

.

ويبدو أن الشاميين كانت لهم حظوة في الأندلس، إذ كانوا يسمون السادة، وكان منهم الديوان والكتبة، وكان اللواء الغازي منهم يرزق مائتي دينار، بينما يرزق اللواء الغازي من البلديين مائة دينار، كما كان الشاميون مُعفون من العشر في
حين كان البلديون يؤدون[5].

كما نقلوا انقسامهم إلى يمنية ومضرية، من المشرق الإسلامي إلى الأندلس، أين اندلعت بين هذين الفريقين صراعات، تحولت إلى صدامات مسلحة بدأت بدخول

1- ابن القوطية- المصدر السابق- ص30.
2- المقري- المصدر السابق- ج1 ص237.
3- العذري أحمد بن عمر بن أنس الدلائي- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك- تحقيق عبد العزيز الأهواني- مطبعة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد 1965- ص120،92،30،20.
4- ابن حزم الأندلسي - جمهرة أنساب العرب- تحقيق عبد السلام محمد هارون- ط5- 1982م- دار المعارف القاهرة- ص443.
5- ابن الخطيب- الإحاطة في أخبار غرناطة- شرحه وضبطه وقدم له يوسف علي طويل- دار الكتب العلمية بيروت- ط1- 1424هـ/2003م- ج1 ص19.

أبي الخطار الكلبي إلى الأندلس سنة 125هـ/743م، وتواصلت إلى غاية سنة 399هـ/1008م[1]، بالإضافة إلى الوقائع التي كانت للعرب مع المجموعات البشرية الأخرى المكونة للمجتمع الأندلسي.

2- البربـر: كان البربر السباقين إلى دخول الأندلس، إذ أن الجيش الذي دخل بقيادة طارق بن زياد كان يتكون من اثني عشر ألف رجل[2]، كلهم من البربر عدا مجموعة من العرب يتراوح عدد أفرادها بين ستة عشر وثلاث مائة رجل.

وبمجرد وصول خبر انتصار جيش طارق على لذريق آخر ملوك إسبانيا إلى أسماعهم حتى تسارع البربر نحو الأندلس بأعداد كبيرة، كل حسب ما تيسر له من وسيلة حتى أن بعضهم عبر المضيق على مجرد قشر من خشب[3]، فأصبحوا بذلك يشكلون أكثر العناصر الفاتحة عددا، وبخاصة بعد انفصال الأندلس عن الخلافة الإسلامية في المشرق[4]، وتواصل تدفق البربر على الأندلس خلال الحكم الأموي للأندلس، وكان ذلك عبر دفعات أهمها هجرة قبيلة زناتة نحو الأندلس زمن الحكم المستنصر، ثم زمن المنصور بن أبي عامر(366- 392هـ/ 976- 1002م)[5].

إلا أن أولى القبائل البربرية التي دخلت الأندلس، تمثلت في كتامة وزناتة وهوارة ومصمودة ومديونة ومكناسة ومطغرة[6].

وكان استقرار البربر في الأندلس بالأماكن التي تلائم طبائعهم، فمن كان منهم

من أهل الحاضرة، استقر في المدن، ومن كان أهل البادية استقرّ في القرى[1]، وبما أن أن النشاط الغالب على حياتهم الاقتصادية هو رعي الإبل والأغنام، فإن غالبية البربر استقرت بالمناطق الجبلية والصحاري[2].

1- المقري- المصدر السابق- 426/1.
2- المصدر نفسه- ج1 ص231، 232.
3- نفس المصدر- ج1 ص259.

5- Gustave le Bon – op. Cit – p 203.

5- المقري- المصدر السابق- ج1 ص548.
6- ابن خلدون- المصدر السابق- ج6 ص126، 141، 224/ ليفي بروفنسال- نص جديد عن فتح العرب للمغرب- صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد- المجلد الثاني العدد1 و2- 1373هـ/1954م- ص224.

ويتضح من خلال تحديد ابن حزم لأماكن استقرار القبائل البربرية في الأندلس أن هذه الأخيرة توزعت على كافة أنحاء الأندلس[3]، حتى أن بعض الأماكن اتخذت أسماء القبائل البربرية التي استقرت بها[4]، مما يدعو إلى الاعتقاد أن استقرارهم بالأندلس كان وفق ما استحسنوه من أماكن.

وقد تميزت من بين البربر مجموعة من البيوتات، نذكر منها بني الزجالي الوزراء، وبني دليم، وبني زروال، وبني يحي بن كثير، وبني جهور، وبني رزين، وبني عزون، وبني عميرة[5]، مما يوضح الدور السياسي والثقافي الذي لعبه البربر في الأندلس، يضاف إلى ذلك الدور العسكري المتمثل في مشاركتهم في الفتح الإسلامي للأندلس، وقيامهم بعدد من الثورات، وبالأخص دورهم في القضاء على الحكم الأموي في إطار الفتنة التي شهدتها الأندلس من 399 إلى 422هـ/1008 إلى 1031م.

وفي المجال الاقتصادي، ساهموا في تنشيط الحياة الاقتصادية باحترافهم مجموعة من المهن، فأما سكان الأرياف منهم فقد احترفوا الزراعة وما اتصل بها من حرف، أما سكان الحواضر فقد مارسوا حرفا مختلفة مثل البناء ومواده، وصناعة الأواني وغيرها[6].

ورغم أن البربر يشبهون العرب في عدد من الخصائص مثل طريقة العيش، والمحافظة على التنظيم القبلي، إلا أنهم لم ينقلوا صراعاتهم إلى الأندلس، ولم يسجل التاريخ حروبا قبلية بربرية على أرضها مثلما كان الشأن بالنسبة للعرب، ولكن المصادر تحتفظ لنا بعدد كبير من الثورات، سواء التي قام بها البربر ضد أطراف مختلفة أو تلك التي كانت لهم فيها مجرد مشاركة إلى جانب طرف من الأطراف المتنازعة.

1- ابن الأحمر- المصدر السابق- ص25.
2- ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- تحقيق ومراجعة ج.س كولان وإ.ليفي بروفنسال- دار الثقافة بيروت- ط2- 1400هـ/1980م- ج2 ص7.
3- ابن حزم- المصدر السابق- ص من 498 - 502.
4- حسين مؤنس - فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية(711-756)- الدار السعودية للنشر والتوزيع- ط2- 1405هـ/1985.- صص382،381/العذري- المصدر السابق- ص20 و120.
5- ابن حزم- المصدر السابق- صص 200 و201.
6- ابن الأحمر- المصدر السابق- ص24.

3- الأسالمة أو المسالمة والمولدون: الأسالمة أو المسالمة هم أهل البلاد من المسيحيين واليهود الذين اعتنقوا الإسلام، بعد استعرابهم واطلاعهم على مقومات هذا الدين الجديد، وقد بلغ بعضهم شأنا كبيرا في ظل الحكم الإسلامي، وأوكلت إليهم مناصب ذات أهمية كبيرة، مثل أيوب بن عبد ربه الذي ولاه الحكم الربضي قضاء إشبيلية[1]، كما وصل بعضهم الآخر إلى درجة عالية في العلم مثل عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي ملأ إشبيلية علما وبلاغة ولسانا[2].

والواقع أن أغلب المعتنقين الأوائل للإسلام من الإسبان، كانوا ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية الدنيا، مثل العبيد ورقيق الأرض، لأنهم رأوا فيه خلاصا لهم من المتاعب واللامساواة التي عانوها خلال حكم القوط[3]، كما أن احتفاظ بعض هؤلاء الأسالمة بأسمائهم الإسبانية القديمة بصيغة الجمع، مثل بني انجلين Angelino، وبني شبريق Savarico الإشبيليين، وبني لنق Longo، وبني القبطرنة Kabturno ، وغيرهم دليل على أن عملية التحول إلى الإسلام كانت تتم في إطار جماعي.

إلا أن ليفي بروفنسال قسم الأسالمة إلى مجموعتين، الأولى أسلمت صلحا أي طواعية، والثانية أسلمت عنوة[4]، معتمدا في ذلك على الإشارة التي وردت في كتاب ابن الأحمر[5]، إلا أننا لم نجد ما يدل على اختلاف وضع الإسبان الذين فتحت أراضيهم أراضيهم عنوة عن أولائك الذين فتحت أراضيهم صلحا، في المصادر الأندلسية التي أطلعنا عليها، بل إن الأهالي الذين أسلموا عوملوا كمسلمين دون تمييز، أما الذين بقوا على ديانتهم فقد عوملوا كأهل ذمة.

أما المولدون فهم أبناء الأسالمة، أو أبناء المسلمين الذين اقترنوا بزوجات إسبانيات مسيحيات، إلا أن ليفي بروفنسال يعتبر أن المولدين هم النصارى الذين

1- ابن الآبار- التكملة لكتاب الصلة- تحقيق عبد السلام الهراس- دار الفكر- بيروت 1415هـ/1995م- ج1 ص164- رقم الترجمة 524.

2- ابن الفرضي- المصدر السابق- ص178،179- الترجمة 649/الحميدي- المصدر السابق- ص232- رقم الترجمة 557.

3- حسين مؤنس- المرجع السابق- ص430.

4-Levy provençal – op.cit –T 3 p180

5- ابن الأحمر- المصدر السابق- ص23.

تحولوا إلى الإسلام، أي أنه لا يفرق بينهم وبين الأسالمة[1]، رغم أن المصادر الأندلسية تفرق بشكل واضح بين المجموعتين[2].

وفي الوقت الذي فضلت فيه بعض أسر المولدين الاحتفاظ بأسمائها التي كانت تسمى بها قبل إسلامها، مثل بني شبرقة، وبني أنجلين، وبني زدلف[3]، سعت أسر أخرى منهم إلى اقتناء أسماء عربية، مثل بني قسي وبني الجريح[4].

كان عدد المولدين كبيرا خلال السنوات الأولى للفتح بسبب إقبال السكان الإسبان على الإسلام، وقد مكنهم ذلك من لعب دور هام في الحياة الاقتصادية، وبالأخص في القطاع الزراعي[5]، إضافة إلى دورهم البارز في الحياة الثقافية، إذ ظهر ظهر من بينهم عدد من الشخصيات العلمية، نذكر منها أبا الوليد محمد بن عمر الفقيه الأديب[6]، وأبي عبد الله بن محمد بن علي بن أحلي المتكلم[7]، وعبد الله العبلي شاعر المولدين[8]، كما وصلت شخصيات منهم إلى مناصب سياسية هامة، من بينهم نصر الخصي الذي خصاه الحكم الربضي، وكان محظيا عنده وعند ابنه عبد الرحمن، وهو ابن أحد أسالمة قرمونة[9]، وعمروس عامل الحكم الربضي على طليطلة[10].

واختفى مصطلحا الأسالمة والمولدين من المصادر الأندلسية مع نهاية القرن الثالث وبداية الرابع الهجري، أي مع وصول عبد الرحمن الثالث إلى السلطة، واستتباب الأوضاع في الأندلس، وزيادة امتزاج واختلاط سكانها، وتحولهم إلى أندلسيين دون تمييز[11].

2-Levy provençal – op.cit –T 3 p180

2- ابن الآبار- الحلة السيراء- تحقيق حسين مؤنس- دار المعارف- القاهرة الطبعة الثانية 1985- ج1 ص38.

3- ابن حيان- كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس- اعتنى بنشره الأب ملشورم أنطوانية وبولس كتنر الكتبي- باريس 1937- ص16 ، ص76.

4- المصدر نفسه- ص76 ، ص86.

5- ابن الأحمر- المصدر السابق- ص 24.

6- ابن الابار - المصدر السابق – ج 2 ص 202- رقم 143.

7- المصدر نفسه – ج 2 ص 314 - رقم 168.

8- ابن سعيد المغربي- المغرب في حلى المغرب- تحقيق شوقي ضيف- دار المعارف القاهرة- الطبعة الثالثة 1955م- ج2 ص125- رقم الترجمة 440/ابن حيان- المصدر السابق- ص63.

9- ابن حيان- المقتبس من أنباء أهل الأندلس- تحقيق محمود علي مكي- دار الكتاب العربي- بيروت 1393هـ/1973م- ص15.

10- ابن خلدون- المصدر السابق- ج4 ص.152

3-Simont – op cit – p XVI.

ثانيا: العناصر غير المسلمة: بالإضافة إلى العناصر المسلمة المذكورة آنفا، شاركت عناصر غير مسلمة في تكوين المجتمع الأندلسي، وتتمثل في:

1- النصارى: وهم موضوع دراستنا هذه، ورغم ذلك يجب الوقوف عند النقاط التالية:

النصارى هم السكان الأصليون لشبه جزيرة إيبيريا، من أصول مختلفة، اصطلح على تسميتهم بالمستعربين، وظلوا يمثلون غالبية سكان الأندلس طيلة المدة التي بقاها الحكم الإسلامي هناك.

اختلفت مواقفهم من الفتح الإسلامي، ففي الوقت الذي رحبت فيه غالبيتهم بهذا الفتح، وبخاصة منهم أتباع الملك المخلوع غيطشة Witisa، والرقيق والطبقة الكادحة من صناع ومزارعين وتجار صغار الذين كان دافعهم إلى ذلك التخلص من الوضع الاجتماعي والاقتصادي الذي كانوا يعانون فيه في ظل حكم القوط[1]، سعت مجموعة من أرستقراطيتهم وعلى رأسها رجال الدين مثل أولوخيو Eulogio، وألفارو القرطبي Alvaro de Cordoba، إلى حمل لواء الثورة ضد الحكم الإسلامي بحجة المحافظة على مقومات إسبانيا الدينية واللغوية، إلا أن السبب الرئيسي الذي دفعهم إلى ذلك، هو فقدان هذه الطبقة شأنها وسلطانها[2].

ورغم أن المسلمين عاملوا نصارى الأندلس معاملة حسنة، وسمحوا لهم بالاحتفاظ بكنائسهم وأديرتهم، وبممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية، وبتنظيم شؤونهم الإدارية والدينية، كما تم تعيين عدد منهم في مناصب رسمية عليا، إلا أنهم ظلوا يكنون الحقد والكراهية للمسلمين، وتألبوا ضدهم، أحيانا مع المولدين، وأحيانا أخرى مع نصارى الشمال، إلى أن تمكنوا من تقويض الحكم الإسلامي في الأندلس، وطرد المسلمين منها.

2- اليهود: وجد اليهود في الأندلس قبل الفتح الإسلامي، وعانوا هم الآخرين من اضطهاد القوط الذين ضيقوا عليهم الخناق، وفرضوا عليهم التنصر، وتعقبوهم[3]،

4-Simonet – op cit – p 4.
2-Ibid, p 46.

3- حسين مؤنس- المرجع السابق- ص522.

وهذا ما يفسر ترحيبهم بالفتح الإسلامي، وبالتالي استعانة الفاتحين بهم لمراقبة المدن المفتوحة[1].

وقد عومل اليهود من طرف المسلمين معاملة حسنة، وأعطوا حرية تنظيم شؤونهم الاجتماعية والدينية، فكانت لهم بيعهم التي يؤدون فيها شعائرهم الدينية، وارتقى بعضهم إلى مناصب سياسية هامة كالوزارة في كنف الحكم الإسلامي[2]، بل أصبح ليهود الأندلس استقلالية عن يهود المشرق في عهد الحكم المستنصر، ويعود الفضل في ذلك إلى حسداي بن إسحاق الذي استجلب مؤلفات يهودية من المشرق، وبذلك نشطت الحركة العلمية عندهم متأثرة بالحركة العلمية الأندلسية الشاملة في عهد المستنصر[3]، فظهرت منهم بيوتات أهمها آل حسداي الذين تخصصوا في الطب.

ونتيجة للأمن الذين نعموا به، ارتفع عددهم في الأندلس وازدادوا ثراء، حتى أن مدنا بأكملها كانت تعرف بمدينة اليهود، مثل إليسانة Lucena، وطركونة Tarragona[4]، وغرناطة Granada، كما وجدت طائفة منهم في بياسة Baeza وطليطلة Toledo وطلبيرة Tolbera[5].

ورغم ذلك يحاول بعض المؤرخين الإسبان التركيز على الثورة التي قام بها مسلمو غرناطة، ضد يهودها أيام حكم باديس الصنهاجي، والتي ذهب ضحيتها عدد كبير من اليهود، دون الإشارة إلى أسبابها الحقيقية، والتي تعرض لها شاعر غرناطة أبو إسحاق الإلبيري[6] في قصيدته النونية المشهورة، والمتمثلة في استحواذ ابن

1- مجهول- أخبار مجموعة- تحقيق إسماعيل العربي- المؤسسة الوطنية للكتاب 1989م- ص100/ابن عذاري- المصدر السابق-ج 2ص12/المقري- المصدر السابق- ج1 ص263

2- نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر حسداي بن إسحاق الذي استوزره الحكم المستنصر إسماعيل بن يوسف بن النغريلة الذي كان وزيرا في دولة بني زيري بغرناطة (ابن سعيد-المغرب: ج2 ص114)، و يوسف بن حسداي الذي كان وزيرا في دولة بني رزين(المصدر نفسه- ج2 ص441)، وحسداي بن إسحاق الذي اسوزره الحكم المستنصر(ابن أبي أصيبعة-عيون الأنباء في طبقات الأطباء- تحقيق نزار رضا- دار مكتبة الحياة- بيروت ص498).

3- ابن أبي أصيبعة- المصدر السابق- ص498.

4- الإدريسي- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق- تحقيق إسماعيل العربي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1983- ص299،279.

5- الحميري- الروض المعطار في خبر الأقطار- تحقيق إحسان عباس- مؤسسة ناصر للثقافة- بيروت- الطبعة الثانية- 1980- ص45.

6- هو ابراهيم بن مسعود بن سعيد أبو إسحاق التجيبي الإلبيري (460هـ/1065م)، شاعر أندلسي أصله من حصن عقاب، نفاه باديس صاحب غرناطة لأنه أنكر عليه استوزاره لليهودي، ونظم قصيدة مشهورة كانت سببا في ثورة سكان غرناطة على ابن النغريلة خاصة واليهود عامة، مطلعها:

النغريلة على مقاليد الحكم، وإذلاله للمسلمين، ورفعه من شأن اليهود، ويضيف ابن الخطيب سببا آخر لنكبة يهود غرناطة، مفادها أن الوزير اليهودي اتفق مع بني صمادح حكام ألمرية Almeria على أن يساعدهم على الدخول إلى غرناطة للقضاء على حكم بني زيري فيها[1]، وهذه خيانة عظمى يستحق عليها المصير الذي لقيه.

وقد مارس اليهود عدة مهن، نذكر من بينها الطب والنخاسة، وتجارة الخصيان والألبسة الفارهة التي كانوا يجلبونها من أواسط أوروبا[2].

ورغم المعاملة الحسنة التي لقيها اليهود من المسلمين في الأندلس، إلا أنهم رفعوا لواء العداء للمسلمين، ووقفوا إلى جانب نصارى الشمال أثناء قيام هؤلاء بحملاتهم على ملوك الطوائف منذ القرن الخامس الهجري (11م)[3].

هذه إذا هي العناصر البشرية المكونة للمجتمع الأندلسي، إلا أن كل عنصر من هذه العناصر يختلف أفراده عن بعضها البعض من حيث المستوى الاجتماعي، وعلى أساس ذلك يمكن تقسيم المجتمع الأندلسي إلى ثلاث فئات أو طبقات اجتماعية حسب المفهوم الحديث.

ب) فئات أو طبقات المجتمع الأندلسي:

رغم أن المصادر الأندلسية تتفق على تقسيم المجتمع الأندلسي إلى مجموعتين أو طبقتين كبيرتين، هما العامة والخاصة، استنادا على أساسين رئيسيين، هما: الثروة والمنصب الإداري أو السياسي، إلا أن المؤرخين المحدثين يفضلون تقسيم هذا المجتمع إلى ثلاث فئات أو طبقات[4] هي:

1- طبقة الخاصة أو الأرستقراطية: كانت تتكون من مختلف الأجناس المكونة للمجتمع الأندلسي، ولم تكن محصورة في العرب وحدهم، كما ذهب إلى ذلك ليفي

ألا قُلْ لِصنْهاجَة أجمعينْ بُدور الزمان وأسودِ العرينْ

ابن الخطيب- المصدر السابق-ج1 ص242،243/المقري-المصدر السابق-ج4ص322/ابن الأبار-التكملة لكتاب الصلة- ج1 ص118،119- رقم الترجمة 352.

1- ابن الخطيب- المصدر السابق- ج1ص244.

2- المقدسي- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم- تحقيق محمد أمين الضناوي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1-2003م/1424هـ- ص194.

3- حسين مؤنس- المرجع السابق- ص527.

4- امحمد بن عبود- جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري- منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية- د.ت- ص 11-50./Levy provençal – op cit pp 188-195.

بروفنسال[1]، غير أن الارستقراطية الحقيقية في الأندلس تكونت أساسا من الموالي الذين كانت غالبيتهم من غير العرب، إذ كانوا يشكلون الفئة المتنفذة للأرستقراطية الأندلسية[2].

وتألفت الارستقراطية الأندلسية من ملكيتها للأراضي الزراعية لكون المجتمع الأندلسي ذي طابع إقطاعي[3]، وبذلك شكل الملاكون الكبار بالإضافة إلى التجار الكبار والأعيان والأمراء والحكام ورجال الدولة قمة هذه الفئة بسبب امتلاكهم للثروة والجاه والنفوذ السياسي.

كما ضمت هذه الطبقة مجموعة من النصارى الذين احتفظوا بممتلكاتهم مقابل دفع الجزية، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، أرطباس Ardabast أول قومس لنصارى الأندلس، كان يحوز أراضي زراعية واسعة جدا بلغت ألف ضيعة[4]، وإيخيلونا Egilona أو أم عاصم، التي احتفظت بممتلكاتها، رغم زواجها من عبد العزيز بن موسى بن نصير، بالإضافة إلى المسؤولين عن تنظيم حياة النصارى الدينية والاجتماعية مثل البطارقة والأساقفة والقضاة والقمامسة والموظفين السامين في الإدارة الإسلامية على شاكلة قومس بن أنتنيان، وربيع بن تيودولفو، يضاف إليهم اليهود مثل آل حسداي والمولدين مثل نصر الخصي.

2- الطبقة الوسطى:

تكونت الطبقة الوسطى في المجتمع الأندلسي من التجار بأصنافهم، وموظفي الدولة التابعين، (أي الموظفين من الدرجة الثانية) والصناع والحرفيين وملاك الأراضي الصغار[5]، بالإضافة إلى العلماء الذين جمع الكثير منهم بين العلم والتجارة[6]، والتجارة[6]، وعموما الذين كانوا يعيشون في مستوى اجتماعي متوسط، ولو أن هذا

3- Ibid– T3 p 189

4 Pierre Guichard – structures sociales orientales et occidentales dans l’Espagne musulmane – édition mouton Paris lahaye 1977 – page201.

3- مصطفى الشكعة- المغرب والأندلس- آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية- دار الكتاب الإسلامية- دار الكتاب المصري القاهرة- دار الكتاب اللبناني بيروت- ط1- 1407هـ/1987- ص50،49.

4- ابن القوطية- المصدر السابق- ص20.

5- صالح خالص- إشبيلية في القرن الخامس الهجري- دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد في إشبيلية وتطور الحياة الثقافية فيها- دار الثقافة بيروت- 1965م- ص51 و54.

6- تعج كتب التراجم الأندلسية مثل الصلة لابن بشكوال، والإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب وتاريخ علماء علماء الأندلس لابن الفرضي وغيرها بأمثلة عن علماء جمعوا بين العلم والتجارة، نذكر منهم أبو عبد الله محمد بن

المستوى يختلف ارتفاعا وانخفاضا باختلاف المهن التي كانوا يحترفونها، وبما أن المدن كانت مراكز ثقافية وتجارية، فقد تركزت غالبية هذه الفئة فيها.

ونظرا للدور الكبير الذي بات يلعبه العلماء عموما، والفقهاء خصوصا في توعية العامة وتنبيهها إلى مفاسد الحكام وتأليبها ضدهم، مثل دورهم في ثورة العامة القرطبية ضد الحكم الربضي سنة 189هـ/805م[1]، ودور أبي إسحاق الإلبيري، شاعر غرناطة في قيام سكان هذه المدينة بثورة ضد يهودها سنة 459هـ/1066م، بعد نظمه لقصيدته النونية المشهورة[2]، والأبيات التي نظمها الشاعر الغرناطي خلف بن فرج الإلبيري المعروف بالسميسر، معارضا ما قام به صاحب غرناطة باديس بن حبوس، من استيزاره لنصراني بعد مقتل وزيره اليهودي[3]، فقد حاولت الخاصة وتحديدا الحكام، التحالف مع هذه الطبقة بهدف شراء سكوتها، ومحاولة منع إمكانية تحالفها مع الطبقة الدنيا (العامة)، أما الطبقة الوسطى، فاستغلت هذا التحالف للحفاظ على امتيازاتها، وبهذا التحالف غير المعلن زال خطر الطبقة الوسطى على الحكام، واتجهت في غالب الأحيان نحو الهدوء والمسالمة وطاعة ولي الأمر[4].

3- الطبقة العامة:

تتكون هذه الطبقة من التجار والمزارعين الصغار والأجراء والعاطلين والعبيد[5]، وتميزت بانخفاض مستواها المعيشي، وسرعة تأثرها بالكوارث الطبيعية التي كانت تجتاح البلاد مثل القحط والفيضانات والمجاعات، وكذا تأثرها بالأحداث

علي التجيبي الدهان الغرناطي ت 653هـ/1255م (المقري-المصدر السابق-ج2 ص58)، ومحمد بن إبراهيم بن وهب القيسي من أهل طليطلة(ابن بشكوال-كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس- اعتنى به ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- بيروت- ط1- 1423هـ/2003م- ص422 رقم1180)، وزكريا بن بكر بن أحمد الغساني(ابن الفرضي- المصدر السابق- ص130رقم455)

1- عبد الواحد المراكشي- المعجب في تلخيص أخبار المغرب- تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي- مطبعة الاستقامة القاهرة- الطبعة الأولى 1368هـ/1949م- ص20.

2- المقري- المصدر السابق- ج4 ص322.

3- أبو طاهر السلفي- أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي- تحقيق إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت- الطبعة الأولى- 1963م- ص83 و84.

4- صالح خالص- المرجع السابق- ص72،73.

5- امحمد بن عبود- المرجع السابق- ص22.

السياسية كالحروب، إذ كانت أراضيها وممتلكاتها عرضة للنهب والتخريب[1]، كما تميزت بسرعة قابليتها للتمرد والقيام بالثورات، لذلك كانت بمثابة خطر يهدد الحكام[2].

كما كانت هذه الطبقة تتحمل الضرائب الباهضة، وبخاصة على عهد ملوك الطوائف، مما كان يضطرّ بعض أفرادها إلى الهجرة تاركين أراضيهم وممتلكاتهم، ونتج عن ذلك الفقر والحرمان في أواسط هذه الطبقة[3]، ففي مدينة ألمرية مثلا، تم إحصاء ألفي فقير معدم[4].

أما بالنسبة للعبيد، فقد كان عددهم كبيرا في الأندلس، مع اختلاف في مستواهم الاجتماعي تبعا لاختلاف أدوارهم، مما خولهم لعب دور هام في دعم سلطة الأرستقراطية وتمكين نفوذها السياسي والاقتصادي، ولا أدل على ذلك من المقولة المشهورة المنسوبة إلى الحكم الربضي بعد انتهائه من إخماد ثورة الربض سنة 202هـ/817م: "ما استعدت الملوك بمثل الرجال، ولا حامى عنها كعبيدها"[5]، ولذلك استكثر الحكم من العبيد، وبالأخص النصارى الذين استعملهم كجنود مرتزقة، كما ارتفع عدد العبيد النصارى في الأندلس في عهد المنصور بن أبي عامر نتيجة السبي جراء الغزوات المتعددة التي قام بها هذا الحاجب.

ومع بداية تفكك العصبية القبلية القديمة في عهد ملوك الطوائف، أصبح اعتماد هؤلاء على العبيد كبيرا فاستخدموهم كصناع وحرفيين وزراع وخدم داخل القصور، وتمتع بعضهم بمستوى حياة جيدة، ووصل عدد منهم إلى مراكز اجتماعية رفيعة[6].

4- الموالـي:

تحتمل كلمة مولى ستة معاني، فهي تعني العصبات كلهم، وتعني الناصر، وتعني الولي الذي يلي أمرا، والمولى أيضا هو الذي يسلم على يد آخر، ومولى النعمة، وهو المعتِق والمعتَق[1].

1- صالح خالص- المرجع السابق- ص48،47.
2- شوقي ضيف- ابن زيدون- دار المعارف مصر- الطبعة السابعة- د. ت- ص198.
3- عبد الله بن بلقين- كتاب التبيان- تحقيق أمين توفيق الطيبي- منشورات عكاظ- 1995- ص139/ ابن بسام- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة- تحقيق إحسان عباس- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 2000-ج2 ص198 وج3 ص19.
4- العذري- المصدر السابق- ص86.
5- ابن سعيد المغربي- المصدر السابق- ج1 ص43.
6- صالح خالص- المرجع السابق- ص74.

ويمكن تقسيم الموالي في الأندلس إلى ثلاثة أصناف، الصنف الأول وهم موالي العتاقة، أي الذين كانوا رقيقا ثم أسلموا وأعتقوا، فأصبحوا موالين لمعتقيهم، نذكر منهم أحمد بن بيطر[2]، وعبدوس[3]، وسعدان بن إبراهيم بن عبد الوارث[4]، وقاسم بن سعدان بن عبد الوارث[5].

والصنف الثاني هم موالي نعمة، ويختلفون عن الأوائل لأن هؤلاء لم يكونوا رقيقا، إنما ألحقهم قائد أو حاكم بنفسه تفضلا وتكرما منه، ومنهم إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد[6].

والصنف الثالث، موالي الاصطناع وهم الذين يدخلون تحت لواء حاكم أو قائد التماسا للحماية أو شرف المنزلة، وأبرز مثال على ذلك بنو قسي والفهريين كما يمكن تقسيم الموالي في الأندلس من حيث الجنس إلى أربعة أقسام وهي:

- موالي مشارقة: دخل أغلبهم في طالعة بلج بن بشر سنة 123هـ/740م[7].

- موالي من شمال إفريقية: أغلبهم من البربر الذين دخلوا مع طارق بن زياد سنة 92هـ/711م، وبعده، بالإضافة إلى مجموعة من الأفارقة الذين كانوا يعرفون بالسودان[8].

- موالي من أصول محلية إسبانية، بعضهم أسلم على يد الأمويين في الشام مثل قسي، والبعض الآخر أسلم في الأندلس مثل بني بارون وبني غومس وبني غرسية وبني قارلة وبني مرتين[9].

5- الصقالبة: الذين كانوا يجلبون صغارا، ويربون تربية إسلامية عربية، لِيُستعملوا في الخدمة العسكرية أو التسري، أو في خدمة الحريم بالنسبة للخصيان منهم، وكان أعلاهم مرتبة أولائك الذين كلفوا بخدمة الحكام الأمويين، إذ كانوا يلقبون

1- ابن منظور- لسان العرب - دار صادر- بيروت- ج15 ص409.
2- ابن الفرضي- المصدر السابق- ص33- رقم الترجمة 77.
3- نفس المصدر- ص137- رقم الترجمة 471.
4- نفسه- ص153- رقم الترجمة543.
5- نفسه- ص288- رقم الترجمة1072.
6- نفسه- ص64- رقم الترجمة216.
7- ابن القوطية- المصدر السابق- ص29.
8- المقري - المصدر السابق - ج1 ص262.
1- حسين مؤنس – المرجع السابق – ص 404.

بالخلفاء، مثل مبارك ومظفر، وظل عدد الصقالبة يزداد إلى أن بلغ 13750 صقلبيا[1] على عهد عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م).

ورغم أن الموالي لم يكونوا يشكلون طبقة اجتماعية معينة، ولم يكونوا جنسا من الأجناس المكونة للمجتمع الأندلسي، إلا أنهم لعبوا دورا كبيرا في تاريخ الأندلس السياسي والحضاري، وخصوصا في قيام دولة بني أمية هناك[2].

كما تولى عدد منهم مناصب هامة في الدولة، وشكلوا جزءا من الارستقراطية الأندلسية، فعبد الله بن خالد كان من كبار موالي بني أمية، وكان يملك معظم قرية ألفتين بكورة إلبيرة[3]، وأبو عثمان شيخ موالي بني أمية كان يملك أراضي شاسعة جدا جدا في قرية طرش من كورة إلبيرة[4].

1- رينهارت دوزي- تاريخ مسلمي إسبانيا- الجزء الأول: الحروب الاهلية- ترجمة حسين حبشي- مراجعة مختار العبادي وجمال محرز- دار المعارف- القاهرة- 1963م- ص38.
2- حسين مؤنس- المرجع السابق- ص403.
3- ابن القوطية- المصدر السابق- ص35.
4- المصدر نفسه- ص35.

الفصل الأول: التعريف بالمستعربين

أ) تسميتهم وظهورهم:

1- تحديد مصطلح المستعربين.

2- ظهور طائفة المستعربين.

ب) أصولهم.

ج) مواطن استقرارهم.

1- قرطبة

2-طليطلة

3-إسبيلية

4-أزياؤهم

د) أعيادهم.

* موقف المسلمين منها.

التعريف بالمستعربين:

أ)- تسميتهم وظهورهم:

1) تسميتهم: عندما فتح المسلمون الأندلس سنة 92هـ/711م، وجدوا غالبية سكانها يدينون بالديانة المسيحية، مع وجود أقلية يهودية، وكلهم يتكلمون اللغة الرومانسية، وهي الإسبانية القديمة المتولدة عن اللاتينية، والتي عرفت عند الكتاب المسلمين الأندلسيين باسم العجمية أو اللاتينية[1]، ومنها تطورت اللغة الإسبانية المتداولة حاليا في إسبانيا ودول أمريكا اللاتينية وبعض دول العالم الأخرى، إلا أن هؤلاء السكان تعربوا أو استعربوا نتيجة احتكاكهم بالفاتحين المسلمين فحاكوهم لسانا وزيا واعتنق بعضهم الإسلام، بينما بقي البعض الآخر على مسيحيته مكونا بذلك طائفة ضمن المجتمع الأندلسي، مسيحية الدين والعقيدة، عربية اللسان والمظهر، وهذه الطائفة هي التي عرفت فيما بعد "بالمستعربين"، "Los Mozárabes" باللغة الإسبانية.

*** تحديد مصطلح المستعربين:**

أطلق الكتاب المسلمون في العصر الوسيط، على الطائفة السابق ذكرها، أسماء أو نعوتا منها "العجم"، أي الذين لا ينحدرون من أصل عربي، إلا أن هذه التسمية كانت تشمل، بالإضافة إلى مسيحي الأندلس، اليهود ونصارى الشمال، ثم أصبح هذا اللفظ رديفا لهؤلاء[2].

كما أطلقت عليهم نعوتا أخرى منها "النصارى"، إلا أن هذا اللفظ، وإن كان يميزهم عن اليهود فإنه يخلط بينهم وبين نصارى دار الحرب، لذلك سموهم بأسماء

1- مريم قاسم طويل- غرناطة في عهد بني زيري البربر 403-483هـ/1012-1090م- مكتبة الوحدة العربية- الدار البيضاء- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1414هـ/1994م- ص249.

2- ابن حيان- المقتبس في أخبار بلد الأندلس-تحقيق عبد الرحمن علي الحجي-دار الثقافة- بيروت- 1965- ص64.

مركبة منها "أهل الذمة من العجم"[1]، وفي هذه التسمية أيضا يشترك معهم اليهود، بل أن ليفي بروفنسال يرى أن لفظ الذمة اختص به اليهود، بينما خُص المسيحيون بلفظ المعاهدين[2]، وهذا ما لم نجد له أصلا في المصادر والمراجع التي تصفحناها، بل وجدنا خلاف ما ذهب إليه هذا المؤرخ من أن مصطلح الذمة كان رديفا للنصارى المعاهِدين[3]، وسمي هؤلاء بذلك لأنهم عاهدوا المسلمين على الطاعة ودفع الجزية والخراج وعدم حمل السلاح في وجوههم أو التآمر ضدهم[4].

ولمزيد من الدقة في تمييز مسيحيي الأندلس عن غيرهم، نعتهم المسلمون بنعوت مركبة مثل "المعاهدون من النصارى"[5]، و"نصارى الذمة"[6]، تمييزا لهم عن اليهود، كما كانوا ينسبونهم أحيانا إلى المدينة التي يقطنونها[7].

أما الألفاظ الأخرى مثل "الروم"[8] و"الكفرة"[9] و"المشركين"[10] فكانوا يقصدون يقصدون بها نصارى الشمال، وأحيانا أخرى نصارى الأندلس الذين يثورون على السلطة الإسلامية.

واللفظ الذي اشتهر به هؤلاء في كتب التاريخ والوثائق المسيحية للقرون الوسطى، وبالأخص بعد سقوط طليطلة في يد مسيحيي الشمال سنة 478هـ/ 1085م في إطار ما سمي بحرب الاسترداد، هو "المستعرَبون".

أطلقت كلمة مستعربين في الشرق الإسلامي على مجموعات بشرية تعربت بسبب اختلاطها بالعرب الخُلّص، ويؤكد ذلك الأزهري (202-270هـ/817-883م)[1]،

1- ابن القوطية- المصدر السابق- ص32.

2 -Levy provençal–op. cit – T p77.

3- مجهول- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية- تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة- دار الرشاد الحديثة- الدار البيضاء- الطبعة الأولى- 1399هـ/1979م- ص 98،97،92،90.

4- حسين مؤنس- نفس المرجع- ص115،114.

5- ابن الخطيب- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام- تحقيق ليفي برفنسال- دار المكشوف- بيروت- الطبعة الثانية- 1956م- ص15 و18.

6- ابن حيان- المقتبس- نشره شالميطا- المعهد الإسباني العربي للثقافة- كلية الآداب بالرباط- مدريد 1979م- ص51.

7- ابن حيان- المقتبس- تحقيق علي حجي- ص64.

8- ابن عذاري- المصدر السابق- ج2 ص218.

9- المصدر نفسه- ص187.

10- نفسه- ص208.

حيث يقول: "المستعربة عندي، قوم من العجم دخلوا في العرب فتكلموا بلسانهم وحكوا هيئاتهم، وليسوا بصرحاء فيهم"[2]؛ يتبين من كلامه إذًا أن الاستعراب يكون باللسان والهيئة معا.

وأولى المجموعات البشرية التي أطلق عليها هذا الاسم هي القبائل العربية التي تنحدر من إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، والتي تعرف بالعدنانية نسبة إلى عدنان بن أدد بن دريد، أحد أحفاد إسماعيل عليه السلام، وتعرف أيضا بالمعدية نسبة إلى معد بن عدنان بن أدد، وبالنزارية نسبة إلى نزار بن معد بن عدنان بن أدد، ذلك لأن إسماعيل عليه السلام تعرب أو استعرب بعد اختلاطه بقبيلة جرهم العربية، والتي تزوج منها بالسيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي، التي أنجبت له اثني عشر ابنا ذكرا، كونوا فيما بعد، العرب المستعربة[3].

وكان أول من استعمل لفظ المستعربة أيوب بن القرية[4]، حين سأله الحجاج بن يوسف الثقفي عن أهل البحرين فقال: "نبط استعربوا"، ثم سأله عن أهل عمان فقال: "عرب استنبطوا"[5]، ثم استعملها المؤرخون المسلمون المشارقة أمثال الطبري وابن الأثير وابن كثير والبلاذري وغيرهم للإشارة إلى القبائل العربية مثل لخم وجذام وبهراء وبلي وعاملة، والتي كانت مستقرة بالشام أيام الفتوحات الإسلامية، وتعاونت مع الجيوش البيزنطية ضد المسلمين في معركتي مؤتة والقادسية[6]، على سبيل المثال، بينما لم نجد أثرا لهذا اللفظ في مصادر الغرب الإسلامي التي تصفحناها، سواء المتقدمة منها أو المتأخرة، أي أن كتّاب الغرب الإسلامي، وبخاصة الأندلسيين منهم،

1- هو العلامة أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي اللغوي النحوي الشافعي صاحب كتاب "تهذيب اللغة" وغيره من المصنفات الجليلة المقدار/ ابن خلكان- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تحقيق إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت- 1968م- ج4 ص344.

2- ابن منظور- لسان العرب- دار صادر- بيروت- ج1 ص588.

3- ابن الأثير- الكامل في التاريخ- تحقيق أبو الفدا عبد الله القاضي- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الثانية-1415هـ/1995م- ج1 ص95.

4- هو سليمان أيوب بن يزيد بن قيس، أعرابي أمي، وهو معدود من جملة خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة أربع وثمانين (84هـ/704م)/ابن خلكان- وفيات الأعيان- ج1 ص250-255/ الذهبي-سير أعلام النبلاء– تحقيق شعيب الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة- بيروت-ط9--1413هـ/1993م - ج4 ص346/الجاحظ- البيان والتبيين- تحقيق فوزي عطوى- دار صعب- بيروت- ط1-1968- ج1 ص185.

5- ابن خلكان-المصدر السابق- ج1 ص252/ابن منظور-المصدر السابق - ج7 ص411.

6- الطبري- تاريخ الأمم والملوك- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى-1407هـ/1989م- ج2 ص427.

لم يستعملوها كإشارة إلى مسيحيي الأندلس أو إلى غيرهم، ربما لأنه يُحتمل أن يشمل هذا اللفظ، إلى جانب هؤلاء الأسالمة واليهود والبربر، لأن كل هؤلاء تعربوا بعد الفتح الإسلامي للمغرب والأندلس.

من ذلك يتبين إذا أن لفظ مستعربين لم يستعمل من طرف المسلمين، إنما أطلق على نصارى الأندلس من طرف مسيحيي الشمال، بعد افتكاكهم طليطلة من أيدي المسلمين سنة 478هـ/1085م، وهذا ما يكاد يجمع عليه أغلب المؤرخين المحدثين، مثل ميكيل دي إيبالزا ومحمد عثمان جاد الرب وسيموني[1]، ورغم ذلك لاحظنا اختلافا في الآراء حول سبب ظهور هذه التسمية.

فحسين مؤنس يرجح أن هذه التسمية ظهرت في الأندلس قبل القرن الخامس الهجري(11م)، وتداولتها الألسن قبل أن تستعمل من طرف الكتاب النصارى الذين ألفوا بالعربية في الكلام عن أنفسهم وإخوانهم، ثم انتقلت حسب رأيه دائما، عن طريقهم إلى الكتاب النصارى الذين يكتبون باللغة اللاتينية في بلاد الإسلام، وبعدها انتقلت إلى الشمال المسيحي لتستعمل في المدونات والوثائق[2].

إذا أخذنا بهذا الرأي، فإننا نسلم بأن هذه التسمية ظهرت في الأندلس ثم انتقلت إلى المناطق الشمالية غير الخاضعة لسلطة المسلمين، وهذا مخالف لما أجمع عليه غالبية المؤرخين، وبخاصة الذين عنوا بدراسة هذه الطائفة أمثال فرانسيسكو خافيير سيمونيت (Francisco Javier Simont)، وإيزيردو دي لاس كاخيغاس Isirdo de las(Cagigas)، وإن كان اتخاذ نصارى الأندلس هذه التسمية لأنفسهم، فلابد أن يكون الهدف منه تميُّزهم عن نصارى آخرين غير مستعربين كانوا يعيشون معهم في نفس المجتمع، وهذا ما لم نجد له أثرا في المصادر والمراجع التي اطلعنا عليها.

ثم يعود مؤنس إلى القول، بأن هذه التسمية قد شُرع في استعمالها عندما استولى نصارى الشمال على مناطق فيها نصارى مستعربون، وذلك في نهاية القرن

1- ميكيل دي إيبالزا- المستعربون: أقلية مسيحية مهمة في الأندلس المسلمة- تعريب يعقوب دواني- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس- جمع سلمى الخضراء الجيوسي- مركز دراسات الوحدة العربية- ط2- 1999- ص 234/ محمد عثمان جاد الرب- المستعربون في عصر ملوك الطوائف بالأندلس(403- 486هـ/ 1012-1093م)- مجلة التاريخ العربي-العدد 25-1424هـ/ 2003م- الرباط- المملكة المغربية- ص250/ Francisco Javier Simonet- Historia de los Mozarabes de Espana- Amesterdam- Oriental Press- 1967-p IX

2- حسين مؤنس- المرجع السابق - ص 425.

5هـ/11م، وأنها كانت دارجة على ألسن نصارى الأندلس قبل انتقالها إلى الشمال المسيحي بعد سقوط مدن أندلسية في أيدي نصارى الشمال في إطار ما سمي بحركة الاسترداد[1]، إلا أنه لم يقدم أدلة على شيوع هذه التسمية في الأندلس قبل القرن 5هـ/11م، ويرى أنه من الخطأ تسمية مسيحيي الأندلس بالمستعربين قبل هذا التاريخ، لأن هذا اللفظ كان غير معروف وغير متداول[2].

إذا مما سبق، يتضح أنه من الخطأ إطلاق هذه التسمية على نصارى الأندلس قبل نهاية القرن 2هـ/8م، لأن الكنيسة لم تكن قد تعربت بعد بشكل فعلي ورسمي، ولكن بعد ذلك أصبح بالإمكان تسميتهم بهذا الاسم، غير أن المانع الذي حال دون استعمال هذا اللفظ، هو عدم وجود جماعات مسيحية غير مستعربة في الأندلس، أي لم تظهر حاجة لاستعماله قبل القرن 5هـ/11م، فهذا اللفظ ارتبط عند سيموني وأمثاله بالجماعات المسيحية في الأندلس، أما حسين مؤنس فركز في دراسته على الاسم دون المسمى.

ويشير بروفنسال إلى أن المسيحيين الأندلسيين الذين كانوا يهاجرون إلى المناطق الشمالية، كانوا يسمون هناك "ماولاتوس" "maullatus" ويستطرد قائلا أن هذه الكلمة لاتينية مستوحاة من الكلمة العربية (موالي)[3]، دون تحديد ما إذا كان هؤلاء فعلا موالي، والجهة التي يعلنون ولاءهم لها، والفترة الزمنية التي استعمل فيها هذا اللفظ.

وإذا فالرأي الراجح في نظرنا، هو ما ذهب إليه أغلب المؤرخين من أن تسمية مسيحيي الأندلس بالمستعربين، ظهرت بعد افتكاك ألفونسو السادس Alfonso VI (459-503هـ/1065-1109م) لطليطلة سنة 478هـ/1085م من أيدي المسلمين، وعثر فيها على عدد كبير من النصارى الذين كانوا يعيشون في ظل السلطة الإسلامية، ويتكلمون اللغة العربية، ويؤدون طقوسهم الدينية بها، ولهم عاداتهم الاجتماعية الخاصة بهم، والتي تميزهم عن بقية النصارى، لذلك كان لزاما إيجاد لفظ

1- نفس المرجع- ص425.
2- نفسه- ص427 الهامش رقم 1.
3 - Levy Provençal – op cit –T 3 p213.

أو صفة تميز هذه المجموعة، وبما أن الميزة الأساسية لهم هي الاستعراب أو التعرب، فأصبح أفرادها ينعتون بالمستعربين، أما نصارى الشمال فكانوا ينسبون إلى الجهة التي قدموا منها، كأن يقال قشتاليون castellanos، أراغونيون aragones، أو فرنجة francos[1].

ويجمع المؤرخون على أن هذا اللفظ (mozarabes)، هو تحوير للكلمة العربية "مستعرب" musta'rab، بفتح الراء، وليس musta'rib بكسرها، كما ذهب إلى ذلك بعض المؤرخين[2] مثل ديفورك، وقد ورد مكتوبا بعدة أشكال في الوثائق القشتالية، ففي الامتياز الذي منحه ألفونسو السادس لهذه الطائفة سنة 496هـ/1101م، رسم اللفظ بالشكل التالي (musta'rabes)[3]، وعرف هذا الامتياز الأول "بميثاق المستعربين"، أما في الامتياز الثاني الذي منحه ألفونسو السابع Alfonso VII (522-552هـ/1126-1157م)، لنفس المجموعة سنة 512هـ/1118م، فقد جاء مكتوبا كالتالي "muzarabes"[4]، وكتب أيضا "muzarabos" في الخطاب الذي وجهه البابا يوجين الثالث le pape Eugène III (1145-1153م/540-548هـ) إلى أهل طليطلة سنة 541هـ/1146م[5]، ورسم "mistarabes" في كتاب لأحد أساقفة طليطلة[6]، ونجد اللفظ أحيانا بـ "al" مثل "al mozarabes"[7]، ويورده الشاعر الإسباني غنثالوا دي بيرثيو بيرثيو Gonzalo de Bercio في بداية القرن 7هـ/13م كما يلي "mozarabia"[8]، أما الشاعر الإنجليزي أردريكو فيتال Arderico Vital فسماهم في بداية القرن 6هـ/12م "muceravios"[9]، وفي وثيقة ألفونسو المحارب Alfonso el Batador (498-530هـ/1104/1134م)، المؤرخة سنة 520هـ/1126م وجد اللفظ مكتوبا بالشكل التالي "mozarabis"[10].

1- حسين مؤنس- المرجع السابق- ص425.

2 - Dufourcq Charles Emmanuel – la vie quotidienne dans l'Europe médiévale sous domination arabe – hachette 1978 – 1ere édition – p 119.

3 - Simonet Francesco Javier –op .cit – p IX.

4 - ibid – p X.

5 -ibid – p XI.

6 -ibid – p XI.

7 -ibid – p X.

8 -ibid – p X.

9 -ibid – p X.

10 -ibid – p X.

يُلاحظ مما سبق، أن لفظ المستعربين، وإن اختلف في رسمه ونطقه، فإنه يشترك في كون حرف الراء فيه مفتوحا، مما يدل على أنه اسم مفعول مبني للمجهول، ولم يرسم براء مكسورة على أنه اسم فاعل، ربما يكون ذلك إيحاء من المستعربين، الذين اختاروا هذا اللفظ لأنفسهم، بأن الاستعراب فرض عليهم، وأن اندماجهم في الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس لم يكن بمحض إرادتهم، وهذا ليدفعوا عن أنفسهم تهمة التواطؤ مع السلطات الإسلامية في الأندلس والخضوع لها[1]، لها[1]، ولتبرير تخليهم عن لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم اللاتينية واستبدالها بأخرى عربية[2].

ويختلف المؤرخون حول سبب إطلاق هذه التسمية على نصارى الأندلس، إذ يذهب بعضهم إلى الاعتقاد بأن لفظ المستعربين يحمل دلالة تحقيرية[3]، وأنه لقب ازدراء أطلق عليهم بتهمة تعايشهم مع المسلمين لعدة قرون[4]، بينما يرى مؤرخون آخرون أمثال عبد القادر جاد الرب ومولينا J.P Molenat، أن نصارى الأندلس هم الذين طالبوا بأن ينعتوا بالمستعربين، حتى يكون هذا الاسم هوية لهم يتميزون بها عن بقية النصارى، ولم يعتبروه انتقاصا من شأنهم أو حطا من سمعتهم أو تعييرا لهم، وهذا ما نعتقده نظرا للامتيازات التي حصلوا عليها، والتي ذكرناها سابقا، بل أنهم كانوا يتشرفون بكونهم مستعربين وبتحكمهم في اللغة العربية، لأن هذه الأخيرة كانت لغة عالمية[5]، ولغة العلوم والفنون آنذاك[6]، كما كانوا يحسون أنهم أكثر تحضرا تحضرا من نصارى الشمال الذين كانوا أكثر خشونة وأدنى في المستوى الحضاري

---

1 - Molenat jean pierre – permanence de l'influence de la civilisation arabo-islamique dans la péninsule ibérique reconquise (XI siècle) notamment a travers les minorités transculturelles (mozarabes et mudéjares) l'occident musulman et l'occident chrétien au moyen âge – coordonné par Mohamed hammam – publié par la faculté des lettres a rabat – 1 édition 1995 – p279.

2- مارغريتا لوبيز غوميز- المستعربون نقلة الحضارة العربية الإسلامية- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس- جمع سلمى الخضراء الجيوسي- مركز دراسات الوحدة العربية– الطبعة الثانية-1999-ج1 ص213.

3- ميكيل دي إيبالزا- المرجع السابق- ص213.

4 - Molenat – op cit – p 279.

5عبد القادر جاد الرب- المرجع السابق- ص235/ Ibid –p 280

6- عبد العزيز بن عبد الله- العربية لغة العلم والحضارة- صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد- المجلد الخامس- العدد 1 و2- 1377هـ/1957م- ص257.

ومعرفتهم بالعربية أقل[1]، يضاف إلى ذلك الدور الهام الذي كانوا يقومون به، والمتمثل في نقل العلوم العربية الإسلامية إلى أوروبا المسيحية عن طريق الترجمة، وهذا ما جعل مسيحيي الشمال يكنون لهم كل الاحترام والتقدير[2].

2) ظهور طائفة المستعربين:

لم تتناول المصادر والمراجع تاريخ استعراب مسيحيي الأندلس بشكل صريح ودقيق، ولذلك حاولنا الاستفادة ما أمكن من الإشارات الواردة فيها من أجل الوصول إلى تاريخ تقريبي لتحولهم من استعمال اللاتينية إلى العربية كلغة تخاطب.

مما لاشك فيه، أنه لم يكن هناك أي احتكاك بين العرب المسلمين وسكان شبه جزيرة إيبيريا قبل الفتح الإسلامي، أي أنه لم يكن للعربية أي وجود في هذا الجزء من العالم، ولكن بعد عبور المسلمين إلى هذه المنطقة، وسيطرتهم عليها ابتداء من سنة 92هـ/711م، أصبح لامناص من التأثير والتأثر بين المجموعتين.

لقد كان هدف المسلمين منذ فتح شبه جزيرة إيبيريا، نشر الإسلام أولا وقبل كل شيء، ولكن لبلوغ هذا الهدف وتمكين الدين الجديد في نفوس الأهالي، الذين قدر عددهم آنذاك بحوالي ستة ملايين نسمة[3]، كان على الفاتحين إذا نشر اللغة العربية التي هي مفتاح هذا الدين.

وبعد إحكام المسلمين لسيطرتهم العسكرية والسياسية على الأندلس، سعوا إلى تنظيمها اقتصاديا، فكان أول عمل قاموا به في هذا الإطار خلال عهد الولاة، هو سك مجموعة من النقود، يمكن تقسيمها إلى أربع مجموعات:

- المجموعة الأولى من النقود ضربت في الفترة ما بين 92 و96هـ/711 و715م، وهي نقود لاتينية لا تحمل كتابات إسلامية[4]، مما يدفعنا إلى القول أن اللغة العربية لم تكن قد انتشرت بعد في أوساط الأهالي خلال هذه الفترة، أو أن انتشارها كان محدودا جدا، واقتصر على عدد قليل من النصارى، مثل زوجات بعض الفاتحين

1- المرجع السابق- ص259.

2- محمود علي مكي- قراءة جديدة لوثائق مستعربي طليطلة- <u>مجلة كلية الآداب</u>- جامعة القاهرة- مجلد 55 العدد 3- جويلية 1995م- ص11.

3- مارغريتا لوبيز غوميز- المرجع السابق- ج1 ص213.

4 - A . Guillou – les monnayages latino arabes – <u>revista del instituto egipcio de estidios islamicos</u> en Madrid – vol 3 – Madrid 1955 – fasc 1- p 60.

من النصرانيات، كزوجة الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير، المسماة إيخلونا Egilona أو أم عاصم، وزوجة زياد بن نابغة التميمي[1] وغيرهما، ولذلك لا يمكن خلال هذه الفترة، أن نتحدث عن وجود طائفة المستعربين.

- المجموعة الثانية من النقود تضمنت نصوصا لاتينية، إسلامية الطابع[2] مثل "non deus nisi deus solus" أي لا إله إلا الله الواحد، وأيضا " non deus similis alius" أي ليس كمثله شيء[3]، وقد تم إصدار هذه المجموعة في الفترة ما بين سنتي 96 و98هـ/715-717م، إن هذه المجموعة من النقود، إضافة إلى اعتبارها مظهرا من مظاهر تحكم المسلمين في اقتصاد الأندلس وتنظيمهم له، قد شكلت وسيلة من وسائل الدعوة إلى الدين الإسلامي القائم على التوحيد، كما أنها تدل على عدم الانتشار الواسع للمسلمين خلال هذه المدة.

- المجموعة الثالثة تضمنت كتابات بالعربية وأخرى باللاتينية، وكان الشروع في سكها سنة 99هـ/717م[4]، حيث يمكن اعتبار هذه السنة، بداية للانتشار الواسع للعربية في أوساط الأهالي.

-المجموعة الرابعة من القطع النقدية، والتي شرع في سكها سنة 106هـ/724م، حملت كتابات عربية فقط، وهذا ما يمكن اعتباره دليلا على استعراب نسبة كبيرة من سكان الأندلس، سواء الذين أسلموا منهم أو الذين بقوا على ديانتهم المسيحية.

مما سبق ذكره، يتضح أن اللغة العربية كانت، خلال عقد من الزمان ونيف، بعد الفتح الإسلامي للأندلس، قد تغلغلت في أوساط الأهالي، وبخاصة سكان الحواضر منهم، الذين أتقنوها وأصبحوا يضاهون العرب في ذلك، ولا أدل على ما نقول من العهد الذي كتبه مهدي بن مسلمة[5]، بتولية نفسه قاضيا على الأندلس، بأمر من واليها

1- ابن عذاري- المرجع السابق- ص23.

3 - A. Guillou – op cit – p 60.

3 - Duffourcq – op cit – p58.

4- A . Guillo – op cit – p60

1- مهدي بن مسلمة (116-123هـ/ 734- 740م): من قضاة قرطبة، ومن أبناء المسالمة، استقضاه عقبة بن الحجاج السلولي أمير الأندلس، وكان قد عرف بالعلم والدين والورع والبلاغة والبيان واللغة- التكملة لكتاب الصلة- ج2 ص203- ترجمة رقم 555/الخشني- قضاة قرطبة قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981- ص21-

آنذاك، عقبة بن الحجاج السلولي (116-123هـ/734-747م)، مع العلم أنه كان من أبناء الأسالمة، أي من أبناء الإسبان الذين أسلموا، ورغم ذلك كتب عهدا ظل أصلا من أصول القضاة لعهود طويلة في الأندلس، وهوما يسمح لنا بالقول أن استعراب الأهالي في الأندلس بلغ شوطا كبيرا خلال الثلاثين سنة الأولى بعد الفتح.

ويمكن إرجاع إقبال هؤلاء الأهالي على اللغة العربية خلال السنوات الأولى من الفتح الإسلامي إلى عدة أسباب، نذكر منها:

1- تفوق المسلمين عسكريا وسيطرتهم على الأندلس وإخضاعهم لها، مما حدا بسكانها المغلوبين إلى تقليد المسلمين في لغتهم وملبسهم وعاداتهم وتقاليدهم، لأن المغلوب مولع بتقليد الغالب، وأن النفس تعتقد الكمال في من غلبها[1].

2- انبهار الإسبان باللغة العربية، واكتشافهم ثراءها وسلاستها ونصاعتها، وفي المقابل قصور اللغة اللاتينية وصعوبتها، فاحتقروها وصاروا يتكلمون ويكتبون لغة الفاتحين، وهذا ما أشار إليه ألبارو القرطبي Alvaro de Cordoba، خلال القرن الثالث الهجري(9م)، في ندائه الذي وجهه إلى الشباب المسيحي قائلا: "...إن الشباب المسيحي لا يجد المتعة إلا في قراءة الكتب العربية وآدابها، وينفقون الأموال الطائلة على شراء الكتب وتشكيل مكتبات ضخمة... إن المسيحيين منا قد نسوا لغتهم..."[2].

3- إقبال النصارى واليهود، على حد سواء على تعلم اللغة العربية، طمعا منهم في الوصول إلى وظائف عليا في الدولة أو إلى ديوان من دواوينها[3]، وقد تمكن عدد منهم من تحقيق هذه الرغبة، وسنأتي على ذكر بعضهم، إلا أنه من الخطأ تعميم ذلك على كافة مسيحيي ويهود الأندلس.

ترجمة رقم 12/النباهي- تاريخ قضاة الأندلس المسمى "المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت- ص4

2- ابن خلدون- المقدمة- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى 1413هـ/1992م- ص155.

2- محمد القاضي- الإستعراب الإسباني والتراث الأندلسي من خلال ثلاث نماذج: خوان أندريس وغايانغوس وريبيرا- مجلة التاريخ العربي- الإصدار الثاني- العدد 20- خريف 1422هـ/ 2001م- ص 94.

3- محمد بن شريفة- الجذور التاريخية للاستعراب الإسباني- المغرب في الدراسات الاستشراقية- مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية- شوال 1413هـ/ أفريل 1993- ص65.

4- المعاملة الحسنة التي عامل بها الفاتحون المسلمون، أهالي الأندلس من تسامح ديني واحترام للممتلكات الفردية والدينية، والمعاهدات، بالإضافة إلى سماحة الإسلام، كلها حوافز دفعت هؤلاء إلى تعلم العربية.

5- اختلاط المسلمين منذ دخولهم الأندلس بأهلها، إذ اتخذ بعضهم من المسيحيات زوجات لهم، كما أن توزيع الجند الإسلامي على مدن الأندلس وإقامتهم وسط الأهالي، سهل إلى حد كبير استعراب هؤلاء[1].

لهذه الأسباب كلها انتشرت اللغة العربية في أوساط الأهالي، وأصبحت الأندلس كلها عربية في ظرف زمني لا يزيد عن قرن من دخول الإسلام إليها، حتى أن هاشم بن عبد العزيز[2]، لم يجد من النصارى المقيمين بمدينة ماردة من يقرأ له لوحا من الرخام وجده في أحد أسوار المدينة، وقد كتبت عليه عبارة باللغة اللاتينية[3].

اضطر المشرفون على الكنيسة إلى استعمال لغة الفاتحين بدل اللاتينية في أداء طقوسهم الدينية، وترجموا الأناجيل والوثائق الكنسية إليها، وأقبل مسيحيو الأندلس، وبخاصة النبلاء منهم على دراسة كتب الشعر والعلوم العربية، وشغفوا بالفن الأدبي العربي[4]، وأصبحوا ينظمون أشعارا بالعربية تنم على رقي مستواهم اللغوي وإجادتهم للعربية.

وكأمثلة على هذه الأشعار، الأبيات التي نظمها أحد القساوسة، ويدعى بسنتي Vicente خلال القرن 3هـ/9م، ذيل بها قوانين وقرارات كنسية مترجمة من اللاتينية إلى العربية، وأهداها إلى أسقف مستعرَب يدعى عبد الملك، ومن بين ما جاء فيها:

كِتابٌ لِعبدِ الملِكِ الأسقُفِ النَّدْبِ جَوادٍ نَـبيـلِ الرَّفْدِ في الزَّمنِ الجَدْبِ

هُمامٍ ذَكيِّ الحسِّ واحدِ عصْرِهِ عليمٍ كـريمٍ ذي علُومٍ وذِي لـُبِّ

تَجدَّدَ فضْلُ اللهِ فينا بفَضلِـهِ وعَمّ بـــه الأنَـامَ هَدْيُ الـرّبِّ

1- المقري- المصدر السابق- ج1 ص237.

2- هاشم بن عبد العزيز: كان وزيرا للأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ/852-886م)، عظم قدره أيام هذا الأمير، وكان قد أسر في إحدى غزواته إلى الشمال المسيحي؛ ففداه الأمير محمد، وبعد وفاة هذا الأخير ولاه منذر بن محمد (273-275هـ/886-888م) الحجابة مدة يسيرة، ثم حبسه وقتله/ابن الأبار- الحلة السيراء- ج1 ص36/ابن سعيد-المصدر السابق- ج1 ص125

3- الحميري- المصدر السابق- ص519.

4 -Duffourcq – op cit – p141

فَلا زالَ في عِزٍّ من اللهِ شَامِلٍ   متى انْهَلَّ مُزْنٌ في قُرَى الرَّبّ بِالسَّكْبِ[1]

كما نظم حفص بن ألبر، قاضي العجم على عهد عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م)، أرجوزة هي عبارة عن ترجمة لزبور النبي داود بن سليمان عليهما السلام، وتقع في خمسة آلاف وخمسمائة بيت أو شطر، من بين ما جاء فيها:

سَهَّلْتُ في الوَزْنِ وفي القَوَافِي   كَرَاهَةَ التَّبْدِيلِ والخِلافِ

ولَيسَ مَنْ قال عَلى اضْطِرارِ   كَقَائِلٍ قالَ على اخْتِيارِ

فإن يَكُنْ في ذِي القَرِيضِ لِينُ   فَلَيْسَ عن جَهْلٍ به يَكُونُ[2]

إن هذه الأبيات الشعرية دليل على تغلغل اللغة العربية في أوساط مسيحيي الأندلس، وعلى أن فهم اللاتينية أصبح عسيرا عليهم، مما استوجب عملية ترجمة الوثائق الكنسية إلى العربية.

وأمام هذا المد الجارف للغة العربية، اختفت إلى جانب اللغة اللاتينية اللغة البربرية، منذ القرن 3هـ/9م والتي اقتصر وجودها في الأندلس، على أسماء بعض الأماكن المنسوبة إلى القبائل البربرية التي استوطنتها، مثل منطقة زناتة Zaneta، وتعرف حاليا باسم "Adzaneta de Albaida"، بنواحي بلنسية، وقلعة جزولة " las Gazules"، وغيرهما من الأماكن.

وقد أثار إقبال مسيحيي الأندلس على اللغة والثقافة العربيتين، مخاوف بعض المسيحيين المتعصبين، من أمثال ألبارو القرطبي وإيلوخيو "Eulogio"، زعيم حركة الانتحاريين خلال حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (238-273هـ/ 852-886م)، لأنهم كانوا يرون أن عملية الاستعراب تعتبر الطريق المعبد الذي يؤدي إلى الدخول إلى الإسلام[3]، لذلك نبه ألبارو القرطبي في رسالته المشهورة إلى خطورة هذه الظاهرة، ودعا الشباب المسيحي إلى التمسك بلغته اللاتينية.

كما كان لبعض المؤرخين الأوروبيين المحدثين آراء متعصبة تجاه ظاهرة الاستعراب في الأندلس، إذ ذهب بعضهم إلى الادعاء بأن اللغة العربية فرضت على

1- محمد بن شريفة- المرجع السابق- ص66.
2- المرجع نفسه- ص66.
3- عبد القادر عثمان جاد الرب- المرجع السابق- ص256.

مسيحيي قرطبة من طرف الأمير هشام الرضا (172-180هـ/789-796م)[1]، وادعى آخرون بأن هذا الأمير منع المسيحيين من استعمال اللغة اللاتينية في الكلام والكتابة[2].

لم يجبر هذا الحاكم الأموي المسيحيين على استعمال اللغة العربية في الكنائس والأديرة لأداء طقوسهم الدينية، بل سمح لهم بذلك، أي أن المسيحيين هم الذين طالبوا بذلك، لأن اللاتينية تحولت إلى لغة ميتة، وبذلك يكون هذا الأمير قد ساهم في إنقاذ المسيحية من الاندثار والزوال في الأندلس[3]، إذ لو لم تلجأ الكنيسة الأندلسية إلى استعمال العربية في أداء طقوسها الدينية لاختفت، وربما قبل نهاية حكم الأمويين.

ويتمادى مؤرخون آخرون إلى أبعد من ذلك حيث ينكرون وجود المستعربين نهائيا، من بينهم انريك بايري Enrique Bayeri[4].

فمثل هؤلاء المؤرخين يهدفون من خلال أفكارهم هذه إلى التقليل من أهمية التأثير العربي الإسلامي في إسبانيا خلال العصور الوسطى.

وعموما، فإن المستعربين ظلوا متواجدين في المدن التي افتكها نصارى الشمال من المسلمين، بحيث بقيت العربية مستعملة في طليطلة، في الأحاديث اليومية والوثائق المختلفة، إلى غاية منتصف القرن 8هـ/14م[5]، كما تشير إلى ذلك لوحة على أحد أعمدة قصر نبيل من نبلاء هذه المدينة، سجل عليها باللغة العربية اسم بانيه، وسنة الانتهاء من بنائه، وهي سنة 736هـ/1335م[6].

ورغم ذلك، يؤكد بعض المؤرخين اللاتينيين أن المستعربين اختفوا نهائيا خلال القرن 6هـ/12م[7]، ويعيد بعضهم اختفاء هذه الطائفة إلى القرن 5هـ/11م، مستندين في ذلك على انعدام الأدلة على وجودها بعد هذا التاريخ[8]، إلا أن المستعربين وإن اختفوا

---

1 -Duffourcq – op cit – p140

2- المرجع السابق- ص254.

3-حسين مؤنس- موسوعة تاريخ الأندلس- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- الطبعة الأولى-1416هـ /1996م- ص61.

4- حسن عزوزي- التجربة الأندلسية في دراسات المستشرقين- مجلة كلية الشريعة- المملكة المغربية- جامعة القرويين- العدد 20 – 1995 - ص332.

5- مارغريتا لوبيز غوميز- المرجع السابق- ص281.

6 - Jean Pierre Molenat – les mozarabes un exemple d'intégration dans Tolède XII-XIII siècle – édition autrement paris – série mémoires N 5 1991 – p100.

7-Mikel de Epalza –les mozarabes état de question –études centre national des lettres – décembre 1993 – p46.

8- مارغريتا لوبيز غوميز- المرجع السابق- ص257.

كمجموعات مهيكلة دينيا وإداريا، فإنهم بقوا على شكل أقليات متشبثة في المجتمع المسيحي في بعض نواحي بلنسية مثلا، إلى غاية القرن 13هـ/19م[1].

ب) أصولهم:

تكاد المصادر التي أشارت إلى تاريخ إسبانيا قبل الفتح الإسلامي تجمع على أن معظم سكانها كانوا من أصل روماني خضعوا لسيطرة القوط الغربيين[2]، ورغم أن هؤلاء كانوا أقل عددا من السكان الأصليين، إلا أنهم أخضعوا إسبانيا لسيطرتهم، واستحوذت الطبقة الأرستقراطية منهم على أجود الأراضي الزراعية، واستعبدت عامة الرومان، كما استعبدت الطبقة العامة من القوط[3].

وكلتا المجموعتين، الرومانية والقوطية كانت تدين بالديانة المسيحية، وتحديدا بالمذهب الكاثوليكي الذي رسمه الملك القوطي ريكارد الأول[4] Recared I في إسبانيا إسبانيا سنة 587م، بدل المذهب الأريوسي[5] الذي كان مفروضا في إسبانيا قبل ذلك.

يضاف إلى هؤلاء، وجود أقلية من اليهود، كانت هي الأخرى مضطهدة من طرف الأرستقراطية القوطية، وهذا ما يفسر ترحيب اليهود بالفتح الإسلامي، لإسبانيا، واستعانة الفاتحين بهم في إدارة المدن المفتوحة مثل غرناطة وطليطلة[6].

وبعد الفتح الإسلامي تحولت مجموعة من الروم والقوط إلى الإسلام بينما فضلت المجموعة الأخرى البقاء على ديانتها المسيحية أو اليهودية، واحتفظت بدور عبادتها كما ضمن لها المسلمون حقها في أداء طقوسها الدينية بكل حرية، مما شجعها على البقاء في الأندلس والعيش تحت راية الحكم الإسلامي، وأغرى ذلك مسيحيين آخرين على التوجه نحو الأندلس والاستقرار بها، وهذا ما أدى إلى تعدد أصول المستعربين في الأندلس.

1- عبد العزيز بن عبد الله- المرجع السابق- ص258.

2- ابن الأثير- المصدر السابق- ج 4 ص265/المقري- المصدر السابق- ج1 ص138.

3- عبد الواحد ذنون طه-المرجع السابق- ص95.

4- ريكارد الأول RECARD: ملك قوطي حكم إسبانيا من 586 إلى 601، ومن أهم الأعمال التي قام بها ترسيمه للمذهب الكاثوليكي عوض المذهب الآريوسي- larousse illustré 2005 – edition larouse 2004 p1671.

5- الآريوسية مذهب مسيحي يقول بنبوة عيسى بن مريم عليه السلام فقط، الشهرستاني- الملل والنحل- تحقيق أبي محمد محمد بن فريد- المكتبة التوفيقية- القاهرة- د ت– ج1 ص231 و234.

6- المقري-المصدر السابق- ج1 ص263-264.

فبعضهم كان يدعي انحداره من أصل عربي مشرقي، وبالتحديد من جبلة بن الأيهم ملك الغساسنة[1]، ومن هؤلاء سكان حِصْنَين يقعان إلى الشمال الغربي من مدينة بيزيو Viseu[2]، الذين تعرضوا لغزوة من طرف المعتمد بن عباد، صاحب مملكة إشبيلية، واقتاد ثلاثمائة من شبابهم نحو عاصمة مملكته كأسرى حرب، من بينهم شيشند Sisnando Davidez[3]، وهذا طرح انفرد به إيزيدرو دي لاس كاجيغاس دون غيره، إذ لم نجد له أصلا في المراجع والمصادر التي اطلعنا عليها، وهذا لا ينفي ورود بعض المسيحيين من المشرق الإسلامي على الأندلس، نذكر منهم راهب فلسطيني يسمى جورج George من مواليد بيت لحم، نال شهرة كبيرة بين مسيحيي قرطبة خلال القرن الثالث الهجري (9م)[4]، ولابد أن تكون شهرته ناتجة عن طول مقامه بالمدينة.

ووجد بالأندلس مستعربون من المشرق المسيحي، وبالتحديد من بيزنطة، كهؤلاء العمال المهرة الذين استجلبهم الخليفة عبد الرحمن الناصر لتشييد قصره العظيم الذي سماه الروضة[5]، كما استجلب ابنه الحكم المستنصر، صناعا مهرة من بيزنطة لتزيين الزيادة التي بناها بالمسجد الأعظم بقرطبة، بواسطة الفسيفساء[6].

والأرجح أن يكون هؤلاء الصناع البيزنطيون قد استقروا في الأندلس بعد انتهائهم من مهمتهم، كما كان الشأن بالنسبة للراهب نيقولا الذي أرسله الإمبراطور البيزنطي أرمانيوس الأول Romain I (308-333هـ/920-944م) إلى قرطبة ليساهم في ترجمة كتاب الأعشاب لديسقوريدس من الإغريقية إلى العربية، والكتاب المذكور كان قد أرسله الإمبراطور البيزنطي السالف ذكره إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن

1- جبلة بن الأيهم بن جبلة الغساني (ت 20هـ/644م): آخر ملوك الغساسنة، حارب إلى جانب الروم ضد المسلمين في معركة اليرموك سنة 15هـ/636م، ثم اسلم ثم ارتد في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والتحق بالقسطنطنية، وظل بها إلى أن توفي- الذهبي-المصدر السابق- ج3 ص532- رقم الترجمة 137/الزركلي- الأعلام- دار العلم للملايين- بيروت- الطبعة الخامسة- 1980م- ج2 ص112،111.

2- بيزو مدينة أندلسية من كورة ماردة تقع إلى الشمال الشرقي من أوبورتو(Porto بالبرتغال حاليا)، مع اختلاف في تسميتها فهي بيزو Beseo عند حسين مؤنس في فجر الأندلس- ص490، وبازو أو بارو Viseo Viseu عند المقري في نفح الطيب- ج1 ص276- الهامش رقم 1، وهي أيضا بشوة Beseo عند Simonet-op. cit- p 809- 810.

3 - Isidro de las Cagigas – los mozarabes – instituto de estudios africanos – Madrid 1947 – tomo 2 p 456.

4 -Duffourcq –op. cit- p86.

5- ابن خلدون- كتاب العبر- ج4 ص172.

6- ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص42.

الناصر سنة 377هـ/948م، ورغم أن الراهب أنهى مهمته التي أرسل من أجلها، إلا أنه فضل الاستقرار في الأندلس إلى أن توفي بها في بداية حكم الخليفة الحكم المستنصر 350-366هـ/961-976م[1].

ووفد على الأندلس مسيحيون من الشمال، وبالأخص من الأرض الكبيرة، وراء جبال البرانس (فرنسا حاليا)، والذين كانوا يعرفون بالفرنجة، إذ كان بعضهم يُتخذ كحرس خاص من طرف الحكام الأمويين؛ فقد أهدى الوزير جعفر المصحفي مائة مملوك من الفرنجة بأسلحتهم وخيولهم إلى الحكم المستنصر بمناسبة توليه الخلافة[2].

كان بعض المسيحيين يتوجهون نحو الأندلس بحثا عن العمل والارتزاق، لما تمتعت به هذه الأخيرة من رفاهة في العيش، ووفرة فرص العمل، والتسهيلات التي كانوا يجدونها هناك، فالتجار مثلا كانت تمنح لهم شهادة أمان تتراوح مدة صلاحيتها بين أربعة أشهر وسنة، يتجولون بموجبها في كل أنحاء الأندلس دون أن تفرض عليهم الجزية[3]، الأمر الذي شجع عددا كبيرا من التجار المسيحيين على التوجه من كل أنحاء أوروبا نحو الأندلس، وبالأخص من شمال شبه جزيرة إيبيريا وإيطاليا[4]، ولا يستبعد أن يكون بعضهم قد فضل الاستقرار في الأندلس، والاندماج في جماعات المستعربين المحلية.

وإلى جانب التجار، كان الرسل المسيحيون الذين يصلون إلى الأندلس، قادمين من الغرب المسيحي، يمكثون بها فترة طويلة تمكنهم من الاندماج في المجتمع الإسلامي الأندلسي.

فرسول الملك أوتو الأول otto 1er[5]، بقي في قرطبة مدة ثلاث سنوات،

1- ابن أبي أصيبعة- المصدر السابق- ص494.
2- المقري- المصدر السابق- ج1 ص382/ ابن خلدون- المصدر السابق- ج4 ص173.
3- أوليفيا ريمي كونستبل- التجارة والتجار في الأندلس- تعريب فيصل عبد الله- مكتبة العبيكان- الرياض الطبعة الأولى- 1423هـ/2002م- ص117.
4- المرجع نفسه- ص117.
5- أوتو الأول ملك جرمانيا (936-937م) وحد ألمانيا وإيطاليا سنة 961م، وأصبح بذلك الإمبراطور الأول للإمبراطورية الجرمانية المقدسة 962-937 بعد تتويجه بذلك من طرف البابا يوحنا بولس 12 (Jean Paul XII larousse illustré 2005– edition larousse 2004– p 1616.)

استطاع خلالها الاطلاع على بعض مظاهر الثقافة العربية ونقلها إلى بلاده[1]، ولاشك أن أكثر المظاهر الثقافية تأثيرا في هذا الرسول هي اللغة العربية، إذ أن هذا الأخير يكون قد استعرب خلال المدة التي بقاها بالأندلس بهدف الاتصال بمختلف سكان الأندلس.

كما توافد على الأندلس عدد من مسيحيي الممالك الشمالية لشبه جزيرة إيبيريا، ومن طبقات مختلفة، وعلى رأسهم السادة البشكنس والليونيين الذين التحقوا بقرطبة في عهد المنصور بن أبي عامر، والذي أشركهم معه في بعض حملاته[2]، فإن كان هؤلاء قد وصلوا إلى الأندلس بمحض إرادتهم، فإن أعدادا أخرى من نصارى الشمال قد جيء بهم كسبي خلال عهد الدولة الأموية، حتى أن عدد السبي فاق في بعض الحملات خمسة آلاف وخمسمائة وسبعين رأس[3].

ومحاولة منه لإبراز ضخامة عدد الأسرى المسيحيين في الأندلس، يذهب ليفي بروفنسال إلى تقدير خُمُس هشام بن عبد الرحمن الداخل من غنائم إحدى الغزوات بخمسة وأربعين ألف رأسا من السبايا المسيحيين، إضافة إلى كميات هامة من الذهب والفضة[4].

وفي عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر، تعددت غزوات الجيش الأندلسي للمناطق المسيحية في الشمال، كللت كلها بالنصر، وارتفع عدد السبايا من المسيحيين الذين اقتيدوا إلى الأندلس، حتى امتلأت هذه الأخيرة سبيا من بنات الروم وأولادهم ونسائهم[5]، وانخفضت أسعار الجواري الروميات في أسواق الأندلس في عهد هذا

1- علي أحمد- المؤشرات الحضارية العربية الأندلسية والمغربية في الغرب الأوروبي وكيفية انتقالها خلال العصور الوسطى - الغرب الإسلامي والغرب المسيحي – تنسيق محمد حمام- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- بالرباط 1995م- ص213.

2- Levy Provençal – op cit – T2 p249.

3- ابن عذاري- البيان المغرب- ج3 ص8.

4- Levy Provençal – op cit – T1 p145.146.

- الرقم الذي يورده ليفي بروفنسال يبدو في نظرنا مبالغا فيه خاصة إذا علمنا أن الرقم الإجمالي للأسرى والسبايا المسيحيين سوف يبلغ في هذه الحالة (مائتين وخمسة وعشرين ألف أسير 225000) وقد أحل بروفنسال فيما يخص هذه المعلومة على النفح المقري إلا أننا لم نجد أثرا لها في هذا المصدر، ولكنها واردة عند ابن عذاري في البيان المغرب ج2 ص64، بالصبغة التالية: "وأوقع (هشام الرضى) بمدينة أربونة، وكان فتحا عظيما بلغ فيه خمس السبي إلى خمسة وأربعين ألفا من الذهب العين..."، فالواضح هنا أن ابن عذاري لا يقصد السبايا من النصارى إنما يقصد الغنائم من الذهب، وأنه عندما يريد الحديث عن الأسرى يضيف إلى العدد عبارة رأس.

5- عبد الواحد المراكشي- المصدر السابق- ص38.

الحاجب، حتى بيعت ابنة عظيم من عظماء الروم في قرطبة رغم جمالها الفتان، بما يعادل عشرين دينارا عامرية فقط[1].

وبما أن هؤلاء السبايا كان يؤتى بهم من الممالك النصرانية، شمال الأندلس يعني أنهم كانوا من أصول بشكنسية، مثل جارية المستنصر وأم ولده هشام المؤيد المسماة صبح Aurora، وجليقية وأراغونية وقشتالة، وكان يحتفظ بأغلب الرقيق من الإناث في المدن لاستخدامهن في رعاية الأطفال أو خدمة البيوت أو غير ذلك، أما الذكور فكانت غالبيتهم في الأرياف، لأنهم كانوا يستخدمون في الأنشطة الزراعية.

ولكون الأندلس مركزا من مراكز الإشعاع العلمي في العالم الإسلامي، فإنها اجتذبت طلاب العلم من كل أنحاء أوربا للنهل من مختلف العلوم، من بينهم جربير دوريلاك Gerbert d'Aurillac، من أوفرنيا (327-394هـ/938-1003م)، الذي درس عدة علوم في الأندلس، وبالأخص الرياضيات، وكان له الفضل في إدخال الأرقام العربية إلى أوروبا، ونتيجة لعلمه عينته الكنيسة بابا من 391-394هـ/999 إلى 1003م، وأصبح يلقب بالبابا سلفستر الثاني[2]، وكذلك ميخائيل سكوتوس الاسكتلندي الأصل، والذي تعلم العلوم العربية في طليطلة، واستطاع أن ينال إعجاب القيصر فريديريك الثاني ملك صقلية 592-648هـ/1194-1250م، بفضل مستواه العلمي، وقد ساهم سكوتوس في ترجمة عدة كتب عربية إلى اللاتينية، مثل كتاب "الحيوان" لابن سينا، وكتاب "شروح فلسفة أرسطو طاليس" لابن رشد[3].

وانتقلت إلى الأندلس، خلال القرن الثالث الهجري(9م)، أعداد من المسيحيين البربر الأحفاد الروحيين للقديس أوغسطين Saint Augustin (354-430م)[4]، وظلوا بالأندلس إلى نهاية القرن الخامس الهجري (11م)، حين بدأت أعداد منهم بالعودة إلى

1- المصدر نفسه- ص38.

2- جوزيف رينو- الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرون 8 و9 و10 الميلادية- تعريب إسماعيل العربي- دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر ط 1 - 1984م- ص252 و253/ريغريد هونكة- شمس العرب تسطع على الغرب- تعريب فاروق بيضون وكمال الدسوقي- دار الآفاق الجديدة- بيروت- ط 5- 1401هـ/1981م- ص353.

3- المرجع نفسه- ص448.

4 - Dufourcq – op cit – p 86.

المغرب، بعد سقوط عدد من المدن الأندلسية الهامة في يد نصارى الشمال، في إطار ما سمي بحركة الاسترداد، وساهم بعضهم كمرتزقة في هذه الحركة ضد المسلمين[1].

أما الصقالبة، الذين كانوا يشكلون نسبة معتبرة من المجتمع الأندلسي، فقد تعددت المواطن التي كانوا يجلبون منها، فمنهم الجرمان والاسكندنافيين والسلاف والافرنج[2]، كما أطلق هذا اللفظ على المجلوبين من سواحل البحر الأسود، ومن كالابريا ولمبارديا وسبتمانية وجليقية[3]، وذكر المقدسي أن الصقالبة كانوا يجلبون من منطقة خلف خوارزم[4]، ويحملون إلى الأندلس، فيخصون ثم يوجهون نحو المشرق وخصوصا مصر[5]، ويبدو أن ثمن هؤلاء الخصيان كان مرتفعا جدا، حتى أن الملوك كانوا يتهادونهم، فقد بعث ملك برشلونة وملك طركونة بهدية إلى الحكم المستنصر، من ضمنها عشرين من الخصيان الصقالبة[6]، وقد جند عبد الرحمن الأوسط بعض هؤلاء الصقالبة مع الفرنجة، وبعض الأسرى من سبتمانية، كحرس خاص به، وكانوا يسمون بالخرص لعجمتهم[7].

أما المجوس الذين ارتبط ذكرهم في المصادر الأندلسية بالهجومات التي شنوها على الأندلس خلال الثلاثينيات من القرن الهجري الثالث، فيقصد بهم سكان المناطق الشمالية من أوروبا، وقد سمتهم بعض المصادر بالأردمانيين[8] أو النورماند.

ولم يكن إطلاق تسمية المجوس على هؤلاء الأقوام لديانتهم، لأنهم كانوا يدينون بالديانة المسيحية[9]، إنما يعود حسب بعض المؤرخين إلى استعمالهم النار بكثرة أثناء هجوماتهم على الأندلس، لحرق كل ما كان يصادفهم.

---

1 - Brahim Harakat – la communauté chrétienne celles d'origines chrétienne en Espagne musulmane vues par les sources arabes - l'occident musulmane et l'occident chrétien – publications de la faculté des lettres – rabat 1995 – p 202.
2 - Levy provençal – op cit – tome 3 p 179.
3 - ibid – tome2 p 124.

4- خوارزم: كورة على حافتي جيحون(نهر أموداريا حاليا)، جليلة واسعة، كثيرة المدن، ممتدة العمارة على عمل بلاد الروم، وطباع خوارزم كالبربر- المقدسي- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم – ص225 و226.
5- المقدسي- المصدر السابق- ص194.
6 - تاريخ ابن خلدون- ج 4 ص174.
7- المصدر نفسه- ج 4 ص153.
8- ابن سعيد- المغرب- ج1 ص49.
9- المصدر نفسه- ج1 ص49.

وقد اختلف في موطنهم الأصلي، فالبعض يرى أنهم الإنقليس، أو الإنكليز[1]، أي أي الإنجليز حاليا، ويرى آخرون أنهم الروس[2]، وحاول المقري تحديد موطنهم في جزائر السعادات[3]، ولكن الأرجح أنهم الفايكينغ[4]، أي سكان اسكندنافيا حاليا.

ورغم ذلك، يذكر ابن الخطيب أن هشام بن عبد الجبار كان له صاحب يسمى طرسوس المجوسي[5]، فهل كان طرسوس هذا من المجوس الذين سبق ذكرهم؟، وهل كان يدين بالديانة المجوسية؟، أم مجرد لقب أطلق على هذه الشخصية[6]؟

كما ورد ذكر لأصول أخرى للنصارى في الأندلس، مثل المالطيين[7]، أي القادمين من جزيرة مالطا، وعموما فقد حظي المسيحيون الأجانب بالمكانة القانونية نفسها التي كان يتمتع بها المسيحيون الأصليون[8]، ورغم ذلك سعى بعض المؤرخين الإسبان المحدثين إلى تقسيم المستعربين إلى مستعربين جدد، وهم الأجانب الذين حلوا بالأندلس بعد الفتح الإسلامي، أو ذوي الإقامة المؤقتة فيها، والمستعربون الأوائل، وهم الذين وجدوا في الأندلس عند الفتح[9]، إلا أن المسلمين لم يفرقوا بين المسيحيين، بل عاملوهم كلهم معاملة واحدة.

ج) <u>مواطن استقرارهم:</u>

سبق أن أشرنا أن غالبية سكان الأندلس، قبل الفتح الإسلامي، كانوا يدينون بالديانة المسيحية، مع وجود أقلية يهودية، وأن المسلمين لم يجبروا هؤلاء وأولئك على اعتناق الديانة الإسلامية، بل احترموا معتقداتهم وتركوا لهم حرية وأماكن أدائها، ورغم ذلك فإن أعدادا منهم اعتنقت الإسلام طواعية، وبينما بقيت مجموعات أخرى متشبثة بديانتها المسيحية، واختلفت أعدادهم من منطقة إلى أخرى، ومن مدينة إلى أخرى، إلا أن هناك مدنا كانت بمثابة مراكز لتجمع النصارى في الأندلس، وهي

1- ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص20.
2- المسعودي- مروج الذهب- ج1 ص63.
3- المقري- نفح الطيب- ج1 ص167.
4- ابن حيان- المقتبس - تحقيق محمود علي مكي- ص597، الهامش رقم 496.
5- ابن الخطيب- المصدر السابق- ص110.
6- لم أعثر على ترجمة لهذه الشخصية.
7- ابن حيان- المقتبس - اعتنى بنشره الأب ملشور م. أنطونية- ص25.
8-. ميكيل دي إيبالزا- المستعربون أقيلة مسيحية مهمة في الأندلس- ص237
9-المرجع نفسه- ص 245.

قرطبة وإشبيلية وماردة وطليطلة، لأنها كانت عواصم لملوك إسبانيا قبل الفتح[1]، ولكونها مراكز للثقافة الرومانية القوطية[2]، بالإضافة إلى الخصائص الجغرافية والدينية والسياسية التي تمتعت بها كل مدينة من هذه المدن.

<u>1/ قرطبة:</u> كانت قبل الفتح الإسلامي إحدى عواصم ملوك إسبانيا، ومن بين المدن التي أمر القيصر أكتافيوس[3] ببنائها، حوالي سنة 38 ق. م[4]، كما أنها كانت مركزا لكرسي الأسقفية التابعة لمطرانية إشبيلية[5]، اتخذها المسلمون عاصمة للأندلس بعد الفتح، وهذا ما أعطاها أهمية سياسية وإدارية واقتصادية وثقافية، فأصبحت بذلك قبلة للعلماء والفقهاء والقضاة، وقصدها أيضا عدد من المسيحيين، سواء من داخل الأندلس، أو من الشمال النصراني، أو حتى من خارج شبه جزيرة إيبيريا، فحوت بذلك عددا هاما من النصارى، تجمع أغلبهم في حي المستعربين، الواقع آنذاك إلى الشرق من قصبة المدينة، أو المدينة العتيقة[6]، وهذا لا يعني أن الأرباض الأخرى خلت منهم، فوجود عشر الكنائس موزعة على أنحاء قرطبة[7] دليل على انتشارهم في المدينة وأرباضها من جهة، وعلى ارتفاع عددهم من جهة أخرى، نذكر من بين هذه الكنائس، كنيسة شنت أجلح Saint Aciscle الواقعة في ربض الرقاقتين بالقرب من قصبة المدينة[8]، وكنيسة القديسين (خوست وجانفي ومارسيل)، وأخرى في حي الطرازين[9].

6- الحميري- الروض المعطار- ص59.

7-Isidro de las Cagigas – los Mozarabes – t1 p59

1- هو كايوس جوليوس قيصر أوكتافيوس Caieus Julius Caesar Octavius ولد بروما يوم 23-09-63 ق م حفيد يوليوس قيصر، ورث عن جده الإمبراطورية الرومانية وظل إمبراطورا من 27 ق م إلى 14م- le petit Larousse – illustré 2005 – 100eme édition – édition Larousse 2004 – page 1184.

2- المقري- نفح الطيب- ج1 ص.481

3 Simonet – op cit – p 809.

6- L. Provençal – op cit – t3 p 365.

7 - Isidro de las Cagigas – op cit – t1 p58.

8 - L. Provençal – op cit – t3 p 365.

9 - ibid – t3 p225.

وتشير وثائق إلى وجود أساقفة في جبال قرطبة خلال القرن الثالث الهجري(9م)[1]، وهذا دليل على وجود كنائس في أرياف قرطبة، منها كنيسة القديس مارتين، وكنيسة القديسة أولائي Eulalie[2].

وتبقى الكنيسة الأهم في قرطبة، تلك المعظمة بين النصارى[3]، وربما تكون الكنيسة التي حاصرها مغيث الروسي لمدة ثلاثة أشهر، أثناء فتحه لقرطبة، دون أن يستطيع اقتحامها، نظرا لحصانتها، ولم يدخلها إلا بعد إلقاء القبض على زعيم المجموعة المسيحية المتحصنة بها عند محاولته الفرار، ثم استسلام بقية المجموعة وإعدامهم بعد ذلك، ولهذا أصبحت هذه الكنيسة تسمى كنيسة الأسرى[4]، كما وجدت كنيسة أخرى حملت اسم القديس مرتين San Martin[5].

إضافة إلى هذه الكنائس، انتشر بقرطبة وضواحيها أكثر من تسعة أديرة، أشهرها دير أرملاط، وكذا منازل للراهبات.

ومما زاد من أهمية قرطبة الدينية عند المسيحيين، هو انتقال كرسي المطرانية إليها من طليطلة[6]، وعقد مجامع طليطلة بها، وبذلك أصبح لقرطبة ثقل ديني عند المسيحيين، واستقطبت أعدادا منهم.

كما كان لثراء المدينة[7] واتساعها، وتعدد فرص العمل فيها، أثر إضافي في استقرار المسيحيين فيها، فربض شقندة مثلا، كان يضم عددا من التجار الصغار والحرفيين المسيحيين[8].

1- ميكيل دي إيبالزا- المرجع السابق- ص244.

2 -L. Provençal – op cit – t3 p225.

3- المقري- المصدر السابق- ج1 ص520.

4- المصدر نفسه- ج1 ص263.

5 - Levy Provencal – op cit – 2/161.

6 - Simonet – op cit – p124.

7- الحميري- المصدر السابق- ص456.

8 -Levy Provençal – op cit – t1 p161.

صفحة مخصصة للخريطة

2- طليطلة Toledo:

هي إحدى المدن القديمة التي أمر الإمبراطور أوكتافيوس ببنائها، كلفت عاصمة ملوك القوط قبل الفتح الإسلامي، ومما زاد من أهميتها موقعها الجغرافي الهام، إذ تتوسط شبه جزيرة إيبيريا، مما يسمح لها بالإشراف على كافة أنحاء شبه جزيرة إيبيريا، أضف إلى ذلك خصوبة أراضيها وكثرة مياهها، إذ يخترقها نهر تاجة Tajo، وفوق كل ذلك، تمتعها بحصانة ومناعة طبيعية، فقد وصفها ابن حيان، بقوله: "إنها أم المعاقل، وقاعدة المدائن التي عظم في الأوائل خطرها وأعجز ملوك الأمم مرامها"[1]، مع قربها من الثغر الأعلى، مما جعلها مقصد عدد كبير من النصارى.

وقد حظيت طليطلة بمكانة دينية متميزة، إذ كانت مقرا لكرسي المطرانية[2]، ويزعم أهلها أنها تضم رفاة أهل الكهف[3]، وأن سليمان بن داوود وعيسى بن مريم وذي القرنين والخضر عليهم السلام دخلوا هذه المدين[4]، وعند فتحها عثر المسلمون فيها على مائدة سليمان عليه السلام.

هذه العوامل كلها، أضفت على طليطلة صبغة المدينة المسيحية المتميزة في الأندلس، وجعتلها مركز هذه الديانة في هذا البلد.

وعند فتح المسلمون لهذه المدينة، وجدوا بها عددا من الكنائس التي ظلت مفتوحة أمام المسيحيين، إلى غاية افتكاك النصارى لها من المسلمين سنة 478هـ/1085م، حينها أمكن إحصاء تسع كنائس، أهمها كنيسة جميع القديسين وهي أعظم كنائس طليطلة، وكنيسة القديسة مريم Santa Maria، وكنيسة القديسة ماريا دي ألفثين Santa Maria de Alficen،وهي كنيسة كبيرة، كانت مقر كرسي المطرانية

1- ابن حيان- المقتبس- نشره شالمطا– ص272

2 -Simonet – op cit – p124.

3- ياقوت الحموي– معجم البلدان– دار صادر– بيروت– 1984– ج 4 ص 40.

4- المقري– نفح الطيب– ج 1 ص 161/ياقوت– المصدر السابق – ج 4 ص 40.

الأندلسية[1].

ومما سبق، يمكن اعتبار طليطلة فعلا، عاصمة المسيحية في شبه جزيرة إيبيريا، سواء قبل الفتح الإسلامي أو بعده، وظلت كذلك بعد افتكاكها من أيدي المسلمين.

3/ إشبيليـة:

كانت تسمى Colonia Iulia Romula أورومية يوليش[2]، كما كانت تسمى هسبالس Hispalis، وهي من المدن الأندلسية الأزلية القديمة، بناها الامبراطور أكتافيوس (يوليوس قيصر)، وتمتاز بعظمتها واتساعها[3]، وكانت تحظى بمكانة خاصة بين العجم[4]، اتخذها ملوك الرومان دار ملكهم قبل أن يحتل القوط شبه جزيرة إيبيريا[5]، وينقلوا العاصمة إلى طليطلة، ورغم ذلك بقي بها علماء المسيحية وكتابهم ورؤساؤهم، أي أنها احتفظت بجزء من أهميتها السياسية والدينية، ولذلك اتخذها المسلمون قاعدة حكمهم في بداية الأمر، خلال إمارة عبد العزيز بن موسى بن نصير (95-97هـ/713-715م)، ثم نقل الوالي أيوب بن حبيب اللخمي (من شعبان إلى ذي الحجة 97هـ)، العاصمة إلى قرطبة، وما كان لعبد العزيز بن موسى أن يتخذها عاصمة للأندلس، لو لم يجد فيها ما يؤهلها لذلك.

حوت هذه المدينة، عددا هاما من الكنائس، ظلت عشر منها مفتوحة للعبادة إلى غاية القرن السادس الهجري(12م)[6]، مما يوحي بوجود عدد كبير جدا من مرتادي هذه الكنائس، والتي من بينها كنيسة القديسة ربينة أو رفينة Santa Ruvina أو Rufina، التي اتخذ المسلمون جزءا منها مسجدا لهم، وكنيسة الماء التي تبعد عن إشبيلية بفرسخين[7].

---

1 - Simonet- op, cit- p 165.
2 -Levy Provencal – op cit – p 336..
3- ياقوت الحموي- معجم البلدان- ج1 ص130.
4- الحميري- المصدر السابق- ص58.
5- ابن عذاري- البيان المغرب- ج1 ص 144.
6 - Simonet – op cit – p539.
7- ابن القوطية- المصدر السابق- ص75، (الفرسخ ثلاثة أميال والميل 1.603 كلم)

من كل ذلك، يتضح أن المستعربين كانوا يشكلون في هذه المدينة مجموعة مرتفعة العدد، بل إنهم مثلوا مع المولدين غالبية سكانها[1] رغم إسلام عدد منهم.

4/ ماردة Merida:

كانت تسمى قبل الفتح الإسلامي، Emerita Augusta[2]، وسميت بذلك نسبة إلى ماردة بنت هرسوس الملك، حسب بعض الروايات[3]، وهي من المدن العريقة في الأندلس، إذ كانت إحدى القواعد الأربعة التي أمر الإمبراطور أكتبيان ببنائها، كما كانت دار ملك، بحيث نزلها عدد من الملوك الرومان، ويقال أن ذا القرنين كان أحدهم[4]، قبل أن يتغلب القوط على إسبانيا، ويحولوا دار الملك إلى طليطلة.

ويظهر من خلال آثارها الجليلة، مثل سورها الذي يبلغ عرضه اثني عشر شبرا، وقنطرتها المحكمة البناء، وشبكتها المائية، أنها كانت مدينة عظيمة.

وخلال حكم القوط ثم المسلمين، حافظت ماردة على أهميتها كمركز ديني، إذ كانت مركزا لكرسي مطرانية ماردة أو لشدانيا Lusitania، والتي تتبعها اثنا عشر أسقفية[5].

ومما زاد من أهمية هذه المدينة، كونها عاصمة الثغر الأدنى، وأنها كانت تضم عدة كنائس، تم إحصاء أربع منها[6]، أشهرها كنيسة القديسة أولالي Santa Eulilia[7]، Eulilia[7]، لذلك كان المستعربون يشكلون نسبة مرتفعة من سكانها[8]، بالإضافة إلى المولدين، وهذا ما يفسر نزعتهم التمردية، وقيامهم بعدة ثورات، منها الثورة التي امتدت من سنة 190 إلى 198هـ/805 إلى 813م، وثورة أخرى من 213 إلى 219هـ/828-834م[9].

1- القادري بوتشيش- أثر الإقطاع في التاريخ الأندلسي السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري إلى ظهور الخلافة (250-316هـ)، منشورات عكاظ، الرباط، 1992م- ص295.

2- حسين مؤنس- الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس من البداية إلى الحجاري- صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد – المجلدان السابع والثامن– مدريد- 1959-1960م- ص288.

3- الإدريسي- المصدر السابق- ص269/الروض المعطار – ص518.

4- الحميري- المصدر السابق- ص518.

5 -Simonet – op cit p809.

6- Isidro de las Cagigas – op cit T1 p58.

7 - Simonet – op cit p306.

8- L. Provençal – op cit – T1 p208.

9- Ibid – T1 p159-208-209.

إلا أنه من الخطأ أن نقصر وجود المستعربين في الأندلس على هذه المدن الأربع فقط، بل إنهم توزعوا على بقية المدن الأندلسية الأخرى، ومنها:

- بلنسية Valencia: والمعروفة بمدينة التراب[1]، وهي من الحواضر المقدسة في الأندلس ذات حركة اقتصادية نشيطة[2]، وجدت بها كنائس عدة، منها كنيسة سانتا ماريا دي لابيرتود Santa Maria de la Virtude، وكنيسة القديس بيسنت San Vicente[3]، كما أن هذه المدينة كانت مركزا لكرسي أسقفية، تابعة لمطرانية طليطلة[4]، طليطلة[4]، مما أدى إلى وجود جماعات من المسيحيين، موزعين على مختلف أرباض أرباض المدينة، مثل ربض رايوسة، وربض الرصافة، وربض الكدية[5].

ورغم ذلك يحاول بعض المؤرخين الإسبان نكران وجود جماعات مسيحية في بلنسية، من بينهم ميكيل دي إيبالزا Mikel de Epalza، وإنريك لوبريغا Enrique Llobregat[6]، متحججين بعدم وجود إشارات، ووثائق تدل على ذلك.

إلا أنه بالإضافة إلى الإشارات التي قدمناها، وردت عبارة عند ابن عذاري تدل على وجود جماعات هامة من المستعربين في هذه المدينة، إذ يقول: "ويخلي اللعين (السيد الكنبيطور) عن المدينة (بلنسية)، بعدما قدم عليها ابن عديس (الغالب على الظن أنه مسيحي)، وتكون الأبواب بأيدي الروم البلديين إلى آخر الشهر المؤجل"[7]، ثم يضيف: "ومن كان بالمدينة (بلنسية) من النصارى المعاهدين، يتصنع لمن بها من المسلمين..."[8]، وهذان دليلان على وجود مجموعات هامة من النصارى المعاهدين القاطنين بهذه المدينة.

1- حسين مؤنس- المرجع السابق- ص263.
2- الحميري- المصدر السابق- ص98.
3 - Simonet – op cit p664.
4- Ibid – p809.
5 - Isidro de las Cagigas – op cit – t2 p464
6 - Pierre Guichard – los mozarabes de Valence et d’al-Andalus entre l’histoire et le mythe - <u>revue de l’occident musulmane</u> – N40 1985 – pp17,27.
7- ابن عذاري- البيان المغرب- ج4 ص39.
8- المصدر نفسه- ج4 ص40.

وعموما فإن مستعربي بلنسية عاشوا في هدوء وسلام، وتمتعوا بحرية العقيدة، وتسامح من طرف المسلمين، وكانت لهم أسقفية ترعى مصالحهم، وتنظم شؤونهم[1]، ورغم الصراعات التي شهدتها الأندلس عموما، وبلنسية خصوصا خلال فترة ملوك الطوائف، ثم المرابطين، إلا أن المسيحيين لم يُضطهدوا، ولم يُحَدْ من حرياتهم[2].

- كورة إلبيرة: Elvira تتميز هذه الكورة بمناخها شبه المعتدل، وخصوبة أراضيها، وكثرة علمائها، أبرزهم لسان الدين بن الخطيب، الذي خَصّ غرناطة بمؤلف ضخم، ومن أهم مدنها، غرناطة وإلبيرة ومالقة Malaga ووادي آش Guadix.

وقد ضمت هذه الكورة عددا معتبرا من المستعربين، إذ أن أهل دمشق من العرب الشاميين، الذين دخلوا الأندلس في طالعة بلج بن بشر سكنوا هذه الكورة في غمار من الروم[3]، وتجمع مستعربو هذه الكورة، في عدة تجمعات سكنية حول غرناطة، منها قسطالة Casthala أو Cacella وغرناطية Garnatilla وبالومار Balumar وألفونت Alfonte وأرنالش Arnales ومونشطال Manastal وقلمبيرة Colombira وقنالش Canales وريينة Riana وجطرون Jotion ومالقة[4]، مما يدل يدل على أن عددهم كان كبيرا في هذه الكورة.

وفي نهاية القرن الخامس الهجري(11م)، أرسل مسيحيو غرناطة سجلا إلى ألفونسو السادس، تضمن أسماء اثني عشر ألفا من مقاتليهم[5]، فإذا أضفنا إلى هؤلاء النساء والشيوخ والأطفال والرجال غير القادرين على حمل السلاح ورجال الدين، أمكن القول أن عددهم كان يفوق العدد الوارد في الزمام بكثير.

1- كمال السيد أبو مصطفى- تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي- 95-495هـ/714-1102م- مركز الإسكندرية للكتاب- ص238.

2 -Isidro de las Cagigas – op cit – T2 p464.

3- لسان الدين ابن الخطيب- الإحاطة في أخبار غرناطة- ج1 ص21/ابن بلقين-التبيان- ص116/دي إيبالزا- المستعربون أقلية مسيحية- ص246/بوتشيش- أثر الإقطاع في الأندلس- ص292 / Levy Provencal–op.cit- T 1p 343-344 \ De Las Cagigas - op.cit – T2p463.

4- ابن الخطيب- المصدر السابق- ج1 ص22.

5- المصدر نفسه- ج1 ص22.

ونتيجة لارتفاع عددهم في هذه الكورة، فإن بعض القرى كانت عامرة بهم دون غيرهم مثل قرية فنيانة القريبة من وادي آش[1].

ومن بين الكنائس التي كانت مرتادة في هذه الكورة، تلك التي كانت على بعد غلوتين[2] من غرناطة، والتي أمر المرابطون بتحطيمها، عقابا للمسيحيين على خيانتهم للعهد[3]، كما وجدت كنائس أخرى جميلة جدا، من بينها كنيسة القديس اشتبان San Estiban، وكنيسة القديس بجنت San Vicente، وكنيسة القديس خوان باوتيستا San Juan Bautista، والتي شيدت مع نهاية القرن السادس وبداية السابع الميلادي[4].

ودائما في كورة إلبيرة، وبمدينة طرش Torrox، الواقعة على الساحل الجنوبي لشبه جزيرة إيبيريا والتابعة حاليا لمالقة، وُجِدت جماعة مسيحية معتبرة، قامت بنقض عهد الذمة سنة 309هـ/921م[5].

كما وردت إشارات في المصادر، لمدن وحصون وقرى، كانت عامرة بالنصارى، نذكر منها على سبيل المثال مدينة قورية Coria، من أعمال ماردة، والتي كانت بها جماعة مسيحية، تعيش إلى جانب البربر، والعرب البلديين[6]، وفي مدينة استجة Ecija، من أعمال قرطبة، كان للنصارى كنيسة مجاورة للجامع[7]، ومدينة سرقسطة Saragosa، أم الثغر الأعلى، ضمت أقلية نصرانية كبيرة، وعددا من الكنائس، أهمها تلك الموجودة في دروقة Daroca، والتي كانت لها ثلاث مائة وستون بابا، وبذلك عدت من عجائب البنيان[8]، وفي أشبونة أو لشبونة Lisbonne وLisboa، وLisboa، مدينة بغرب الأندلس على ساحل بحر الظلمات، وجد عدد هام من

1- الحميري- الروض المعطار- ص441.
2- الغلوة: هي مقدار رمية سهم، ويقال هي قدر ثلاثمائة ذراع إلى أربعمائة، والذراع 56 سم، أي أن الغلوة تساوي 184.80 مترا- محمد رواس قلعة جي وصادق قنيبي- معجم لغة الفقهاء- دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ط2-1408هـ/1988م- ص334.
3- ابن الخطيب– الإحاطة- ج1 ص21.

4 -Simonet – op cit – p540.

5- ابن حيان- المقتبس- نشره شالميطا- ص171.
6- ابن حيان- السفر الثاني من كتاب المقتبس– ص445.
7- الحميري- المصدر السابق- ص53.
8- المصدر نفسه- ص235.

المستعربين يتقدمهم قس[1]، وفي غرب الأندلس كذلك، وفي مدينة قلمرية Coimbra أو Conimbria وُجِدت كنيسة عامرة[2]، وأما أونبة Huelva فقد كانت بها كنيسة كبيرة معظمة عند النصارى، يزعمون أن أحد الحواريين مدفون بها[3].

إلى جانب وجود جاليات مسيحية في مدن أخرى، مثل طرطوشة Tortosa ووشقة Huesca ودانية Denia وشلطيس Saltes، وغيرها من المدن والقرى الأندلسية، ناهيك عن وجود أعداد هامة جدا من المسيحيين في الأرياف، كما يشير إلى ذلك ابن حوقل[4]، اختار سكانها العيش في ضياع أو قرى صغيرة، مثل قرية عين الديك أو المسماة وادي المستعربين بالقرب من مدينة طليطلة[5].

بعد كل هذا، يدعي ميكيل دي إيبالزا وجود نواتين فقط للمستعربين في الأندلس، الأولى في مالقة، والثانية في قرطبة[6]، ويؤكد حيازته لوثائق يعود تاريخها للقرن الرابع الهجري (10م)، تؤكد ما ذهب إليه.

إلا أن الشواهد التاريخية المختلفة، تدحض هذا الإدعاء وتفنده، وما أشرنا إليه من معلومات بسيطة عن وجود المستعربين في مناطق مختلفة من الأندلس، لكاف لتكذيب الإدعاء الذي ذهب إليه دي إيبالزا.

أما محمد عبد القادر جاد الرب، فرأى أن السلطات الإسلامية سواء في عهد الدولة الأموية، أو في عهد ملوك الطوائف، تعمدت إسكان المسيحيين في قرى ومدن وأحياء خاصة بهم، مما أدى إلى التقليل من احتكاكهم بالمسلمين، وضيق مساحة الاستعراب والإسلام معا[7].

ولكن هناك إشارات وردت في المصادر، تؤكد أن المسيحيين في الأندلس لم يكونوا معزولين عن المسلمين، بل على النقيض من ذلك تماما، إذ أن المسلمين منذ دخولهم الأندلس، عمدوا إلى الاختلاط بالأهالي عن طريق الزواج من المسيحيات

---

1 - Christophe Picard – le Portugal musulmane (VIII – XIII siècle) l'occident d'al Andalus sous domination islamique- Maisonneuve et larose – 2000 – p269.

2- حسين مؤنس- فجر الأندلس- ص508

3- الحميري- المصدر السابق- ص63.

4- ابن حوقل- صورة الأرض- ص76.

5 -Simonet – op cit – p XIV.

6- ميكيل دي إيبالزا- المستعربون أقلية مسيحية...- ص246.

7- محمد عبد القادر جاد الرب- المرجع السابق- صص254 و273.

والإقامة بينهم، فقد وزع عبد الملك بن قطن الجند الشامي على مختلف كور الأندلس، ففي كورة إلبيرة مثلا، نزل أهل دمشق في غمار من الروم (النصارى)، يعالجون فلاحة الأرض وعمران القرى[1]، وفي قرطبة اقتسم المسلمون مع النصارى كنيستهم، وظل الأمر كذلك حتى ابتاع الأمير عبد الرحمن الداخل منهم نصفهم من كنيستهم[2] ليحولها إلى مسجد جامع، وفي إستجة كانت كنيسة النصارى مجاورة للجامع.

وحتى سكناهم في أحياء خاصة داخل الحواضر، لم يكن يعني انعزالهم، ففي قرطبة مثلا، وعلى الرغم من وجود حي للمستعربين، فقد وجدت كنائس خارج هذا الحي، في أنحاء أخرى من المدينة[3].

هذا لا يعني أننا ننكر وجود مجموعات من المستعربين، اختارت التجمع خارج المدن الكبرى، كما كان الحال في وادي المستعربين، إذ أن بعضهم كان يفضل العيش في القرى والضياع، كما كان الحال في قريتي ريينة، وجطرون بين غرناطة ومالقة، لأن معظمهم كان يحترف الزراعة، إما مالكا وإما رقيقا.

د) <u>أزياءهم:</u>

سبق وأن قلنا في تعريفنا للمستعربين، أنهم المسيحيون الذين تعربوا لسانا وزيا، وأوضحنا كذلك أسباب انتقالهم من استعمال اللغة اللاتينية إلى العربية، إلا أن استعرابهم لم ينحصر في اللسان، بل تعداه إلى اللباس، فالمسيحيون قلدوا المسلمين في لباسهم، واقتبسوا منهم طريقتهم في اللباس والنظافة وطريقة خياطة الملابس وألوانها[4]، حتى بات من الصعب التمييز بين النصارى والمسلمين في قرطبة[5]، واشترك المسلمون والمسيحيون في ارتداء بعض الألبسة، مثل فراء القنلية[6].

1- ابن الخطيب- الإحاطة- ج1 ص22.
2- المقري- نفح الطيب- ج1 ص561.
3- يلاحظ من خلال الخريطة التي يقترحها ليفي بروفنسال في ج3 ص365 من كتابه تاريخ إسبانيا الإسلامية أن حي المستعربين يقع شرق قرطبة بينما تقع كنيسة شنت أجلج Saint Acisclе في الجانب الغربي من المدينة. ينظر الصفحة 42 من هذه المذكرة.

1-Simonet- op..cit –p 128
2-Ibid – p369

6- المقري- المصدر السابق- ج1 ص198، والقنلية حيوان يشبه الأرنب.

ولم يبق هذا التأثير حبيس الأندلس، بل تعداه إلى قشتالة، التي كان ملكها هنري الرابع[1] Henry VI يلبس الثياب العربية[2]، وما وجود عدد كبير من الكلمات ذات الأصول العربية، الدالة على الألبسة والأقمشة في اللغة الإسبانية إلا دليل على هذا التأثير[3]، الذي عبر عنه ألبارو القرطبي، بقوله: "... نحن نلبس مثلهم، وخاصة الحرير، ونتعطر ونظهر ثراءنا، من خلال مجوهراتنا وملابسنا..."[4].

أما النساء المستعربات، وبالأخص من الطبقة الراقية، فأصبحن تفضلن الخروج إلى الشوارع محجبات، أي مستورات الرأس دون الوجه[5].

وفيما يخص رجال الدين النصارى، فقد حافظوا على الأزياء التي كانوا يرتدونها قبل الفتح، والدالة على درجاتهم[6]، وبخاصة داخل الكنيسة، خلال الصلوات أو الاحتفالات الدينية، فأبو عامر بن شهيد يذكر من خلال وصفه لمراسيم دينية داخل الكنيسة، أن القس قد برز في عبدة المسيح متوشحا الزنانير أبدع توشيح[7]، إلا أن رجال الدين هؤلاء غيروا أزيائهم الدينية شيئا فشيئا من تلقاء أنفسهم[8].

وإلى غاية نهاية القرن الخامس الهجري/11م، كان بعض رجال الدين النصارى لا يزالون يشدون الزنار، ويحلقون وسط رؤوسهم، وهذا ما عمد إليه الفقيه أبو القاسم بن الخياط، عندما سقطت طليطلة في يد النصارى سنة 478هـ/1085م[9].

4- هنري أو انريك الرابع ملك قشتالة وليون من 1454 إلى 1474م/ 858- 879هـ - وريث يوحنا الثاني، ملك ضعيف، قضى معظم فترة حكمه في الصراع مع أخته إيزابيلا الأولى التي افتكته منه - Le petit Larousse – op cit – p1468.

5- رامون مندث بيدال- إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام تعريب لطفي عبد البديع- مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية- مدريد العدد الأول- السنة الأولى 1372هـ/1953م- ص20.

3 -Isidro de las Cagigas – op cit – t1 p 270

4 -Simonet – op cit – p 369

5- مارغريتا لوبيز غوميز- المرجع السابق- ج1 ص270.

6- المرجع نفسه- ص270

7- ابن خاقان- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس- دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة- دار عمار- مؤسسة االرسالة- ط1 1403هـ-1983- بيروت- ص194-195.

8- حسين مؤنس- فجر الأندلس- ص500.

9- ابن سعيد- المغرب في حلى المغرب- ج2 ص22 رقم الترجمة 337.

وقد ظل الفقهاء المسلمون يعارضون وبشدة تشبه المسيحيين بالمسلمين في الأندلس من حيث اللباس، وواصلوا إلى غاية القرن 6هـ/12م، مطالبتهم السلطات الإسلامية بإلزام أهل الذمة لبس الغيار، وبالتميز عن المسلمين بعلامات يعرفون بها[1]. بها[1].

غير أن السلطات الإسلامية في الأندلس، على اختلاف فترات الحكم، لم تجبر أهل الذمة على ارتداء ملابس مميزة، ولم تتخذ أي إجراء لذلك[2] اقتداء بالرسول صلى صلى الله عليه وسلم الذي لم يثبت عنه إلزام أهل الذمة بارتداء الغيار، ويدّعي بعض المؤرخين أن خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد فرض من خلال ما يسمى بالعهدة العمرية[3] على أهل الذمة ارتداء لباس مميز لهم، واستغل بعض المؤرخين الأوروبيين ذلك لتوجيه انتقاداتهم له خاصة، وللإسلام عامة[4]، إلا أن نص هذه العهدة، حسب ما يبدو من وضع فقهاء العصور المتأخرة، ولا علاقة له بالخليفة[5]، بالخليفة[5]، لأن هذا الأخير لم يكن ليخالف سنة النبي صلى الله عليه وسلم، الذي عامل النصارى واليهود معاملة حسنة، ولم يلزمهم بلباس معين، ولم يفرض عليهم إلا ما هو في حدود الشريعة الإسلامية.

فقد استقبل الرسول صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران في مسجده بالمدينة المنورة، ولما حان وقت صلاتهم، سمح لهم بالصلاة داخل المسجد، ولم يلزمهم بأي شيء[6].

هذا لم يمنع من قيام بعض الحكام المسلمين في فترات محددة، بإلزام أهل الذمة لبس الغيار، مثلما حدث في العراق خلال فترة حكم الخليفة العباسي المتوكل (232-247هـ/847-861م)، الذي فرض على أهل الذمة ارتداء ألبسة وعلامات مميزة في

1- ثلاث رسائل في الحسبة- تحقيق ليفي بروفنسال- مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة 1955م- ص51 و122/يحي بن عمر الأندلسي- كتاب أحكام السوق- تحقيق محمود علي مكي- صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية- مدريد المجلد الرابع- العدد 1 و2- 1375هـ/1956- ص128.

2 - isidro de los cagigas – los mozerabes – T1 p 65

3- ابن قيم الجوزية- أحكام أهل الذمة- تحقيق صبح الصالح – دار العلم للملايين- بيروت الطبعة الثانية- 1401هـ/1981م- ج1 ص236.

4 -Simonet – op cit – p 72-79-84-85.

5- حسين مؤنس- فجر الأندلس- ص443.

6- ابن قيم الجوزية- المصدر السابق- ج1 ص148.

مناسبتين، الأولى كانت سنة 235هـ/849م، والثانية سنة 238هـ/852م، عقابا لهم على تصرفاتهم[1]، وما اتخاذ نفس القرار في سنوات مختلفة، ومن طرف نفس الخليفة، إلا دليل على أن هذه القرارات لم يكن لها الصبغة الإلزامية.

ويتضح من خلال المصادر، أن النصارى في الأندلس كانوا يمشون في الشوارع حاسري الرؤوس، أي غير متعممين، وهذه العادة أخذها عنهم الأندلسيون، وبخاصة القرطبيون[2]، ولم يقتصر ذلك على العامة، بل إن الفقهاء هم الآخرين تأثروا بالنصارى، فقد سئل يحي بن يحي الليثي عن لباس العمائم، فقال: "هي لباس الناس في المشرق، وعليه كان أمرهم في القديم"، فقيل لو لبستها لاتبعك الناس في لباسها، فقال قد لبس ابن بشير الخز فلم يتبعه الناس، وكان ابن بشير أهل أن يُقتدى به، فلعلي لو لبست العمامة لتركني الناس، ولم يتبعوني كما تركوا ابن بشير..."[3]، مما يدل على أن العامة والفقهاء كانوا يأنفون ارتداء العمائم تشبها بالنصارى، رغم أن الإشارات تؤكد على أن المسلمين منذ الفتح، وإلى غاية قيام دولة بني أمية في الأندلس، كانوا يتعممون، إذ أن مغيثا الرومي نزع عمامته عند محاولة أحد أفراد جيشه تسلق أسوار قرطبة لفتحها أمام الجند الفاتحين، وناوله إياها[4]، والصميل عندما أهين في مجلس أبي أبي الخطار، وخرج غاضبا، قيل له: "أقم عمامتك يا أبا الجوشن"[5]، دليل آخر على أن المسلمين كانوا يضعون العمائم.

هـ) <u>أعيــادهم:</u> من بين ما تميز به المستعربون في الأندلس عن المسلمين واليهود، أعيادهم التى يمكن تقسيمها إلى أعياد مسيحية عامة أو كبرى، يشتركون فيها مع كل بقية النصارى في مختلف المناطق، وأعياد أخرى خاصة أو صغرى، يُحتفل بها في شبه جزيرة إيبيريا فقط.

1- ابن الأثير- المصدر السابق - ج6 ص106-119.
2- المقري- نفح الطيب- ج1 ص222-223.
3- الخشني- المصدر السابق- ص96-97.
4- مجهول- أخبار مجموعة- ص99.
5- المقري- المصدر السابق- ج1 ص237.

1- الأعياد الكبرى (العامة): وعددها سبعة[1]، وهذه الأعياد ترتبط حسب زعمهم بأحداث وقعت للمسيح عليه السلام، وتتمثل في:

* **عيد البشارة:** يحتفل به المسيحيون يوم الخامس والعشرين من شهر مارس من كل سنة، اعتقادا منهم أن جبريل عليه السلام، بشر مريم في هذا اليوم بميلاد المسيح عليه السلام، ومن أهم عادات النصارى في هذا العيد، الامتناع عن إقامة مراسيم الزواج.

* عيد ميلاد المسيح عليه السلام: وهو عيد عظيم، يكون ليلة الخامس والعشرين من شهر ديسمبر، وتتواصل الاحتفالات لمدة ثمانية أيام، إلى غاية الليلة الأولى من شهر يناير، يتهادى فيه المسيحيون الهدايا، وخاصة المأكولات المختلفة والحلوى[2]، وتخرج فيه النساء إلى الكنائس لابسات الحرير المذهب، وملتحفات اللحف الرائقة، ومتنقبات بالنقب الملونة، ومنتعلات الأخفاف المذهبة، ومتحليات بحليهن، ومخضبات ومتعطرات[3]، مما يبرز أهمية هذا العيد، وقدسيته كما يكثر النصارى فيه من إيقاد النيران، وشراء الشموع وطهي الطعام.

* عيد رأس السنة الميلادية: ويسميه الأندلسيون النيروز أو النوروز، أو ليلة الحجوز، أو العجوز[4]، يزعم النصارى أن يحي عليه السلام، غَسَّلَ عيسى عليه السلام بعد ثمانية أيام من ميلاده، في بحيرة الأردن، ولهذا يسمونه أيضا عيد الغطاس[5]، أو عيد الختان.

ومن عاداتهم في هذا العيد، أن يتهادوا صنوف الأطعمة، وأنواع التحف والطرف المتنوعة، ويتركون أعمالهم فيه[6]، وتقام الاحتفالات البهيجة داخل الكنائس[7]،

1- أبو عبد الله بن فرج القرطبي- الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام- تحقيق أحمد حجازي السقاه- دار التراث العربي القاهرة- الطبعة الأولى 1398هـ/1978- ص424.

2 - Duffourcq–op. cit – p 75.

3- ابن جبير الأندلسي- رحلة ابن جبير- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- الجزائر– 1988– ص 308.

4- الونشريسي- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس- شرحه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي– دار الغرب الإسلامي- بيروت 1401هـ/1981م- ج11 ص293/سحر السيد عبد العزيز سالم- الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس (دراسة سياسية أدبية واجتماعية)/ الغرب الإسلامي والغرب المسيحي- ص73 .

5- القلقشندي- صبح الأعشى في صناعة الإنشا- تحقيق يوسف علي الطويل- دار الفكر- دمشق- الطبعة الأولى- 1987- ج2 ص455.

6- الونشريسي- المصدر السابق- ج11 ص150.

الكنائس[1]، وكان الأندلسيون يعتبرون هذه الليلة، أنسب ليلة للزواج، إذ تم فيها زواج المنصور بن أبي عامر من أسماء بنت غالب الناصري[2].

ومن عاداتهم أيضا شراء الفواكه، وبالأخص الأترج، الذي كان من لوازم الاحتفال بالنيروز[3]، وكذا شراء اللحوم والتوابل، والتخضب بالحناء[4]، وإقبال الناس على شراء اللعب للأطفال كالزيافات أو الزرافات والكمادين وما يشبهها[5].

* **عيد الفصح:** وهو العيد الكبير عندهم، يحتفلون بعد صومهم أربعين يوما، وهذا الأخير يبدأ مباشرة بعد عيد رأس السنة الميلادية (الغطاس)، ومشروعية هذا الصوم تعود حسب زعمهم إلى أن عيسى بن مريم عليه السلام، وبعد أن عمده يحي عليه السلام، خرج إلى البرية فعرض له إبليس، وأراه زهرة الدنيا، وقال له إن عبدتني ملكتك جميع هذا، فاستجار المسيح من فتنته، وصام أربعين يوما، فمسك عنه إبليس[6]، كما يزعمون أن المسيح قام فيه بعد الصلبوت، بثلاثة أيام، وخلص آدم من الجحيم، وأقام في الأرض أربعين يوما، ثم صعد إلى السماء[7].

تبدأ الاحتفالات بهذا العيد يوم الخميس، الذي يسمى يوم المائدة، وتتواصل يومي الجمعة والسبت الموالبين، ثم تزداد أهمية يوم الأحد الذي يسمونه عيد الفصح أو عيد النور أو العيد الكبير[8].

ومن عاداتهم في هذا العيد خروج النساء وصبغ البيض وشراء الخمور والتهادي بالبيض واللبن واللحم والغنم[9] ذلك لأن صومهم هو عن الحيوان وما يخرج

1 - Isidro de las Cagigas – op.cit – T 2 P 406.

2- سحر السيد عبد العزيز سالم- المرجع السابق- ص72.

3- أبو يحي عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي- أمثال العوام في الأندلس- تحقيق محمد بنشريفة- القسم الثاني- منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي- ص328.

4- ابن بسام الشنتريني- الذخيرة- ج1 ص433.

5- أبو الوليد محمد بن رشد- فتاوى ابن رشد- المختار الطاهر التليلي- دار الغرب الإسلامي بيروت- الطبعة الأولى- 1407هـ-1987- ج2 ص940/الونشريسي- المصدر السابق- ج6 ص70.
الزرافة: منزفة الماء-ابن منظور-لسان العرب- ج9 ص133- مادة زرف.

6- أبو الوليد الباجي- جواب على رسالة القس الإفرنجي إلى المقتدر بالله- صاحب سرقسطة- Al Andalous 1952 6 FASCI 2 PAGE 303.

7- القلقشندي- المصدر السابق- ج2 ص455.

8- ابن تيمية– مجموع الفتاوى– اعتنى بها وخرج أحاديثها عامر الجزار وأنور البار– دار ابن حزم– ط1– 1418هـ-1997م– ج 25 ص172.

9- المصدر نفسه ص 172.

منه[1]، وكان سكان الأندلس يحتفلون بخميس أبريل أو خميس العهد، وهو أول أيام الفصح، بشراء المجبنات الحارة والاسفنج[2].

* عيد الرقي أو الصعود أو السلاق: ويحتفل به اثنين وأربعين يوما بعد عيد الفصح، وذلك بمناسبة امتطاء المسيح سحابة بحضور الحواريين رقت به إلى السماء[3] السماء[3] حسب زعمهم.

* عيد العنصرة: ويسميه الأندلسيون المهرجان أو عيد القديس يوحنا San Juan، ويصادف يوم الرابع والعشرين من شهر جوان من كل سنة، ويعتقد النصارى أن الروح القدس نزل فيه إلى الحواريين وحل فيهم فتكلموا بجميع الألسنة، وتفرقوا في العالم يدعون الناس إلى دين المسيح[4] كما يعتقدون أن يحي بن زكريا عليهما السلام ولد في مثل هذا اليوم[5].

ومن عادات الأندلسيين في هذا اليوم إقامة المباريات وسباق الخيول، وإقدام النساء على زركشة بيوتهن، وإخراج ثيابهن ليلا، وتحضير أطباق من ورق الكرنب والخضرة والاغتسال بالماء[6].

* عيد الشعانين Fiesta de las palmas: ويقابل كلمة شعانين في اللغة العربية التسبيح، وفي هذا العيد يخرج المسيحيون من كنائسهم حاملين سعف النخل، وذلك في ذكرى دخول المسيح عليه السلام صهيون[7]، راكبا حماره "العفور"، والناس والناس يسبحون بين يديه[8]، وتكون الاحتفالات بهذا العيد يوم أحد أسبوع قبل عيد الفصح يخرج فيه المسيحيون حاملين صلبانهم ومسبحين.

1- نفسه – ج25 ص 172.
2- الطرطوشي- الحوادث والبدع- إشراف لجنة التحقيق بدار الفتح- دار الفتح الشارقة- ط1- 1415هـ- 1995م- ص117.
3- القرطبي- الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام- ص424.
4- المصدر السابق- ص424/القلقشندي- المصدر السابق- ج2 ص455.
5- ابن خلكان- المصدر السابق- ج7 ص227.
6- الونشريسي- المعيار المغرب- ج11 ص151.
7- صهيون بكسر أوله وإسكان ثانيه هو اسم لبيت المقدس، وهو كنيسة جليلة حصينة عند بيت المقدس- البكري- معجم ما استعجم- تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ/1983م- ج3 ص844/الحميري- المصدر السابق- ص370.
8- القلقشندي- صبح الأعشى- ج2 ص455.

2-الأعياد الصغرى (الخاصة): وهي متعددة، منها ما هو عام لشبه الجزيرة الإيبيرية كلها، ومنها ما هو خاص بمدينة أو ناحية أو قرية منها، وسوف نكتفي بذكر البعض منها على سبيل المثال:

* عيد الرسل أو عيد القديسين(La Toussaint): يَحتفل به المسيحيون في أول يوم من شهر نوفمبر من كل سنة، ويقومون فيه بإيقاد الشموع، ذكورهم وإناثهم، صغارهم وكبارهم[1]، وتتواصل الاحتفالات به لبضعة أيام.

*عيد العصير: يسمونه في المشرق عيد الصليب[2]، ويحتفلون به إحياء لذكرى صلب المسيح عليه السلام حسب زعمهم، ويصادف الواحد والعشرين من شهر سبتمبر أي مع الاعتدال الخريفي متزامنا مع موسم قطف العنب[3]، يخرج فيه أهل الأندلس إلى الحقول بعائلاتهم، ويقضون أياما في جو ملؤه المرح والرقص والغناء يقومون خلالها بجني العنب[4].

* عيد الرسل السبع: كان هذا العيد ينظم في مدينة وادي آش بكورة غرناطة، وتبدأ الاحتفالات به في فاتح ماي، وتدوم أسبوعا كاملا، ومناسبته أن سكان شبه جزيرة إيبيريا يعتقدون أن القديس توركاتوس San Torcuato وصل إلى المنطقة على رأس سبعة رسل بهدف تمسيح سكانها، وبعد وفاته دفن بكنيسة كان قد غرس عندها شجرة زيتون كانت تزهر يوم الثلاثين من أفريل، وتثمر وتنضج ثمارها يوم الفاتح ماي، فكان مسيحيو المنطقة يتوجهون إليها في مثل هذا اليوم، فيجنون زيتونها ويستخرجون منه الزيت لإضاءة الكنيسة[5].

* احتفالات ليلة النصف من شهر أوت: كان نصارى الأندلس يعظمون هذه الليلة تعظيما كبيرا، لأنهم يزعمون أن مريم العذراء نزلت، في مثل هذه الليلة، من

1- ابن جبير- رحلة ابن جبير- ص90.
2- المقدسي- أحسن التقاسيم- ص165.
3- المصدر نفسه – ص 165.
4- كمال السيد أبو مصطفى- تاريخ مدينة بلنسية- ص245.
5- العذري- المصدر السابق- ص161/7 Simonet – op . cit – p

السماء على المطران دون أذفونش El metropolitano don Alfonso بالكنيسة الجامعة (كاتدرائية طليطلة)، وكست رأسه بقجيلة، وجسمه بثياب مزينة[1].

وكانت لهم أعياد أخرى متعلقة بشخصيات دينية مثل:

-عيد القديس سبريانو San Cipriano في قرطبة يوم 09/24

- عيد القديسة كريستينا Santa Cristina في قرطبة يوم 07/26

- عيد القديسة سيسيليا Santa Cecilia في قرطبة يوم11/22

- عيد القديسة ليوكاديا Santa Leocadia في قرطبة يوم12/09

- عيد القديس كريستوبال San Cristobal في قرطبة يوم07/10

- عيد القديسين سرفاند وجرمانSan Servando y San German في قرطبة يوم10/23

- عيد القديس ساتورنينو San Saturnino في ماردة يوم 11/29

- عيد القديسة أولالية Santa Eulalia في ماردة يوم 12/10

- عيد القديسة كولومبا Santa Columba في ماردة يوم 12/31

- عيد إيداع الصليب المقدس ivenciende la Santa Cruz في يوم 05/03

- عيد القديس خوليان وأصدقائه San Julian y compaňeros في يوم01/07

- عيد القديس سرياكو والقديسة باولا San Ciriaco y Santa Paula في يوم 06/18

- عيد القديسين خوستو وباستور San Justo y Pastor في يوم 08/06

- عيد القديس أجلح San Asisclo في يوم 11/18

1- القرطبي- الإعلام- ص386.

- عيد انتظار القديسة مريم expectacion de Maria Santicima في يوم 12/18

- عيد القديس بطرس San Pedro[1] في يوم 06/29

وكان السكان النصارى في قرطاجنة الخلفاء يحتفلون يوم 24 أوت إذ كانوا يجتمعون في دير كان فيه رفاة قديسة[2].

من خلال ما سبق ذكره يتبين لنا أن النصارى كانوا يقيمون هذه الاحتفالات، ويحيون هذه الأعياد بكل حرية دون تدخل من السلطات الإسلامية.

***) موقف المسلمين من أعياد المستعربين في الأندلس:**

تباينت مواقف المسلمين من أعياد نصارى الأندلس؛ فقد ترك الحكام المسلمون لهؤلاء الحرية التامة في الاحتفال بأعيادهم بل ذهب بعضهم إلى التساهل مع النصارى في إحياء هذه الأعياد؛ فالمنصور ابن أبي عامر كان يسمح للنصارى من جنده بالراحة أيام الأحد والأعياد[3]، كما فضل إقامة حفل زفافه من أسماء بنت غالب ليلة النيروز[4]، وقسم عبد الرحمن الأوسط أعطيته إلى زرياب، والتي كانت قيمتها ثلاثة آلاف دينار إلى أربعة أقسام، ألف دينار في عيد الفطر وألف أخرى في عيد الأضحى وخمسمائة دينار في المهرجان وخمسمائة في النيروز[5] مما يعني أن المهرجان (العنصرة) والنيروز كانا موسمين واحتفالين هامين في الأندلس، وأن الخاصة كانت تستعد للاحتفال بهما استعدادا خاصا.

وقد اتخذ بعض المسلمين الأعياد المسيحية مواسم تاريخية إذ رأى زرياب أن تكون العنصرة بداية لموسم ارتداء الملابس البيضاء في الأندلس[6].

أما عامة المسلمين فقد كانت تشارك المسيحيين أعيادهم، بل كانت تستعد لها باقتناء الحاجيات واللوازم الخاصة بكل عيد، وفي هذا السياق واستعدادا للاحتفال بعيد النيروز ما عبر عنه الشاعر أبو عبد الله محمد بن مسعود[1].

1- هذه الأعياد أوردها سيموني في كتابه (Historia de los mozarabes de Espa™a – p 616.)
2- الحميري- الروض المعطار- ص462.
3 - Isidro de las Cagigas – op cit – t2 P384.
4- ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص267/ابن بسام –المصدر السابق- ج4 ص49.
5- ابن حيان- السفر الثاني من المقتبس- ص.315
6- ابن حيان – المصدر السابق – ص 323- 324.

أَبَا القَاسِمِ اسْمَعْ مِــن عُبَيْدِكَ طُرْفَةً   أَبُثُّكَـهَا فَـاذَنْ لَـهَا تَلِـجُ الأُذُنَ
دَنَتْ لَيْلَـةُ النَّيْرُوزِ هُنَـا وَلَـمْ تَكُـنْ   لِتَرْضَـىَ لَنَا فِيهَا مِنَ العَيْشِ بِالأَدْنَى
وَقَالَتْ خَجُولِي سِرْ إِلَى السُّوقِ وَاحْتَفِلْ   وَلاَ تُبْـقِ فِيها مِـن جَرَادِيقِهَا فَنَّا
وَقِفْ بِابْنِ نَصْرٍ وَاحْشَوَنَّ ثَـمَّ قُفَّةً   مِنْ   أَطْرَفِ مَا تَحْوِيهِ كَيْ تُذْهِبَ الشَّجَنَا
وَجُـزْ بِالفَتَا الجَزَّارِ وَاخْتَـرْهُ هَابِـلاً   بِقَـدِّ ابْـنِ فَتْوِيٍّ أَبِي بَكْرٍ المُضْنَى
وَلاَبُـدَّ مِــنْ أَتْرُجَّــةٍ صَعْتَرِيَّــةٍ   وَإِيَّاكَ أَنْ تَنْسَى التَّوَابِلَ وَالحَنَّـا[2].

يتضح من خلال هذه الأبيات أن المسلمين كانوا يستعدون للنيروز بشراء الأترج والحناء قصد التزين بها، والتوابل لتحضير أطباق خاصة بهذه المناسبة، كما يتبين أن أرباب الأسر المسلمة في الأندلس كانوا يوسعون في النفقة على عيالهم بشراء اللحوم والفواكه وأطيب المأكولات الأخرى.

ويتحسر أبو بكر الداني[3] على عدم حضوره احتفالات رأس السنة الميلادية (النيروز) نظرا لتقدمه في السن، مما يوحي أنه لم يكن يغيب عنها في شبابه إذ يقول:

لَوْ أَنَّ لِي قُوَّةَ عَهْدِ الصِّبَا   لَمْ أَتْرُكِ النَّيْرُوزَ دُونَ اصْطِبَاحٍ[4].

وكانت الأسر المسلمة تتفنن في صناعة العجائن في هذا العيد، وتصنع منها أشكالا جميلة جذابة، هذا ما جاء على لسان الشاعر أبي عمران موسى الطرياني[5] حين دخل بيتا من بيوت الأغنياء يوم نيروز فوجد فيه أشكالا متنوعة من العجائن، فأنشد:

مَـدِينَـةٌ مُسَـوَّرَهْ   تَحَـارُ فِيهَا السَّحَرَهْ
لَـمْ تَبْنِـهَا إِلاَّ يَـدٌ   عَـذْرَاءُ أَوْ مُخَدَّرَهْ
بَدَتْ عَرُوسًا تَجْتَلِي   مِنْ دَرَمِكَ مُزَعْفَرَهْ

1- أبو عبد الله محمد بن موسى بن مسعود من مشاهير شعراء المائة الخامسة / ابن سعيد- المصدر السابق-ج1 ص134- رقم 66.
2- ابن بسام- المصدر السابق – ج1 ص433.
3- هو محمد بن عيسى بن محمد أبو بكر اللخمي الداني يكنى أبا بكر ويعرف بابن اللبانة، كان من جلة الأدباء وفحول الشعراء توفي بميورقة سنة 507هـ-1113م-ابن الأبار-التكملة لكتاب الصلة-ج1ص333 رقم1183/ابن بسام-الذخيرة-ج3 ص500/المراكشي-المعجب-ص149/ابن سعيد-المصدر السابق-ج2-409.
4- ابن بسام- المصدر السابق- ج3 ص527.
5- أبو عمران موسى الطرياني: أديب نحوي من طريانة بكورة إشبيلية، انتقل إلى برّ العدوة المغربية- ابن سعيد- المصدر السابق- ج1 ص294 رقم 210/المقري- المصدر السابق- ج4 ص63 و131.

وَمَــا لَهَا مَفَاتِحُ   إلاَّ البَنَــانُ العَشَرَهْ[1]

أما بالنسبة للمهرجان (العنصرة) فكان هو الآخر موسما وعيدا تستعد له الأسر المسلمة وتحتفل به، وكانت تنتظره كمناسبة للزينة والسعادة والتكافل الاجتماعي، وفي ذلك يقول حسان بن مالك بن أبي عبدة[2]:

أرَى المَهْرَجَانَ قدِ اسْتَبْشَرَا   غَدَاةَ بَكَى المُزْنُ وَاسْتَعْبَرَا
وَسَرْبَلَتْ الأَرْضُ أَمْوَاهَهَا   وَجَلَّلَتِ السُّنْدُسَ الأَخْضَرَا
وَهَزَّ الرِّيَاحُ صَنَابِيرَهَا   فَضَوَّعَتِ المِسْكَ وَالعَنْبَرَا
تَهَادَى بِهِ النَّاسُ أَلْطَافَهُ   وَسَامَى المُقِلُّ بِهِ المُكْثِرَا[3]

وكان سكان الأندلس، على اختلاف مراتبهم وأعمارهم، يحضرون عيد العنصرة ويحتفلون به، وتتميز الاحتفالات بإقامة ألعاب مختلفة، واستعراضات للقوات البحرية الأندلسية، وعن ذلك يقول ابن اللبانة أبو بكر الداني:

بُشْـرَى بِيَـوْمِ المَهْرَجَـانِ فَإِنَّـهُ   يَـوْمٌ عَلَيْهِ مـن احْتِفَائِكَ رَوْنَقُ
طَـارَتْ بَنَاتُ المَاءِ فِيهِ وَرِيشُـهَا   رِيشُ الغُرَابِ وَغَيْرُ ذَلِكَ شَوْذَقُ
وَعَلَـى الخَلِيـجِ كَتِيبَـةٌ جَـرَّارَةٌ   مِثْـلَ الخَلِيجِ كِلاَهُمَـا يَتَـدَفَّقُ
وَبَنُوا الحُرُوبِ عَلَى الجَوَارِي التِي   تَجْرِي كَمَا تَجْرِي الجِيَادُ السَّبْقُ
مَلآى الكُمَـاةِ ظُهُورُهَـا وَبُطُونُهَا   فَأَتَتْ كَمَا يَأْتِي السَّحَابُ المُغْدِقُ
خَاضَـتْ غَدِيرَ المَـاءِ سَابِحَةً بِهِ   فَكَأَنَّمَـا هِـيَ فِـي سَرَابٍ أَيْنَق
عَجَبًا لَهَا مَــا خَلَتْ قَبْـلَ عِيانها   أنْ يَحْمِلَ الأُسْدَ الضَّوَارِي زَوْرَقُ
هَـزَّتْ مَـجَاذِيفًـا إِلَيْـكَ كَأَنَّـهَا   أَهْـدَابُ عَيْـنٍ لِلرَّقِيبِ تُحْدِقُ
وكَــأَنَّهَا أَقْـلاَمُ كَـاتِـبِ دَوْلَةٍ   فِي عَرْضِ قِرْطَاسٍ تَخُطُّ وَتَمْشَقُ[4].

ويقول ابن السراج المالقي[1] متغنيا بهذا العيد، وكان من بين المحتفلين به:

1- المصدر نفسه- ج4 ص63-131 /ابن سعيد- المصدر السابق- ج 1 ص 294 .
2- حسان بن مالك بن أبي عبدة (ت 416هـ/1025م): من أهل اللغة والأدب، له أشعار في أغراض عديدة-الصلة لابن بشكوال- ص140/الحميدي- المصدر السابق- ص171 رقم 380/المراكشي-المصدر السابق- ص35/ابن الأبار- المصدر السابق- ج3 ص4 رقم 5.
3- المقري- المصدر السابق- ج3 ص547.
4- المراكشي- المعجب- ص153.

رَعَى اللهُ عَصْرًا ضَمَّنَا فِي عَصْرِهِ   مَحَلٌّ وَصَلْنَا اللَّهْوَ فِيهِ لَيَالِيَا
تَدُورُ عَلَيْنَـا أَقْرَاحٌ فِـي أَرْيَحِيَّةٍ   لَـوْ دَامَتْ زَمَانًـا كَمَا هِيَا[2]

وكان عامة الأندلسيين يدخرون الأترج لاستعماله في عيد النيروز، إذ كان يصنع منه مريب، وفي ذلك ضربوا مثلا عاميا "في شهر يناير يعمل مريب الأترج وشراب الحماض[3]، ومن جهة أخرى كان المسيحيون يقدمون الهدايا لأصدقائهم المسلمين في مثل هذه الأعياد، ويدعونهم إلى وجبات خفيفة[4]، ومما لا شك فيه أن المسلمين كانوا يقبلون هذه الهدايا ويلبون هذه الدعوات، وهذا في حد ذاته دليل على حسن تقبل العامة المسلمة لهذه الأعياد، كما كان المسلمون يشترون اللعب لأبنائهم، بل إن بعضهم كان يصنعها ليبيعها سواء للمسيحيين أو للمسلمين[5]، وبعضهم كان يشتري المجبنات والإسفنج في خميس أبريل[6] مثلما يفعل المسيحيون في هذا العيد.

أما فقهاء الأندلس فكانوا على النقيض تماما مما كانت تفعله العامة، فقد كانوا يرون أن حضور المسلمين الأعياد المسيحية واحتفالهم بها أو إظهار أي مظهر من هذه الاحتفالات أو مساعدتهم فيها أو بيعهم ما يساعدهم على إقامتها، بدعة ومنكر ومنهي عنه[7]، لذلك كانوا يرفضون الهدايا والدعوات التي كانت توجه إليهم من طرف المسيحيين لحضور أعيادهم[8].

تلك كانت أهم الخصائص والمميزات التي تميز بها المستعربون في الأندلس، والتي حافظوا من خلالها على هويتهم الدينية المسيحية مستفيدين من تسامح المسلمين تجاههم والحرية التي تمتعوا بها، وهذا ما سمح لهم بلعب دور حساس في تاريخ الأندلس السياسي والاجتماعي.

1- هو أبو عبد الله محمد بن السراج المالقي، شاعر بني حمود، من شعراء القرن الخامس الهجري في الأندلس- ابن بسام- الذخيرة-ج1 ص659/ابن سعيد- المغرب في حلى المغرب- ج1 ص434-435/الحميدي-جذوة المقتبس- ص54 رقم 72.
2- ابن بسام- الذخيرة- ج1 ص667.
3- الزجالي – المصدر السابق- طبع ص328.
4 - Duffoucq – op cit – p75.
5- ابن رشد- فتاوى ابن رشد- المصدر السابق- ج2 ص940، وج6 ص70.
6- الطرطوشي- الحوادث والبدع- ص117.
7- الونشريسي- المعيار المغرب- ج11 ص150-151/فتاوى ابن رشد- ج12 ص940 وج6 ص70/يحي بن عمر- المصدر السابق- ص117.
8 -Duffourcq – op cit – p76.

*الفصل الثاني:مكانة المستعربين ودورهم في المجتمع الأندلسي.

أ) أوضاع المستعربين في ظل السلطة الإسلامية.

ب) مكانة المستعربين في المجتمع الأندلسي.

ج) دور المستعربين في المجتمع الأندلسي.

- الإيجابي.

- السلبي.

I) أوضاع المستعربين في ظل السلطة الإسلامية:

من المؤكد أن مسيحيي الأندلس عاشوا أحسن أيامهم في ظل السلطة الإسلامية، وبالأخص في عهد الحكام الأمويين، لما تمتعوا به من حقوق وامتيازات أكثر مما كانوا عليه أيام القوط، وربما أكثر مما تمتع به نظراؤهم في مناطق أخرى من العالم الإسلامي.

1/ أوضاعهم الاجتماعية:

بعد فتح الأندلس ودخول الجيش الإسلامي مدنها صلحا أو عنوة، وقع سكان هذه المدن مع المسلمين عهودا ومواثيق حُدد فيها وضعهم القانوني في ظل السلطة الإسلامية.

* **وضعهم القانوني**: وقع المسلمون بعد فتح المدن الأندلسية مع سكانها معاهدات صلح حددت فيها حقوق هؤلاء السكان وواجباتهم.

فمن الحقوق التي حصلوا عليها وفق هذه المعاهدات، حقوق فردية مثل احترام حياة وحرية الأفراد وممتلكاتهم، وحقوق جماعية تتمثل في حق الجماعة في الحفاظ على ديانتها وممتلكاتها، مثل دور العبادة ومختلف العقارات الأخرى، بالإضافة إلى حقهم في الأمن والاستقرار الذي تكفله لهم السلطة الإسلامية، كل ذلك مقابل جزية

وخراج يُفرضان عليهم، ومن أهم الأمثلة عن هذه المعاهدات تلك التي وقعها عبد العزيز بن موسى بن نصير مع تدمير بن عبدوش[1].

فالجزية هي المال المفروض على كل ذمي قادر على حمل السلاح، أي يستثنى من دفعها الذكور الذين لم يبلغوا الحلم، والمتقدمين في السن، والمرضى والفقراء والرهبان والمعتوهون والنسوة[2]، تختلف قيمتها حسب انتماء الفرد الطبقي، فإذ كان الذمي من طبقة الأغنياء دفع ثمانية وأربعين درهما فضيا سنويا، وإذا كان من الطبقة الوسطى دفع أربعة وعشرين، أما إذا كان من طبقة العامة فيدفع اثني عشر[3].

كانت الجزية تدفع على أقساط عند بداية كل شهر هجري، ولم تكن السلطات الإسلامية تلجأ إلى عقوبات ردعية صارمة، فردية كانت أو جماعية، في حالة امتناع بعض أهل الذمة عن أدائها[4].

ويذهب ليفي بروفنسال إلى الإدعاء بأن دفع الجزية كان السبب الرئيس في اعتناق عدد كبير من الإسبان للديانة الإسلامية، وهذا حسب رأيه، ما أثار مخاوف السلطات الإسلامية من تراجع موارد بيت المال بسب توقف هؤلاء الذميين عن دفع الجزية[5].

وفي هذا الإطار كانت قد وصلت الخليفة عمر بن عبد العزيز رسالة من والِيهِ على مصر، عبر له فيها عن تخوفه من إسلام أهل الذمة وتوقفهم عن دفع الجزية، فأرسل إليه عمر بن عبد العزيز رسولا، وقال له: "اضرب على رأس والي مصر ثلاثين سوطا أدبا على قوله، وقل له من دخل في دين الإسلام فضع عنه الجزية، فوددت لو أسلموا كلهم، فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا لا جابيا"[6].

ولم تُفرض الجزية على أهل الذمة عقابا لهم، أو ابتزاز لأموالهم، إنما فرضت عليهم لتحسيسهم بالذل والمهانة كما نص على ذلك القرآن الكريم: **"قـٰتِلُوا الذِّينَ لاَ**

1-ُينظر نص المعاهدة في الملاحق.

2- القلقشندي- صبح الأعشى في صناعة الإنشا- ج10 ص.40

1- Duffourcq – op. cit-p 46ٌ\De las Cagigas- op. cit– t1 p63.

4- Ibid– p50.

5-Levy Provencal – op cit – t1 p61.

6- ابن قيم الجوزية- أحكام أهل الذمة- تحقيق يوسف أحمد البكري وشاكر توفيق العاروري- رمادي للنشر الدمام ودار ابن حزم- بيروت- ط1- 1418هـ-1997م- ج1 ص458.

يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِاليَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَـٰبَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ"[1]، فالهدف من ذلك دفعهم إلى اعتناق الإسلام.

أما الخراج، بفتح الخاء، فجمعه أخرجة أو أخراج، وهو ما تفرضه السلطة من الضرائب على الأرض، سواء منها المفتوحة عنوة أو التي صالح أهلها عليها[2]، كما يعني الكراء والغلة[3]، وهو بمثابة جزية الأرض، كما أن الجزية خراج الرقاب[4]. الرقاب[4].

ووضع الخراج ضربان: أحدهما أن يوضع على الأرض، ويسمى خراج وظيفة، والثاني أن يوضع على الزرع، ويسمى خراج مقاسمة[5].

وقد اختلف في أصل كلمة الخراج، إلا أن الرأي الراجح هو أنها تعريب للكلمة الآرامية choregia، والتي تعني الضريبة[6].

ولم تحدد الشريعة الإسلامية مقدار الخراج بل تركت تحديده اجتهادا من الحاكم المسلم حسب نوع الأراضي والمحصول[7].

كما أن السلطة الإسلامية في الأندلس لم تشتط في فرض الجزية والخراج على نصارى الذمة، والدليل على ذلك عدم إشارة المصادر والمراجع إلى تشكيهم أو قيامهم بثورات بسببهما.

ولكي يكتسب المستعرب خاصة والمسيحي عامة وضعه القانوني كذمي في المجتمع الأندلسي، يجب أن يكون ضمن جماعة ممثلة دينيا من طرف قس، وإداريا من طرف قومس[8].

1- سورة التوبة- الآية 29.
2- محمد رواس قلعة جي وحامد صادق قنيبي- المرجع السابق- ص154.
3- ابن قيم الجوزية- المصدر السابق- ج1 ص260.
4- المصدر نفسه- ج1 ص245.
5- المصدر نفسه- ج1 ص275/محمد رواس قلعة جي وحامد صادق قنيبي- المرجع السابق- ج1 ص194.
6- محمد ضياء الدين الريس- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية- دار الأنصار- القاهرة- د ت– ص123 /غيداء خزنة كابتي- الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري الممارسات والنظرية- مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت- سلسلة أطروحات الدكتوراة- ط2- ديسمبر 1997م- ص100.
7- ابن قيم الجوزية– المصدر السابق- ج1 ص269.
7-Mikel de epalza – les mozarabes état de question –revue de monde musulmane et de la méditerranée – N 63-64 – 1992 – p42.

*** علاقاتهم الاجتماعية بالمسلمين:** لقي سكان الأندلس النصارى معاملة حسنة من طرف الفاتحين المسلمين، عملا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية[1]، كما حرص المسلمون منذ دخولهم الأندلس على التقرب من سكانها الأصليين والاختلاط بهم والتعامل معهم وعدم إقصائهم، ولعل أهم ما ميز هذه العلاقات، الزيجات المتعددة بين المسلمين والمسيحيات، والتي كانت على مستويات مختلفة من المجتمع.

فعلى مستوى الطبقة الخاصة تعددت هذه الزيجات، وكان أولها زواج عبد العزيز بن موسى بن نصير من أم عاصم أو إيخلونا أو أيلة، زوجة ملك القوط المنهزم لوذريق Rodrigo، وزواج زياد بن نابغة التميمي[2] من إحدى بنات ملوك القوط، وسارة القوطية من عيسى بن مزاحم[3]، ثم من عمير بن سعيد بعد وفاة زوجها السابق، وأغلب أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس كانت أمهاتهم جواري روميات، نذكر منهن على سبيل المثال مرجان الرومية أم الحكم المستنصر[4]، وصبح البشكنسية البشكنسية أم هشام المؤيد، ذلك لأن أمويي الأندلس كانوا يفضلون الشقرة مما أدى إلى غلبتها على خلقتهم[5].

كما تزوج المنصور بن أبي عامر، ابنة ملك نبارة Navarra شانجة الثاني Sancho II، فأنجب منها عبد الرحمن الذي كان يلقب بشنجول Sanchuelo[6]، وتواصلت ظاهرة زاوج المسلمين من المسيحيات في عهد ملوك الطوائف، ومن أمثلة

1- سيأتي ذكر الآيات القرآنية والأحاديث الدالة على حسن معاملة المعاهدين في الكلام عن مكانة المستعربين في المجتمع الأندلسي.

2- زياد بن نابغة التميمي: من الجند الداخلين إلى الأندلس مع موسى بن نصير، ويعتقد انه هو الذي قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير- ابن الفرضي- بغية الملتمس- ص254 رقم 754/الحميدي- الجذوة- ص192 رقم 441.

3- عيسى بن مزاحم (ت سنة 138هـ/755م): مولى من موالي بني أمية، زوجه الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م) من سارة القوطية، ودخل معها الأندلس في عهد الوالي أبي الخطار الكلبي، وهو جد أبي بكر عمر المعروف بابن القوطية صاحب كتاب افتتاح الأندلس- المقري- نفح الطيب- ج1 ص267/ابن خلكان- وفيات الأعيان- ج4 ص370.

4- ابن حيان- المقتبس- نشره شالميطا- ص102.

5- ابن حزم الظاهري- طوق الحمامة في الإلفة والآلاف- قدم له عبد الرحمن المصطاوي- دار المعرفة- بيروت- الطبعة الأولى- 1423هـ-2003م- ص70.

6- ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص66/ الزركلي-الأعلام - ج3 ص325.

ذلك أن عليا بن مجاهد العامري صاحب دانية Denia كانت أمه نصرانية، وظلت على نصرانيتها.

ولم تقتصر هذه الظاهرة على طبقة الخاصة، بل تعدتها إلى العامة، ونتج عن ذلك وجود عديد الأسر التي تضم أقارب نصارى وآخرين مسلمين[1]، ونتجت بفعل ذلك مشاكل اجتماعية، منها مشكل الحضانة، فصدرت بشأنها فتاوى من الفقهاء المسلمين، منها تلك التي أصدرها ابن سهل، والتي تعطي الحق في حضانة الأبناء إلى جدتهم لأمهم، حتى وإن كانت غير مسلمة وكانت الجدة للأب مسلمة[2]، وبذلك حفظت الأحكام الفقهية حقوق النصارى، فلم تسمح للزوج المسلم منع زوجته النصرانية من الذهاب إلى الكنيسة أو شرب الخمر[3]، كما حثت على معاملة العبيد والجواري معاملة لائقة حسنة[4].

ومن مظاهر العلاقات الطيبة بين المسلمين والنصارى في الحواضر خاصة، أنهم كانوا يستحمون في نفس الحمامات سواء تعلق الأمر بالرجال أو النساء، رغم معارضة بعض الفقهاء[5].

وعموما فإن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين قامت على أساس الثقة، إذ أن ربيع القومس أودع القاضي سعيد بن محمد بن بشير بن شراحيل[6] مالا عظيما[7] وقد ترجمت هذه الثقة في عدد من الأمثال صاغتها العامة من بينها "كل مع يهودي وارقد مع نصراني"[8].

وبالنسبة لعلاقات الجوار بين الطرفين، فقد اتسمت بالاحترام المتبادل والتعاون، فرغم أن المنزل المسيحي كان يشغل حيزا أكبر مما تشغله أربعة أو خمسة

1- عصمت دندش- علاقة الأندلس بمملكة قشتالة من خلال الأقليات (أهل الذمة) إلى القرن السابع الهجري- الغرب الإسلامي والغرب المسيحي- ص103.
2- أبو الأصبغ عيسى بن سهل- ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام- تحقيق يحي مراد- دار الحديث القاهرة- 1428هـ-2007م- ص227.
3- أبو القاسم بن أحمد البرزلي- فتاوى البرزلي أو جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام- تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة- دار الغرب الإسلامي- الطبعة الأولى- 2002- ج3 ص458.
4- المصدر نفسه- ج5 ص191-192.
5- الطرطوشي- الحوادث والبدع- ص117.
6- هو القاضي سعيد بن محمد بن بشير، ويقال بن شراحيل المعافري، قاضي الجماعة بقرطبة، استقضاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم، توفي سنة 210هـ/825م- الخشني- قضاة قرطبة- ص61.
7- المصدر نفسه– ص61.
8- عبيد الله الزجالي القرطبي- المصدر السابق- ص293.

منازل عربية[1]، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود علاقات طيبة بين الجارين المسلم والمسيحي، فالفقيه ابن الحصار[2] كان له جار نصراني يقضي حوائجه وينفعه[3].

وتطورت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين إلى حد الصداقة المتينة، فعبد الملك بن المنصور بن أبي عامر كان لا يجالس إلا العجم والبربر[4]، بل سُجلت حالات حالات عن علاقات حب بين مسلمين ونصرانيات، كانت إحداها بين الشاعر ابن الحداد[5] وصبية نصرانية كان قد شغف بحبها[6].

وعموما فإن المستعربين عاشوا بين المسلمين، ولم يكونوا يعانون من أي مظهر من مظاهر القسوة أو التميز، لا من طرف الحكام الأمويين ولا من الحجاب العامريين ولا من طرف الخاصة[7]، ونعموا خلال عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر بالازدهار والسعادة والأمن، مما سمح لهم بالانصهار اجتماعيا وسياسيا في المجتمع الأندلسي[8]. وتواصلت العلاقات الجيدة المطبوعة بالود والمجاملة بين المجموعتين بعد بعد سقوط الخلافة الأموية وبالأخص في فترة حكم بني جهور بقرطبة[9].

أدى هذا التعايش الودي، إلى تبادل التأثير بين المجموعتين، فقد أخذ النصارى عن المسلمين بعض العادات الاجتماعية، منها امتلاكهم للجواري، وتعدد الزوجات، وأصبح الاستحمام في حمامات جماعية، عادة الجميع من مسلمين ونصارى ويهود[10].

1- ليوبولودو توريس بالباس- الأبنية الإسبانية الإسلامية- تعريب الآنسة علية إبراهيم العناني- مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية- مدريد- العدد الأول- السنة الأولى- 1372هـ-1953م- ص123.

2- هو أحمد بن سعيد بن محمد بن بشر بن الحصار، فقيه قرطبي، توفي سنة 392هـ/1001م- ابن الفرضي - تاريخ علماء الأندلس- ص60 رقم الترجمة 198.

3- الطرطوشي- سراج الملوك- ص123.

4- ابن بسام- الذخيرة- ج4 ص58/ابن سعيد-المغرب في حلى المغرب- ج1 ص213.

5- هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد، أصله من وادي آش، استوطن ألمرية، إضافة إلى كونه شاعرا فقد كان متقدما في التعاليم والفلسفة، توفي بألمرية في حدود سنة 480هـ/1087م- ابن بسام- الذخيرة- ج1 ص528/ابن الأبار- التكملة- ج1 ص322 رقم 1140/ابن سعيد-المغرب- ج2ص143 رقم 449/ابن الخطيب- الإحاطة- ج2 ص220.

6- ابن بسام- الذخيرة- ج1ص201-202/ابن سعيد- المغرب- ج1ص.213

7-Levy Provençal – op cit – t3 p218.

8- عبد القادر عثمان جاد الله–المرجع السابق- ص.257

9-Simonet – op cit – page 650.

10- ليوبولد توريس بالباس- المرجع السابق- ص.117

إلا أن هذه العلاقات الحسنة بين المجموعتين المسلمة والنصرانية في الأندلس، مثلت هاجسا حقيقيا لدى بعض المؤرخين الإسبان، ربما عاد ذلك إلى خوفهم من ذوبان المستعربين في المجتمع الإسلامي[1].

وبما أن نصارى الأندلس كانوا ينتمون إلى طبقات اجتماعية مختلفة، فإنهم كانوا يعيشون حتما أوضاعا اجتماعية متفاوتة.

*** أوضاعهم الاقتصادية:**

عندما فتح المسلمون الأندلس وجدوها عامرة، ووجدوا بها حواضر آهلة بالسكان، ومنشآت عمرانية تدل على خبرة صانعيها، مما يعطي الإحساس بوجود نشاط اقتصادي متعدد الأوجه في شبه جزيرة إيبيريا قبل فتحها، وحافظ المسلمون على هذا النشاط بعد ذلك، بعدم تدخلهم في شؤون الأهالي، بل طوروه بما جلبوه معهم من تجارب وخبرات اكتسبوها من خلال فتوحاتهم في أنحاء عديدة من العالم، فتحولت الأندلس إلى قطب اقتصادي عالمي خلال العصور الوسطى، وكان للمستعربين مساهمة فيه من خلال الأنشطة التي مارسوها والوظائف التي شغلوها.

1- التجارة: اشتغل المستعربون في الأندلس بالتجارة الداخلية وسيطروا على التجارة الخارجية، وتعود هذه السيطرة إلى عزوف المسلمين عن القيام بهذا النشاط مع ما كانوا يسمونه بدار الحرب، ومردّ ذلك، أن الإمام مالك يرى كراهية شديدة في النشاط التجاري للمسلمين في غير أرض الإسلام[2].

وكان التجار النصارى في الأندلس يستغلون ميناء ألمرية للقيام بالتصدير والاستيراد، كما كان لهم به ديوان خاص[3]، وبذلك كانوا يتنقلون ببضائعهم إلى أنحاء

2-Isidro de las Cagigas – op cit – t1 p93.

2- الإمام مالك بن أنس- الموطأ (رواية يحي بن يحي الليثي)- باب كتاب الجهاد- الحديث رقم7- قدم له وراجعه ونسقه فاروق سعد- منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت- ط2- 1401هـ/ 1981م- ص359/ ابن رشد الحفيد- بداية المجتهد ونهاية المقتصد- نقحه وصححه خالد العطار- دار الفكر بيروت- الطبعة الثانية 1415هـ/1995م- ج1 ص312.

3- المقري- نفح الطيب- ج3 ص220.

شتى من العالم، فأولوخيو Eulogio مثلا كان له أخوان يرحلان للتجارة خلال القرن الثالث الهجري (9م) من قرطبة إلى ماينس Mayence[1].

ونتيجة لاستقرار الأوضاع بالأندلس، وبالأخص خلال القرن الرابع الهجري (10م)، فإن الطرق التجارية بينها وبين الشمال المسيحي كانت آمنة[2]، مما سهل عملية انتقال التجار المستعربين ببضائعهم المشرقية من الأندلس إلى الشمال المسيحي[3].

أما بالنسبة للتجارة الداخلية أو المحلية، فقد كانوا يمارسونها بكل حرية في الأسواق، جنبا إلى جنب مع التجار المسلمين، ويعرضون بضائعهم للبيع للزبائن على اختلاف ديانتهم، فإذا دخل زبون مسلم محل تاجر مستعرب عرض، له هذا الأخير سلعته، وأكد له نوعيتها الجيدة، وأقسم له بمحمد صلى الله عليه وسلم[4].

فلا بدّ إذا أن يكون هذا النشاط التجاري الذي مارسه النصارى، قد ساهم في جمعهم ثروات مقبولة سمحت لبعضهم بتحسين وضعهم الاجتماعي.

2- الزراعـة: احترم المسلمون بعد دخولهم الأندلس، ملكيات الأهالي الزراعية، ولم يضعوا أيديهم إلا على ثلث الأراضي التي كانت تابعة إما لكنائس، أو أديرة، أو تركها أهلها شاغرة، أو كانت ملكا لبيت لذريق[5]، على خلاف القوط الذين كانوا قد استولوا على ثلثي أموال البلاد وأراضيها[6]، بل أعاد المسلمون ما نهبه القوط من أراضي زراعية لأصحابها، إذ أعادوا لأرطباس كل ضياعه، واكتفوا بفرض الخراج على أصحاب الأراضي الزراعية، وتركوا لهم الحرية في التصرف بأراضيهم، ففضل عدد منهم تحبيسها على الكنائس والأديرة[7].

1- ميانصة أو مغانجة وتسمى حاليا مدينة Mainz، وهي مدينة بألمانيا حاليا، جليلة عامرة كثيرة الزراعات وافرة الغلات، وهي على نهر عظيم (الراين)- الروض المعطار- ص556.

2- القلقشندي- صبح الأعشى- ج14 ص30.

3- Levy Provençal – op cit – T3 p309.

4 --Simonet – op cit – p 389.

5- حسين مؤنس- فجر الأندلس- ص446.

6- المرجع نفسه- ص601.

7 -christophe picard – le Portugal musulmane – page 286.

وعموما فإن معظم المستعربين كانوا مزارعين يعيشون في القرى والأرياف، فكانوا إما ملاكا صغارا أو كبارا، أو عمال أرض أجراء، أو صيادي أسماك، وبخاصة الحوت والسردين[1].

3- الصناعة: زاول المستعربون بعض الحرف ومنها صناعة المجبنات[2]، وصناعة النسيج والأقمشة، وبالأخص في قرطبة التي وُجد بها حي للطرازين والذي كان يضم كنيسة[3]، مما يوحي بوجود عدد من المستعربين بهذا الحي يمتهنون حرفة الطرز، ونفس الملاحظة بالنسبة لحي الرقاقين الذي كان يضم هو الآخر كنيسة، كما اشتغل بعضهم في البناء كحرفيين ومهندسين، مثل مساهمتهم في بناء وتوسعة المسجد الكبير لقرطبة[4].

وبذلك يمكن القول أن المستعربين ساهموا مساهمة مقبولة في الاقتصاد الأندلسي، سواء باعتبارهم كمورد، ولو جزئي، في تمويل خزينة الدولة عن طريق الجزية والخراج، وكذلك عن طريق النشاطات التي كانوا يقومون بها.

الأوضاع الثقافية: لم يقض الفاتحون المسلمون على ثقافة القوط في الأندلس، بل سمحوا لها بالاستمرار والتواصل في أوساط السكان الأصليين، وبخاصة أولئك الذين قاوموا للبقاء على ديانتهم المسيحية، إلا أن دائرتها ظلت تضيق وتتراجع أمام زحف الثقافة العربية الإسلامية التي فرضت نفسها على الأهالي، فتأثروا بها وابتعدوا رويدا رويدا عن الثقافة اللاتينية، التي لم تلبث أن اختفت من الحياة اليومية في الأندلس، وبقيت محصورة في الأديرة ومدارس الكنائس التي كانت تدرس العلوم الإنسانية والدينية باللغة اللاتينية[5].

وأقبل المستعربون على العلماء المسلمين، يأخذون منهم العلوم، ولم يكن هؤلاء يبخلون بذلك، فالعالم عبد الله بن سهل الغرناطي[6] كانت تقصده النصارى من طليطلة

1- ابن الأحمر- بيوتات فاس الكبرى- ص20.

2- عثمان محمد جاد الرب- المرجع السابق- ص.263

4-Levy Provençal – op cit – T3 p 307.

5-Duffourcq – op cit – p261.

6- Isidro de las Cagigas – op cit – t1 p200.

6- عبد الله بن سهل الغرناطي الضرير، يكنى أبا محمد، ويعرف بوجه نافخ، كان متقدما في العربية والآداب والرياضيات والمنطق، ولد بغرناطة سنة 490هـ-1097م، وتوفي بمرسية سنة 571هـ-1175م- ابن الخطيب- الإحاطة- ج3 ص308/ ابن الأبار- التكملة لكتاب الصلة- ج2ص270 رقم 785.

لتتعلم منه عندما كان مقيما ببياسة Baeza[1]، أما محمد بن أحمد الرقوطي المرسي[2] فكان يُقرئ الأممَ بألسنتهم، فنونَهم والعلوم التي يرغبون في تعلمها، ولهذا بني له ألفونسو العالم مدرسة بمرسية يُقرئ فيها المسلمين والنصارى واليهود[3]، ويفتخر ابن الكتاني[4] بتعليمه أربع جاريات روميات علوما مختلفة[5].

هذه عينات من تعليم المسلمين لأهل الذمة، ويمكننا القول أن هذه الظاهرة تواصلت خلال فترة الوجود الإسلامي في شبه جزيرة إيبيريا، فقد كان العلماء المسلمون يعلّمون غير المسلمين إما في بيوت هؤلاء العلماء أو في مدارس مُعدَّة لذلك، كما كان الشأن بالنسبة للرقوطي، أو في صحن المدرسة المتصلة بالمسجد، لأن فقهاء المالكية لا يعتبرون صحن المدرسة من المسجد[6].

وهؤلاء المستعربون الذين كانوا يدرسون عن المسلمين، ويتعلمون بعض علومهم، كانوا يفوقون المستعربين الآخرين، مثل رجال الكنيسة[7] الذين اقتصرت دراساتهم على الديانة المسيحية، علما وثقافة[8]، ولم يفرِّق المسلمون بين الطوائف في مجال العلم[9]، بل أنهم كفلوا للنصارى حرية التعليم والفكر[10].

1- ابن الخطيب- الإحاطة- 308/3.

2- محمد بن أحمد الرقوطي المرسي، يكنى أبا بكر، كان متقدما في المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب والفلسفة واللغات، فكان يعلم الأمم بلغاتهم، العلوم التي يرغبون تعلمها- ابن الخطيب-الإحاطة-ج 3 ص48.

3- المصدر نفسه- ج3 ص48.

4- هو محمد بن الحس المذحجي المعروف بابن الكتاني المتطيب، أديب وشاعر وطبيب وعالم بالمنطق، له رسائل وكتب، منها كتاب "محمد وسعدي" وكتاب "التشبيهات من أشعار أهل الأندلس"، وله عدة أشعار، توفي قريبا من سنة عشرين وأربع مائة- ابن سعيد-المصدر السابق- ج1 ص211/ابن أبي أصيبعة- المصدر السابق- ص491/الضبي- بغية الملتمس- ص57 رقم 81/ابن بسام-الذخيرة- ج3 ص237/ الحميدي-جذوة المقتبس- ص44 رقم 35.

5- ابن بسام- الذخيرة- ج3 ص238.

6- الونشريسي- المعيار المغرب- ج1 ص17.

7- أنخيل جنثالث بالنثيا- تاريخ الفكر الأندلسي- نقله إلى العربية حسين مؤنس- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- د ت- ص533.

8- القرطبي- المصدر السابق- ص422.

9- أحمد شحلان- صور من اللقاء العلمي بين المسلمين وأهل الذمة في الأندلس- مجلة التاريخ العربي- العدد 20- 1422هـ-2001م- ص95

10- مصطفى الشكعة- المغرب والأندلس- آفاق إسلامية- ص.65

ومن بين المستعربين الأكثر انجذابا بالثقافة العربية الإسلامية، الشباب والأثرياء، الذين كانوا يعشقون الموسيقى والأغاني العربية، كما شغفوا بالحفلات المصحوبة بالراقصات[1].

ورغم ذلك يحاول بعض المؤرخين الأوروبيين المحدثين إنكار تأثير الثقافة العربية الإسلامية في الأندلس عموما، وفي الثقافة الإيبيرية اللاتينية خصوصا[2]، بينما بينما يرى البعض الآخر عكس ذلك[3].

ولا يمكن لمؤرخ منصف، إنكار مدى تأثير الحضارة العربية الإسلامية في الحضارة الإيبيرية خاصة، والأوروبية عامة، فالشواهد الماثلة إلى حد الآن من أبنية، وكلمات عربية، علمية وأدبية، منشورة في اللغات الأوروبية، ونظريات علماء مسلمين لازالت تدرس في أوروبا، مثل الخوارزميات les logarithmes، لدليل على التأثير الكبير للثقافة الإسلامية القرسطوسية في الحضارة الأوروبية.

ب) مكانة المستعربين في المجتمع الأندلسي:

حظي أهل الذمة عامة والنصارى خاصة بمكانة جيدة في المجتمع الأندلسي المسلم ويعود ذلك حسب رأينا إلى أسباب نذكر منها:

- تعاليم الدين الإسلامي التي تجبر المسلمين على معاملة أهل الذمة معاملة حسنة، والآيات الدالة على ذلك عديدة منها قوله تعالى: **"وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى"**[4]، ويقول عز وجل: **"وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ"**[5]، وقوله: **"وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ"**[6] ويقول تعالى أيضا: **"لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ لَمْ يُقَتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَٰرِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ "**[7].

3-Simonet – op cit – p359 et 657.
4-Isidro de las Cagigas – op cit – t1 p147 / Simonet –op. cit- p240-241.
5- Pierre Guichard – al Andalus 711-1492 – Hachette litterature 2000 – page 144.

4- سورة المائدة- الآية 8.
5- سورة الأنفال- الآية 61.
6- سورة التوبة- الآية 6.
7- سورة الممتحنة - الآية8.

بالإضافة إلى الأحاديث النبوية التي تحث على حسن معاملة أهل الذمة، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يُرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ عَلَى مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"[1]، ويقول أيضا: "ألاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِداً أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ"[2]، وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، أن يُوَفّى لهم بعهدهم وأن يُقاتَل من ورائهم ولا يُكلّفون إلا طاقتهم[3].

- طبيعة وهدف الفتح الإسلامي لشبه جزيرة إيبيريا، والذي يتمثل في السعي لنشر الدعوة الإسلامية في أوساط أصحاب الديانات الأخرى، وتشجيعهم ودفعهم إلى اعتناق الإسلام باللجوء إلى الوسائل السلمية قدر الإمكان.

- إضافة إلى الرؤيا التي رآها موسى بن نصير عند استعداده للعبور إلى الأندلس، إذ رأى الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يأمره بالرفق بالمشركين[4]، بينما يورد المقري روايتين مختلفتين لهذه الحادثة، الأولى مفادها أن طارقا رأى في منامه النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة يمشون على الماء، ويبشره النبي بالفتح ويأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد[5]، والثانية أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وسلم مع المهاجرين والأنصار متقلدين السيوف ومتنكبين القسي، وهو يحثه على دخول الأندلس[6].

إن تضارب الروايات، دليل على أسطورية هذه القصة، ولكن ما يمكن الاحتفاظ به منها، هو التزام الفاتحين بالرفق بالمشركين والوفاء بالعهد.

1- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجحفي- صحيح البخاري- تحقيق مصطفى ديب البغا- كتاب الجزية- باب من قتل معاهدا بغير جرم- الحديث رقم 2995- دار ابن كثير- بيروت- ط3 1407هـ/ 1987م- ج3 ص1155.

2- سليمان ابن الأشعث أبو داود السجستاني- سنن أبي داود- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- كتاب الخراج- باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات- الحديث رقم 3052- دار إحياء التراث العربي- بيروت- د. ت– ج3 ص170.

3- البخاري- المصدر السابق- كتاب الجنائز- باب ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما- الحديث رقم 1328- ج1 ص469.

4- حسين مؤنس- فجر الأندلس- ص440.

5- المقري- نفح الطيب- ج1 ص256.

6- المصدر نفسه- ج1 ص255/ابن القوطية- المصدر السابق- ص23.

ولهذا كله كانت للمستعربين مكانة حسنة في المجتمع الأندلسي وتجلى ذلك في مظاهر هي:

1- منحهم الحرية الكاملة في تسيير شؤونهم: حرص السلطة الإسلامية على ترك الحرية الكاملة للمستعربين في تسيير وتنظيم مختلف شؤونهم الدينية والسياسية والمدنية، بينما احتفظت بحق الإشراف والمراقبة وتوفير الأمن لهم.

***- الحرية الدينية:** ضمن المسلمون، منذ دخولهم الأندلس، حرية العبادة لسكانها، إذ كان الفاتحون يبعثون رسلا إلى سكان المدن، قبل وصول الجيوش الفاتحة إلى أبوابها، ليؤمنوهم على أرواحهم ودينهم وممتلكاتهم، فعندما اقترب موسى بن نصير بجيشه من مدينة سرقسطة، وشعر بهلع أهلها ونية قساوستها ورهبانها على مغادرة المدينة بما تيسر لهم حمله من ذخائر وكتب مقدسة، أرسل إليهم رسولا، يؤمنهم ويعطيهم عهده[1].

وكان الفاتحون عندما يفتحون مدينة ما، يفرضون على من رغب من أهلها في البقاء على دينه دفع الجزية، مقابل الحرية الدينية والأمن والاحتفاظ بدور العبادة.

تواصلت حياة المسيحيين عادية في المدن المفتوحة، وأصبح بإمكانهم أداء شعائرهم الدينية بكل حرية[2]، وقد أقرّ سيموني هذه الحقيقة في كتابه، رغم عدائه الشديد للإسلام والمسلمين، فقد اعترف بأن الكنائس في الأندلس لم تمس بأذى خلال الفتح، وأن عددا كبيرا من الأساقفة والقساوسة والرهبان الذين فروا عند دخول المسلمين، عادوا إلى كنائسهم بعد تأكدهم من تسامح الفاتحين تجاه أصحاب الديانات الأخرى ومعابدهم[3].

لقد حافظت الكنيسة على سلطتها الروحية على أتباعها، كما احتفظت بممتلكاتها وإمكانية حيازة ممتلكات أخرى عن طريق الوقف أو الهبات[4]، كما التزمت السلطات الإسلامية في الأندلس بعدم التدخل في الشؤون الدينية للمسيحيين فيما يتعلق بالعقيدة وطرق أداء العبادات والعادات الكنسية أو عمليات انتخاب رجال الكنيسة لتولي

1-حسين مؤنس- المرجع السابق- ص103.

2 -Duffourcq – op cit – p73.

3 - Simonet – op cit - p122.

4 - Duffourcq – op cit – p71.

منصب ديني، إلا إذا كانت الشخصية المنتخبة قد ناصبت الدولة الإسلامية ودينها وهياكلها العداء.

ففي النصف الأول من القرن الثالث الهجري(9م) انتخب أساقفة مطرانية طليطلة الراهب القرطبي إيلوخيو لتولي منصب أسقف طليطلة، مع العلم أن هذا الأخير قد أعلن عداءه للسلطة الإسلامية، وكان يدفع الرهبان والراهبات إلى سب الدين الإسلامي والرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فرفضت السلطة الإسلامية توليه هذا المنصب، ولكنها في الوقت ذاته لم تعين ولم تقترح أحدا مكانه، وظل المنصب شاغرا إلى غاية وفاة إيلوخيو سنة 245هـ/859م[1].

أما إذا لم يكن هناك أي سوء تفاهم بين الشخصية المرشحة لمنصب كنسي والسلطة الإسلامية، فإن هذه الأخيرة تلتزم الحياد ولا تتدخل.

ففي سنة 392هـ/1000م حكمت إحدى المحاكم الإسلامية على أسقف مالقة بالسجن خمس سنوات، وأثناء تنفيذه لهذا الحكم اجتمع المجمع الكنسي، وعين أسقفا آخر مكانه، ولكن بعد إطلاق سراح الأسقف الأول رفض الثاني التنازل له عن منصبه، فنشب خلاف بين الأسقفين، اضطر على إثره الأول إلى السفر إلى روما والاتصال بالبابا الذي أمر بإرجاعه إلى منصبه، كما أمر بتعيين الأسقف الثاني على رأس أول أسقفية يتم شغورها في مطرانية إشبيلية[2].

يتضح من خلال ذلك عدم تدخل المسلمين في شؤون المسيحيين رغم أن الحاكم المسلم كان يعلم عند تعيين مسيحيين في أحد مناصب الوجاهة الكنسية مثل مطران أو أسقف أو قس، كما كان للمستعربين في الأندلس الحرية المطلقة في التنقل سواء في الداخل أو نحو الخارج، إذ كان بإمكانهم الذهاب إلى بيت المقدس وبيت لحم والناصرة قصد الحج مثل أسقف إلبيرة ربيع بن زيد (روسيموندو) الذي توجه إلى فلسطين للحج، وأسقف بلنسية الذي توجه إلى بيت المقدس سنة 480هـ/1087م وتوفي بها[3].

---

1 - Simonet – op cit - p481.

2 - Ibid – page 126.

3 - Duffourcq – op cit – p71.

وفي مجال التعبد سمحت السلطات الإسلامية للنصارى في الأندلس بقرع الأجراس داخل الكنائس وخارجها، ويبدو أن ذلك كان أمرا عاديا ومألوفا بين المسلمين، لذا ظهر في أشعارهم وأعمالهم الأدبية.

فقد بات أبو عامر بن شهيد ليلة بإحدى كنائس قرطبة، وأثار انتباهه قرع النواقيس الذي هيج سمعه[1]، ويؤكد ذلك قوله في إحدى خمرياته:

وَتَرَنَّمَ النَّاقُوسُ عِنْدَ صَلاَتِهِمْ فَفَتَحْتُ مِنْ عَيْنِي لِرَجْعِ هَدِيرِهِ[2]

كما جاء على لسان ابن حزم الظاهري:

أَتَيْتَنِي وَهِلاَلُ الجَوِّ مُطَّلِعٌ قُبَيْلَ قَرْعِ النَّصَارَى لِلنَّوَاقِيسِ[3]

وتواصل قرع النصارى للنواقيس في الأندلس على امتداد الحكم الإسلامي بها، ولذلك طالب الفقهاء المسلمون من الحكام منع النصارى من ذلك[4].

ورخص الحكام المسلمون للمواكب المسيحية بالسير في شوارع المدن الأندلسية، وحمل الصليب، وإيقاد الشموع[5]، وبالأخص أثناء الاحتفالات بالأعياد الدينية.

وقد حرصت السلطات الإسلامية في الأندلس على إيجاد تنسيق مع المؤسسات المسيحية، فقد كانت تستدعي من حين لآخر مجالس مسيحية تضم أساقفة ورهبانا وعربا مسلمين وأسالمة وأحيانا اليهود، بهدف مناقشة مشاكل المسيحيين وعلاقاتهم بأتباع الديانتين الأخريتين، الإسلام واليهودية[6]، منها مجمع القساوسة الذي عقد سنة 225هـ/839م ترأسه مطران طليطلة، بمساعدة مطران إشبيلية ومطران ماردة[7].

وقد اكتسبت الكنيسة الأندلسية خلال الوجود الإسلامي استقلاليتها عن روما مركز البابوية، وذلك بإقرار الحاكم المسلم لمطران الأندلس[8]، بينما كان هذا الأخير

1- المقري- نفح الطيب- ج1 ص525.
2- ابن بسام- الذخيرة- ج1 ص203.
3- ابن حزم الظاهري- طوق الحمامة- ص230.
4- ثلاث رسائل في الحسبة – ص55.

5 - Simonet – op cit - p 128.
6 - Ibid – p 360.
7 - Duffourcq – op cit – p83.

8- حسين مؤنس- فجر الأندلس- ص496.

يعين من طرف البابا سابقا، وبذلك أصبح للكنيسة الأندلسية شخصية متميزة، إذ أصبح لها طقوسها الخاصة بها المسماة بالطقوس المستعربية el rito mozarabe، وهي عبارة عن ترانيم وصلوات تؤدى بلغة عجمية أهل الأندلس، وهي مزيج من الرومانية القديمة واللاتينية الدارجة (اللاطينية) والعربية، والتي ظلت سارية المفعول إلى غاية القرن الحادي عشر الهجري (17م)[1].

ومن مظاهر احترام السلطات الإسلامية في الأندلس للنصارى عدم تدخلها في التنظيم الكنسي لهم بحيث ظلت أرض الأندلس حتى نهاية القرن الخامس الهجري (نهاية11م) مقسمة إلى نفس المناطق الكنسية التي كانت عليها أيام القوط، أي إلى ثلاث مطرانيات (طليطلة- إشبيلية- ماردة)، على رأس كل منها مطران، وكل منها تتكون من عدة أسقفيات، وكل أسقفية تتكون من عدة أبرشيات.

وقد حافظ المسيحيون على كنائسهم وأديرتهم للجنسين، إذ وصل عدد هذه الأديرة في ضواحي قرطبة لوحدها إلى حوالي خمسة عشر دير مسيرة وفق تعاليم مسيحية[2].

وزيادة على كل ذلك، فقد سمح المسلمون للمستعربين ببناء كنائس جديدة في قرطبة، من ذلك أن عبد الرحمن الداخل قد سمح لنصارى قرطبة ببناء كنيسة بدل نصف الكنيسة الذي اشتراه منهم بحوالي مائة ألف دينار ذهب، أي ما يعادل خمس مائة كيلوغرام من الذهب[3]، بهدف توسيع مسجد قرطبة الجامع، مع العلم أن الفقه الإسلامي، وبالأخص المذهب المالكي، يمنع أهل الذمة، سواء في المناطق المفتوحة صلحا أو عنوة، من بناء كنائس[4].

وظلت الكنائس في الأندلس تقوم بدورها الديني والاجتماعي المتمثل في عقد الزيجات وتعميد المواليد واختيار الأسماء لهم وتسجيل المبايعات والعقود بين المسيحيين[5]، كما ظلت الكنائس والأديرة محافظة على ممتلكاتها المتمثلة في الأموال

1- المرجع نفسه- ص426-499.

2 - Isidro de las Cagigas – op cit – t1 p58.

3 - Simonet – page 201.

4- الونشريسي- المعيار المغرب- ج2 ص247.

5- حسين مؤنس- المرجع السابق- ص501.

والأراضي التي أوقفها عليها المستعربون؛ فدير رأس القديس فانسان أوقفت عليها أراضي زراعية واسعة جدا[1].

والأهم من كل ذلك أن الوجود الإسلامي في الأندلس حرر النصارى فكريا، وأعطاهم حرية نقد الكنيسة[2]، فأصبح المستعرب يجرؤ على توجيه انتقاداته للكنيسة بكل حرية، لأن الإسلام ضمن له الأمن، وكفل له حرية العقيدة، ووضع حدا للاضطهاد الديني بين المسيحيين أنفسهم في الأندلس[3]، إضافة إلى تعلمهم حرية اختيار الأشخاص الذين يشرفون على شؤونهم الدينية كالمطارنة والأساقفة، وعدم السماح للحاكم بفرضهم عليهم؛ فعندما عزل عمر بن حفصون الأسقف جعفر بن مقسم عن السقافة في ببشتر Bobastro وعوضه بحيوة، عارضه الرهبان وكبار نصارى دولته، واضطروه إلى إرجاع جعفر بن مقسم إلى منصبه[4].

2- تمتع المستعربين بحرية تسيير شؤونهم الإدارية:

يلاحظ من خلال المعاهدات التي أبرمت بين الفاتحين المسلمين وحكام بعض المدن الأندلسية، ومنها المعاهدة التي وقعت بين عبد العزيز بن موسى بن نصير وتدمير بن عبدوس، والتي يعترف فيها عبد العزيز بحقوق المسيحيين الشخصية والاجتماعية والدينية والثقافية، وحقهم في ملكية الأرض[5] ، أن المسلمين عاملوا المسيحيين معاملة حسنة.

فوشقة Huesca حاصرها المسلمون خلال الفتح مدة سبع سنوات، ولم يفتحوها بالقوة، وظلوا طيلة هذه المدة، يستغلون الأراضي المحيطة بها، إلى أن استسلم أهلها، فأسلم من أراد، وبقي الآخرون على ديانتهم المسيحية[6].

وظلت إحدى الإمارات القريبة من رندة Ronda، مسيحية منذ الفتح، إلى أن أسلم أحد حكامها سنة 205هـ/820م، فدخلت بذلك تحت إشراف السلطة الإسلامية في قرطبة[1].

---

1 - Christophe Picard – op cit – p 286.

2- حسين مؤنس- المرجع السابق- ص487.

3- مصطفى الشكعة- المغرب والأندلس- ص66.

4- ابن حيان- المقتبس- تحقيق عبد الرحمن علي الحجي- ص124.

5- مارغريتا لوبيز غوميز – المرجع السابق – ص 241.

6 - الحميري– المصدر السابق– ص 195.

وصالح سكان ماردة موسى بن نصير، على أموال القتلى يوم الكمين، وأموال الهاربين إلى جليقية، وأموال الكنائس وحليها[2]، مما يعني أن المسيحيين الذين بقوا داخل المدينة حافظوا على حريتهم وأموالهم وممتلكاتهم بالإضافة إلى الكنائس والأديرة.

من ذلك، نلاحظ أن معاهدات الصلح التي وقعها الفاتحون المسلمون مع حكام المدن الأندلسية المسيحيين، توضح إنسانية المسلمين، وأن الأهالي كانوا المستفيد الأكبر منها، وبالأخص المسيحيين الذين كانوا يشكلون غالبية السكان، وهذا باعتراف المؤرخين الإسبان المعادين لكل ما هو عربي وإسلامي مثل سيموني[3].

وفي المدن المفتوحة، فضل المسلمون ترك الأهالي يديرون شؤونهم المدنية بالطريقة نفسها التي كانوا عليها قبل الفتح، إذ كان يشرف على هذه الشؤون مجموعة من الموظفين المستعربين، ينتخبون من طرف بني ملتهم، يرعوا شؤونهم، ويحكمونهم وفق القوانين المسيحية التي كان معمولا بها في شبه جزيرة إيبيريا قبل الفتح، ويمثلونهم لدى السلطات الإسلامية في الأندلس، ويتمثل هؤلاء الموظفون في:

1) القومس: وهي تعريب لكلمة أجنبية conte أو conde، وتعني الأمير بلغة الروم أو الرجل الشريف أو الملك الشريف[4]، وأصل الكلمة لاتيني comes- itis، ومعناها رفيق الملك، وكانت لقبا لموظف كبير في الدولة يعينه الملك حاكما لمنطقة ما، وهو قابل للعزل والنقل[5].

ورغم أن كل القمامسة الذين وجدوا في الأندلس أثناء الفتح الإسلامي، كانوا من القوط، معينين من طرف السلطة المركزية في طليطلة، إلا أن المسلمين تعاملوا مع بعضهم، ووقعوا معهم معاهدات صلح مثل تدمير Teodemir الذي صالحه عبد العزيز بن موسى بن نصير على سبع مدائن وهي: أوريولة Orimuela وبلنتلة

---

1 - Duffourcq – op . cit – p43 .

2 - مجهول– أخبار مجموعة– ص 103/ابن عذاري- المصدر السابق– ج 2 ص 15.

3 Simonet – op. cit – p 43.

4- ابن منظور– لسان العرب– ج 6 ص 183.

5 - ابن القوطية– افتتاح الأندلس– ص 43، الهامش رقم 1.

Valentilla ولقنت Alicante ونولة أرمولة Mula وبقسرة Bicasro ولورقة Lorca وأله Ello أو Eyyo[1]، كما ظل قومس مدينة قرقشونة Carcasona بعد توقيعه عهدا مع دار الإسلام، سيدا على المدينة[2].

وكان أرطباس بن غيطشة أول من تلقب بالقومس بعد خضوع شبه جزيرة إيبيريا للمسلمين، لقبه به الأمير عبد الرحمن الداخل[3]، هذا يعني أن العرب منذ دخولهم الأندلس لم يعينوا قومسا عاما على الأندلس أي أن هذا المنصب ظل مجمدا إلى أن دال الحكم لهذا الأمير سنة 138هـ/755م، ويعود ذلك حسب رأينا إلى انعدام الاستقرار السياسي خلال عهد الولاة نتيجة الصراعات بين العصبيات العربية من جهة، وبين العرب والبربر من جهة أخرى.

أما بالنسبة لقمامسة المدن فقد اكتفى الفاتحون بتثبيت من وقّع صلحا معهم في منصبه، وبذلك نلاحظ وجود نوعين من القمامسة:

القومس العام للأندلس: وكان يعين من طرف الحكام المسلمين[4] أو ينتخب من طرف المستعربين، ويصادق عليه الحاكم المسلم، ومن مهامه تمثيل مستعربي الأندلس لدى السلطات الإسلامية المركزية في قرطبة، ويعين قاضي العجم أو ما يسمى كذلك بقاضي النصارى، ويشرف على الكنائس، ويجمع جزية نصارى الأندلس كافة[5]، ويحضر مراسيم استقبال السلطات الإسلامية للوفود والشخصيات المسيحية التي تفد على قرطبة، ويقوم بالترجمة لها وعنها[6]، كما كان الحكام المسلمون يقبلون من بعضهم النصيحة[7].

وقد احتفظت لنا المصادر التاريخية بأسماء بعض قمامسة الأندلس، وأولهم كما سبقت الإشارة إليه أرطباس بن غيطشة وربيع بن تيودولف الذي كان يحتل هذا

1- الضبي- المصدر السابق- ص235/الحميري- المصدر السابق- ص132./Simonet- op- cit- p53
2 -- Duffourcq – op cit – p 45
3- ابن القوطية- المصدر السابق- ص 43

4- حسين مؤنس- فجر الأندلس- ص460.
5- المرجع نفسه- ص597.
6- ابن حيان- المقتبس- القسم الرابع- ص64.
7- ابن القوطية- المصدر السابق- ص43/ابن الخطيب- الإحاطة – ج1 ص20.

المنصب في بداية القرن الثالث الهجري(9م)، وأبو سعيد الذي ينحدر من أرطباس[1]، وانتهى وجود هذا المنصب بانتهاء الدولة الأموية وانفصام عقدها.

قومس المدينة: كان ينتخب من طرف أهل ملته؛ وبخاصة الأثرياء منهم، وتصادق عليه السلطة الإسلامية، وكان له من ينوب عنه في القرى الصغيرة والحصون الداخلة في زمام مدينته[2]، ومن مهامه الإشراف على الكنائس، وتولي أمور رجال الدين المسيحيين في منطقته، وجمع الجزية وتقديمها إلى السلطات العليا التي تشرف عليه، والتي تقدمها بدورها إلى السلطات الإسلامية، كما كان يقوم أيضا بتجنيد المستعربين المتطوعين بهدف تكوين وحدات يتراوح عدد أفرادها بين مائة وخمسين رجلا[3] بطلب من السلطات الإسلامية التي كانت تستعين بهذه الوحدات أحيانا للحفاظ على الأمن الداخلي أو لشن حملات عسكرية على المناطق المتمردة أو الممالك المعادية.

وكان قمامسة المدن والكور بمثابة عين السلطات الإسلامية في مناطقهم، ينبئونها بالأحداث السياسية التي تحدث هناك؛ فقد أرسل قومس لستره من أداني جليقية المسمى غند شلب بن مسرة رسوله سليمان إلى قرطبة في شهر رمضان سنة 360هـ/971م بخبر دخول المجوس وادي دويرو، ثم مغادرتهم له في اتجاه شنت برية Santaver وبسيطها[4].

ومن المواصفات التي كان يتصف بها القومس سواء العام أو الخاص الحنكة والدهاء والمداراة بالإضافة إلى الشهرة والصيت والجاه عند الحكام المسلمين[5]، كما كان يتصف بالحلم والسلطة على أهل ملته إذ لا يجب أن يرفضوا له أمرا أو أن يخالفوه[6].

---

1 -Duffourcq – op cit – p48
2- Simonet - op . cit –p 108
3 -Duffourcq – op . cit -p172

4- ابن حيان- المصدر السابق- ص27.
5- ابن الخطيب- الإحاطة- ج1 ص21.
6- المقري- نفح الطيب- ج4 ص444-445.

وكان يساعد القومس مجموعة من الموظفين بينهم قاضي العجم أو قاضي النصارى، وكان يسمى في العهد القوطي يودكس Judex، ويعين هذا القاضي من طرف القومس، وكان مقرّه قرطبة، على أن يعين بدوره قضاة النصارى للكور.

وخلال القرن الرابع الهجري(10م)، وُجد في قرطبة قاضي كبير أو قاضي نصارى الأندلس، وهو جعفر بن ألبر[1] أحد أحفاد أرطباس بن غيطشة، ووليد بن خيزوان قاضي نصارى قرطبة[2].

ويمكن العثور في ثنايا المصادر، على أسماء عدد من النصارى الذين تولوا هذا المنصب، ومنهم أصبغ بن نبيل، والذي أمر الخليفة الحكم المستنصر بإقصائه وعزله سنة 363هـ/974م، لأنه أغضب الخليفة بترجمته لكلام من رسل حلويرة Elvira، فيه بعض الجفاء[3].

وكان هؤلاء القضاة ينظرون في القضايا المثارة بين المستعربين وفق القانون القوطي القديم، المسمى باللاتينية Forum Judicum أو Lex Judcum أو Lex Gothorum، ولا يتقاضى المستعربون أمام قضاة مسلمين، إلا إذا اشتد الخلاف بين متخاصمَيْن منهم، وطالت المحاكمة بينهما، فإنهما يضطران إلى عرض قضيتهما أمام قاضي مسلم[4].

وإذا كانت القضية بين مسلم ومستعرب، فإنها تعرض كذلك على قاض مسلم، أو إذا تعلق الأمر بقضية عقائدية كأن يقوم نصراني بسب الدين الإسلامي أو سب النبي صلى الله عليه وسلم أو ادعاء فضيلة من فضائل الأنبياء، فإنه يمْثل أمام قاض مسلم مثل النصراني الذي اعتقد أن له فضيلة من فضائل عيسى عليه السلام، فقدم أمام القاضي أسلم بن عبد العزيز[5].

1- ابن القوطية- افتتاح الأندلس- ص21.

2- المقري- نفح الطيب-ج 1 ص390، ويسميه ابن خلدون وليد بن مغيث- ابن خلدون- كتاب العبر- ج 4 ص174.

3- ابن حيان- المصدر السابق- ص 146.

4 -Simonet – op cit – p457

5- القاضي أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن عبد الله بن الحسن بن الجعد بن أسلم بن الجعد بن عمرو، مولى عمرو بن عثمان بن عفان، ولي قضاء الجماعة بالأندلس لعبد الرحمن الناصر، توفي سنة 319هـ/ الضبي-

وإلى جانب قاضي العجم، كان يساعد القومس في مهمته موظف آخر، هو مستخرج خراج أهل الذمة، أو ما يعرف أيضا بقومس الخزينة comes thesaururum[1] أو exceptor[2] أو veedor، وهو العريف المكلف بحساب الخزينة، ومهمته مراقبة وجمع الجزية والمعاون والمغارم[3].

يضاف إلى هؤلاء، موظف آخر هو القومس حاكم المدينة وزمامها، ويعرف أيضا بصاحب المدينة أو حارسها أو حاميها "protector urbanus" أو " defensor civitatis"، إلا أن هذين المصطلحين عوضا بالكلمة العربية "صاحب المدينة" التي دخلت اللغة القشتالية مع قليل من التحوير، فأصبحت "zahalmedina" أو "zafalmedina" أو "zalmedina"[4].

يتضح إذا أن النصارى في الأندلس كانوا أحرارا في إدارة شؤونهم المدنية والسياسية وفق التشريعات القوطية التي كان معمولا بها قبل الفتح، حتى أنه يُخيل للدارس وجود نظامين متزامنين في الأندلس أحدهما خاص بالمسلمين، والثاني خاص بالنصارى، وهذا يدل على مدى احترام المسلمين للحياة الخاصة للمسيحيين، في إطار العهود التي أبرمها الطرفان، وهذا بدوره يوضح المكانة اللائقة والحسنة التي تمتع بها المستعربون في ظل المجتمع الإسلامي الأندلسي.

ب- الاستعانة بالمستعربين في إدارة الأندلس:

لم يقم المسلمون بعد فتح الأندلس بترك سكانها جانبا، والاكتفاء باعتبارهم عبيدا وتغريمهم الأموال[5]، إنما قربوهم وقدموهم واستشاروهم في كثير من الأمور، وولوهم مناصب قيادية حساسة سياسية وعسكرية.

فأرطباس بن غيطشة كان يتمتع بمقام كريم بين العرب وأهل جنسه على حد سواء، وكان ولاة الأندلس يستشيرونه إذا حزبهم أمر.

بغية الملتمس- ص204 رقم 571/الحميدي- جذوة المقتبس- ص152 رقم 322/ابن الفرضي- تاريخ علماء الأندلس- ص81 رقم 280/ابن الخطيب- الاحاطة- ج1 ص229-230-231/الخشني- قضاة قرطبة- ص158-159.

1- حسين مؤنس- فجر الأندلس- ص463.

2 - Simonet – op cit – p112.

3 - Duffourcq – op cit – p49.

4 - Simonet – p108-109.

5 - Duffourcq – op cit – p39.

فبعد دخول العرب في طالعة بلج بن بشر إلى الأندلس نشب صراع بينهم وبين العرب البلديين، الذين رفضوا مكوثهم إلى جانبهم في قرطبة، فاشتد الأمر على الوالي أبي الخطار ولم يجد الحل المناسب له، إلى أن تقدم له المستعرب أرطباس بحل يقضي بتوزيع العرب الشاميين على كور الأندلس كل مجموعة وفق مع ما يتلاءم مع المنطقة التي قدمت منها[1]، فاستحسن أبو الخطار الرأي، وقام بإنفاذه.

وحافظ المستعربون على مكانتهم هذه في عهد الدولة الأموية في الأندلس، فالأمير الحكم الربضي أطلق يد ربيع القومس، متولي المعاهدين، إلى حد أنه كلفه بافتراض المعاون والمغارم على المسلمين[2]، كما كان له خادم مقرب منه كثيرا يسمى بزنت Vicente[3] أو يزنت Jacinto أو لورنت Lorenzo وهو الأمر الذي أمره الحكم بأن يناوله زجاجة الغالية عند استعداده للخروج لإخماد هيج الربض[4].

واستخدم الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، عددا منهم، أبرزهم قومس بن أنتينيان الذي كان قريع كل من ينتحل البلاغة في عصره[5]، وكان له منهج خاص في الكتابة السلطانية[6]، وهو أول من سن لكتاب السلطان وأهل الخدمة، تعطيل الخدمة يوم يوم الأحد من كل أسبوع، وأصبح ذلك عرفا تواصل العمل به إلى ما بعد سقوط الخلافة[7].

ورغم الدسائس والمؤامرات التي حيكت ضد ابن أنيتنيان عند الأمير محمد، بدافع الغيرة[8]، إلا أن هذا الأخير احتفظ به كاتبا إلى غاية وفاته.

ارتفعت مكانة المستعربين في عهد الإمارة، وبلغت حدا كبيرا، إذ كان الأمراء الأمويون يستشيرون بعضهم، ويأخذون بآرائهم في مسائل حساسة تتعلق بسياسة الأندلس الداخلية، فقد عزل عبد الرحمن الأوسط، القاضي يخامر بن عثمان الشعباني[9]

1- ابن الخطيب- الإحاطة-ج 1 ص109/ابن عذاري- البيان المغرب-ج 2 ص33.
2- ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص15.
3- الخشني- قضاة قرطبة- ص44/ابن حيان- السفر الثاني من كتاب المقتبس- ص154.
4- ابن حيان– المصدر السابق– ص 154.
5- ابن حيان- المقتبس- تحقيق محمود علي مكي- ص142.
6- الخشني- قضاة قرطبة- ص112.
7- ابن حيان- المصدر السابق- ص138.
8- الخشني– قضاة قرطبة– ص 111.

الشعباني[1] عن منصبه، بسبب شهادة شهد بها شيخ أعجمي اللسان يسمى ينير، وقد كان هذا الشيخ مقدما عند القضاة مقبول الشهادة[2].

وكان للأمير عبد الله مستشار من المستعربين يسمى جذمير العجمي، والذي أشار على الأمير بتولية الحبيب أحمد بن محمد بن زياد اللخمي[3] في منصب القضاء سنة 291هـ/904م بدل أبي الغمر بن فهد[4]، وذلك بعد وفاة القاضي محمد بن سلمة[5].

وفي فترة الخلافة تحسنت وضعية المستعربين ومكانتهم بشكل كبير نظرا لما نالوه من احترام كبير من طرف الخلفاء الأمويين[6]، وبعد تعيين عدد منهم في مناصب مناصب مسؤولية في دواوين الخلافة[7]؛ فقد ولى الخليفة عبد الرحمن الناصر عريفا من العجم يدعى ابن بزنت على أبذة[8] Ubeda، بينما كان مثل هذه المناصب حكرا على المسلمين قبل ذلك.

كما قرب الناصر منه بعضا منهم، مثل ربيع بن زيد المدعو روسيموندو، والذي ينسب إليه المؤرخون المسيحيون كتاب "تقويم قرطبة" أو "كتاب الأنواء" الذي ألفه حسب رأيهم سنة 290هـ/901م[9]، وأهداه بعد ذلك إلى الحكم المستنصر، وكلفه هذا هذا الأخير ببعض المهام الدبلوماسية لدى إمبراطور القسطنطينية وإمبراطور جرمانيا، ثم قربه منه وجعله محظيا عنده.

1- يخامر بن عثمان بن حسان بن يخامر بن عثمان بن عبيد بن أفنان بن وداعة بن عمر الشعباني أو المعافري، استقضاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم سنة 220هـ/835م، ثم عزله في نفس السنة بسبب المعارضة الشديدة له، توفي سنة 227هـ-841م/ ابن الفرضي-المصدر السابق- ص456 رقم 1646/ابن سعيد- المصدر السابق- ج1 ص149 رقم 86/ابن حيان-المقتبس– السفر الثاني- ص63 وما بعدها.

2- الخشني- قضاة قرطبة- ص84.

3- أحمد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن اللخمي، يكنى أبا القاسم، ويعرف بالحبيب، توفي سنة 312هـ-924م، استقضاه الأمير عبد الله ثم الخليفة الناصر- ابن الفرضي-المصدر السابق- ص33 رقم 81.

4- هو عبيدون بن محمد بن فهد بن الحسن بن علي بن أسد بن محمد بن زياد بن الحارث بن عبيد الله بن عدي الجهني (توفي 325هـ/936م)، من أهل قرطبة، يكنى أبا الغمر، ولي قضاء الأندلس يوما واحدا في عهد الأمير عبد الله- الضبي- بغية الملتمس– ص349 رقم 1133/الحميدي-جذوة المقتبس- ص263 رقم 670.

5- هو محمد بن سلمة بن وليد بن أبي بكر بن عبيد بن بلج بن عبيد بن علي الكلابي القيسي، استقضاه الأمير عبد الله، توفي سنة 289هـ-902م- ابن الفرضي- المصدر السابق- ص270 رقم 1004.

6 - Isidro de las Cagigas – op cit – t2 p464.

7 - Ibid – t1 p60.

8- ابن حيان- المقتبس- تحقيق علي الحجي- ص121.

9 - Levy Provençal – op. cit – t3 p222.

وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر يسمحان لكبار ممثلي المستعربين مثل مطران طليطلة وقومس الأندلس وأسقف قرطبة وقاضي النصارى بحضور مراسيم استقبال الوفود الدبلوماسية القادمة من الأقاليم المسيحية الشمالية.

وبعد استئثار المنصور بن أبي عامر بالحكم أبقى للمستعربين مكانتهم، إذ سمح لهم بالاستراحة يوم الأحد وأيام أعيادهم[1]، كما أكثر منهم في جيشه، وكان إذا نشب صراع أو نزاع بين جنديين أحدهما مسلم والآخر مسيحي، يقف ابن أبي عامر إلى صف المسيحي[2]، وهذا ما يوضح بجلاء المكانة الحسنة التي كان يتمتع بها هؤلاء المستعربين في الأندلس.

وبعد وفاة المنصور بن أبي عامر حافظ المستعربون على مكانتهم إذ أن ابنه عبد الملك بعد توليه منصب الحجابة، لم يكن يحس بالمتعة إلا رفقة ضباط حرسه المُكوَّن في أغلبه من المسيحيين والبربر[3].

ولكن بعد اضطراب الأمور في قرطبة، واندلاع الفتنة بها مع بداية القرن الخامس الهجري (11م)، وسقوط الخلافة الأموية، تغير وضع سكانها عامة، بما في ذلك أهل الذمة، إلا أن سيموني يرى أن وضع مستعربي قرطبة تحسن بسبب حضور فرقة عسكرية من قطالونيا وقشتالة قصد المشاركة، تارة إلى جانب سليمان المستعين بن الحكم بن سليمان بن الناصر لدين الله، وتارة إلى جانب محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله الملقب بالمهدي، وأن الانتصارات التي حققتها هذه الفرق ساهمت في تحرير الكنيسة من الاضطهاد، وأن مستعربي قرطبة تحمسوا لدخول هذه الفرق وسَعِدوا بهذه الانتصارات[4].

إلا أن إيزيدرو دي لاس كاخيغاس، يناقض سيموني الرأي، ويعتبر أن حضور فرق قطلانية وقشتالية إلى قرطبة أيام الفتنة، ولّد لدى سكان هذه المدينة الحقد على المستعربين، مما اضطر هؤلاء، إلى الهجرة نحو طليطلة أو نحو شرق الأندلس[5].

1- رينهارت دوزي- المسلمون في الأندلس- ج2 ص124.

2 - Simonet – p629-630.
3 - Levy Provençal – op. cit - t2 p278.
4 - Simonet – op. cit - p 647-648.
5 - Isidro de las Cagigas – op. cit - t2 p404.

إن وجهتَيْ نظر المؤرخَيْن الإسبانيَيْن، لا تعدو أن تكون مجرد افتراضات شخصية غير مستندة على أدلة مادية، ورغم اختلافهما إلا أنهما يعبران عن حقدهما وكراهيتهما للإسلام عامة، والوجود الإسلامي في الأندلس خاصة.

وفي ظل دويلات الطوائف حافظ المستعربون على وضعهم ومكانتهم التي كانوا يتمتعون بها قبل الفتنة.

ففي دولة بني زيري الصنهاجية في غرناطة، كانت غالبية النصارى تعيش في قريتين هما ربينة وجطرون[1]، وكانوا يتمتعون بالسلم والآمان، ومن بينهم عَيَّنَ باديس بن حبوس أبا الربيع النصراني وزيرا[2]، رغم أن هذا الأخير كان قد فرّ إلى دانية عند هيج عامة غرناطة، وقتْل وزيرها اليهودي ابن النغريلة، فاستقدمه باديس وعينه على المنصب المذكور، رغم معارضة العامة الغرناطية، والتي عبر عنها الشاعر السميسر[3] بقوله:

فَزَمَانًا تَهَوُّدا وَزَمَانًا تَنَصُّرَا

وَسَيَصْبُو إلَى المَجُو س إن الشَّيْخُ عَمَّرَا[4]

وفي مملكة إشبيلية نَعِم المستعربون بحياة هادئة ومستقرة، وبخاصة على عهد المعتمد بن عباد، الذي كان له بعض النصارى ضمن مقربيه، منهم ابن المرعزي، وهو شاعر من نصارى إشبيلية، ومن مداحي ملكها المذكور[5]،إذ يقول فيه:

اللهُ أَكْبَرٌ أَنْتَ بَدْرُ طَالِعٌ وَالنَّقْعُ دَجْنٌ وَالكُمَاةُ نُجُومُ

وَالجُودُ أَفْلاَكٌ أَنْتَ مُدِيرُهَا وَعَدُوُّكَ الغَاوِي وَهْنٌ رَجُومُ [6]

ويقول في كلبة صيد أهداها إلى المعتمد بن عباد:

1- ابن بلقين- التبيان- ص116.
2- المصدر نفسه- ص94.
3- هو أبو القاسم خلف بن فرج الإلبيري المعروف بالسميسر، شاعر هجاء، هجا باديس ملك غرناطة، وفر إلى ألمرية عند المعتصم بن صمادح، توفي سنة 480هـ-1087م-ابن سعيد- المغرب-ج 2 ص100 رقم 411/السلفي- المصدر السابق- ص28 و83/ابن بسام- الذخيرة- ج 1 ص668/المقري - نفح الطيب– ج3 ص293.
4- السلفي- أخبار وتراجم أندلسية- ص84.
5- ابن سعيد- المغرب- ج1 ص269– رقم 198.
6- المقري- نفح الطيب- ج3 ص522.

لَمْ أرَ مَلْهَى لِذِي اقْتِنَاصٍ   وَمَقْنَعَ الكَـابِ الحَرِيصِ

كَمِثْلِ خَطّلاَءَ ذَاتِ جِيدٍ   أَغْيَـدَ تَبْرِيَـةَ القَمِيـصِ

كَالقَوْسِ فِي شَكْلِهَا وَلَكِنْ   تَنْفُـذُ كَالسَّهْـمِ لِلقَنِيـصِ

إِنِ اتَّخَذَتْ أَنْفَهَـا دَلِيـلاً   دَلَّ عَلَـى الكَامِنِ العَوِيصِ

أَوْ أَرْسَلُوهَا وَرَاءَ بَـرْقٍ   لَمْ يَجِدِ البَرْقُ مِنْ مَحِيصِ.[1]

كما كان للمعتضد بن عباد، ملك إشبيلية(433-461هـ/1041-1069م)، مجموعة من النصارى المستعربين، يستعين بهم في إدارة شؤون دولته، منهم شيشند الذي رباه المعتضد، ورفع من مكانته، فاستوزره وكلفه بسفارة لدى ملك قشتالة فرناندو[2]، ثم عينه قائدا على جيش مملكة إشبيلية[3]، مما يبرز الثقة الكبيرة التي وضعها المعتضد في هذا المستعرب، والمكانة الراقية التي حظي بها عنده.

وفي مملكة سرقسطة تولى عدد من النصارى المعاهدين مراكز ووظائف هامة، من بينهم أبو عامر بن غندشلب Ibn Gundisalvo، الذي عينه المقتدر بن هود على رأس الوزارة، ولقبه بذي الوزارتين[4]، وكان أحد المكلَّفَيْن من قبل إقبال الدولة بن مجاهد والمعتصم بن صمادح والمقتدر بن هود بالتوسط بين المأمون بن ذي النون والمعتمد بن عباد، لإصلاح العلاقة بينهما[5].

وشكل المستعربون خيرة أفراد الجيش السرقسطي إلى غاية سقوط المدينة في يد النصارى سنة 519هـ/1119م، ولعل أبرزهم السيد الكمبيطور المسمى رودريغو دياز بيبار El Cid Campeator, Rodrigo Diaz Vivar، والذي كان قد لجأ إلى سرقسطة فرارا من قشتالة، فعلا شأنه عند المؤتمن بن هود، وترقى في وظيفته حتى أصبح مستشاره السياسي والعسكري[6].

1- ابن سعيد– المصدر السابق– ج1 ص 269.

2- هو ملك قشتالة فرناندو الأول المدعو الكبير، Fernando el magno، ساهم في حروب الإسترداد، وقام بافتكاك قلمرية Coimbra من المسلمين سنة 450هـ/ 1058م، توفي سنة 459هـ/ 1065م- Le petit Larousse illustre- p 1298.

3 - Isidro de las Cagigas –op. cit-T 2 p457.

4 - Simonet- op. cit- p660.

5- المقري- المصدر السابق- ج3 ص405-406.

6- عصمت دندش– المرجع السابق- ص106.

وفي مملكة ابن ذي النون بطليطلة، كان المستعربون يشكلون نسبة كبيرة من رعاياها، وكانوا يتمتعون بحرية تامة[1].

واستخدم محمد بن جهور حاكم قرطبة(435-457هـ/1043-1065م)، فرنان غومس القشتالي El conde Fernan Gomez، مما سمح بعودة بعض المستعربين الذين غادروا قرطبة خلال الفتنة[2]، وقام أبو الوليد بن جهور بتعيين أبي الوليد بن زيدون للنظر في بعض الأمور التي تعترض أهل الذمة[3]، الشيء الذي يوحي بالأهمية التي كان يوليها الحكام المسلمون لرعاياهم من أهل الذمة، وبخاصة منهم المسيحيين.

إضافة إلى ما ذكر سابقا، فإن نصارى الأندلس لم يتعرضوا، طيلة الحكم الإسلامي، إلى أية عقوبة جماعية، مثلما حدث في المشرق الإسلامي، إبان الدولة العباسية، وبخاصة أيام الخليفة المتوكل على الله[4]، وفي مصر الفاطمية، أيام الخليفة الحاكم بأمر الله[5].

فأما المتوكل، فقد ألزم أهل الذمة سنة 235هـ/849م، بلبس الثياب العسلية ليتميزوا عن المسلمين، وأمر بهدم بيعهم، وأن تعين لهم حمامات خاصة بهم[6].

ومن أسباب اتخاذ المتوكل لهذه الإجراءات، أن عددا كبيرا من أهل الذمة الذين كانوا يشغلون وظائف هامة في الدولة العباسية، استغلوا مراكزهم للتجاسر على المسلمين واغتصاب حقوقهم، حتى كثرت الشكاوى ضدهم عند الخليفة العباسي.

---

1 - Levy Provençal – Alphonse VI et la prise de tolède 1085 – hesperis- tome XII 1931 – librairie larose – paris – p36-37.

2 - Simonet –op. cit- p 657/ Isidro de las Cagigas – op. cit- T 2 p 428.

3- ابن بسام- الذخيرة- ج1 ص261.

4- هو جعفر بن محمد المعتصم بالله بن الرشيد أبو الفضل، الملقب بالمتوكل على الله(205-247هـ/821-861) الخليفة العباسي العاشر، ولد ببغداد، وبويع له بعد وفاة أبيه الواثق سنة 232هـ/846م، توفي مقتولا من طرف أحد عبيده المسمى باغر-الذهبي- سير أعلام النبلاء- ج12 صص 30-41/ابن خلكان-وفيات الأعيان- ج1 ص350/ الزركلي- الأعلام – ج2 ص127.

6- هو منصور بن نزار العزيز بالله بن معد المعز لدين الله بن اسماعيل بن محمد العبيدي الفاطمي أبو علي، الملقب بالحاكم بأمر الله (375-411هـ/985-1021م)، تولى الخلافة بعد موت أبيه سنة 386هـ-996م وعمره إحدى عشر سنة، وصفه الذهبي بأنه كان شيطانا مريدا، جبارا عنيدا، كثير التلون، سفاكا للدماء، خبيث النحلة، عظيم المكر، جوادا، ممدحا، وله شأن عجيب ونبأ غريب، ادعى الربوبية سنة 407هـ-1016م، وجد مقتولا في بركة شرق حلوان، ضواحي القاهرة- الذهبي- سير أعلام النبلاء- ج15 صص173-184/ابن خلكان-وفيات الأعيان- ج5 صص 292-298.

6- ابن قيم الجوزية- أحكام أهل الذمة– ج 1 ص471.

ففي سنة 235هـ/849م، وأثناء حج المتوكل، عثر حرسه على رجل يطوف حول الكعبة ويدعو على الخليفة، فأخذوه إلى المتوكل الذي سأله عن سبب فعلته، فأجاب الرجل قائلا: "قد اكتنفت دولتَك كُتَّابٌ من الذمة أحسنوا الاختيار لأنفسهم، وأساءوا الاختيار للمسلمين، وابتاعوا دنياهم بآخرة أمير المؤمنين، خِفْتَهُمْ ولم تَخَفِ الله، وأنت مسئول عما اجترحوا، وليسوا مسئولين عما اجترحت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أخْسَرَ الناسِ صفقة يوم القيامة، من أصلح دنيا غيره بفساد آخرته، واذكر ليلة تتمخض صبيحتها عن يوم القيامة، وأول ليلة يخلو المرء في قبره بعمله"، هنالك ألزم المتوكل أهل الذمة بما سبق ذكره، وأنفذ كتبه إلى ولاته في الأقاليم التابعة لدولته بذلك[1].

وأما بالنسبة للحاكم بأمر الله، فقد كان غريب الأطوار والتصرفات، إذ كان يصدر أحكاما لا تفسير لها، كأن أمر بقتل الكلاب، ونهى عن بيع الفقاع والملوخيا[2].

وفي سنة 395هـ/1004م أمر أهل الذمة بلبس العمائم السود، وأن يضع النصارى في أعناقهم صلبانا طولها ذراعا ووزنها خمسة أرطال، يحملونها أينما حلوا، وحتى في الحمامات، كما أمر بهدم كنيسة القمامة وجميع الكنائس بالديار المصرية، ووهب أحباسها للمسلمين، مما اضطر عددا من النصارى إلى التظاهر باعتناق الإسلام، إلا أنه تراجع عن هذه الإجراءات سنة 411هـ/1020م، وسمح للنصارى ببناء ما هدم من الكنائس، ورد عليها ما أخذ من أحباسها، وعاد النصارى الذين تظاهروا بالإسلام إلى نصرانيتهم[3].

وفي الأندلس، كان للنصارى تصرفات تستوجب إنزال عقوبات جماعية بهم، ففي الفترة من 236 إلى 245هـ/850-859م، شهدت البلاد موجة من التعصب الديني، مركزها العاصمة قرطبة[4]، تمثلت في "حركة الإستشهاديين أو الإنتحاريين"، إذ قام عدد من المسيحيين المتعصبين بسب الدين الإسلامي والنبي محمد صلى الله عليه

1- المصدر نفسه- ج1 ص470- 471.
2- ابن خلكان– المصدر السابق– ج5 ص293.

3- المصدر نفسه- ج5 ص 294.
4- العبادي– في التاريخ العباسي والأندلسي– دار النهضة العربية– بيروت– 1972– ص356.

وسلم، جهارا في الشارع أمام الملإ وأمام القاضي[1]، ونتيجة ذلك تم إعدام حوالي خمسين منهم[2].

كما تجب الإشارة إلى ثورة المولدين في منطقة ريه Rayo بزعامة عمر بن حفصون، والتي انتشرت نارها في كل أنحاء الأندلس[3]، استغلها النصارى للتألب، مع الأسالمة والمولدين ضد العرب.

ورغم ذلك، لم تسجل المصادر والوثائق إلزام السلطات الإسلامية للنصارى بلبس الغيار، أو الحد من حقوقهم السياسية والدينية في أي وقت من الأوقات.

ج- تجنيدهم في الجيش:

استعان المسلمون بنصارى الأندلس، وجندوهم في الجيش، فقد كان بلج بن بشر أول من جند عددا من الأهالي المزارعين من بين عبيده وعبيد الشاميين[4].

كما جند الحكام الأمويون النصارى بأعداد معتبرة، حتى شكلوا مع البربر حامية قوامها أربعين ألفا في جيش الأمير عبد الرحمن الداخل[5]، ويمكن أن يعود تجنيد عبد الرحمن لهذا العدد الكبير من النصارى في جيشه، إلى عدم ثقته في العرب بلديين وشاميين، وخشيته من غدرهم به، ولذلك سعى إلى القضاء على كل من كان يشك فيه، حتى الذين صالحوه مثل الصميل ويوسف الفهري[6]، كما يمكن أن يعود أيضا إلى محاولته التخفيف من العصبية العربية في الجيش لما كان يحدث من صراعات بين الشاميين والبلديين أو بين العرب القيسية والعرب اليمينية من جهة، وبين العرب والبربر من جهة أخرى، وبعد أن وطد عبد الرحمن الداخل الحكم لنفسه أراد أن يأمن غوائل العرب والبربر، فلجأ إلى كسر شوكتهم بتجنيد المزيد من الأهالي.

ويبدو أن خلفاءه حذوا حذوه، فالحكم الربضي كانت له حامية تتكون من أعاجم لا يحسنون التكلم بالعربية، لذلك سماهم العامة "الخرس"، جيء بهم من شمال

1- المرجع نفسه– ص 357.

2 -Isidro de las Cagigas – op cit – T1 pp 211- 220.

3- ابن حيان– المقتبس– نشره أنطونية– ص 51.

4 - ابن القوطية- تاريخ افتتاح الأندلس- ص118.

5-مجهول– فتح الأندلس في عهد موسى بن نصير– تحقيق حساني مختار- منشورات دحلب- الجزائر- د.ت- ص 68.

6- مجهول- أخبار مجموعة- ص148-149.

الأندلس، وبخاصة من غاليسيا وبلاد الإفرنج[1]، وقدر عددهم بحوالي ثلاثة آلاف جندي[2]، وزعهم الحكم على ثكنتين مجاورتين لقصره، وتم تنظيمهم في شكل وحدات تضم كل منها مائة جندي يشرف عليهم عريف، وكانت الحامية كلها تحت قيادة المستعرب ربيع بن تيودولف[3]، هي التي استعان بها الحكم في سحقه لثورة الربض سنة 202هـ/817م.

إضافة إلى هذه الحامية، اتخذ الحكم حرسا خاصا به متكونا من مائة وخمسين رجلا من أربونة Narbonne، مسلحين بمختلف الأسلحة، وكان يفضل هذا الحرس عن سائر وحدات جيشه، لأن عناصره كانوا أوفياء ومخلصين له جسدا وروحا[4]، ولذلك كانوا يتمتعون بامتيازات حسدتهم عليها العامة[5].

وبعد نجاح الحكم في إخماد ثورة الربض، أعتق عددا من مماليكه، وبالأخص حرسه الخاص، وأتبعهم أموالهم، ووالى الإحسان إليهم وصيرهم بطانة له دون سواهم[6]، مما يسمح بالاستنتاج أن هؤلاء الذين أُعْتِقوا، وبخاصة منهم الذين بقوا على مسيحيتهم، أصبحوا مستعربين ذوي مكانة رفيعة في المجتمع الأندلسي.

وعقب وفاة الحكم الربضي، تولى الإمارة ابنه عبد الرحمن الذي اشترى أنصباء إخوته من المماليك العجم، وكان عددهم حوالي خمسة آلاف مملوك؛ فأستخلصهم لنفسه، ثم أعتقهم جميعا[7].

فهؤلاء المماليك المُعْتَقون، لم يكونوا كلهم مسلمين، ولم يعودوا إلى مواطنهم الأصلية بعد عتقهم، وبذلك أصبح الذين بقوا منهم على ديانتهم السابقة يشكلون هم الآخرون جزءا من مستعربي الأندلس.

1- ابن سعيد– المغرب في حلى المغرب– ج1 ص39.
2- نفسه- ج1 ص39/المقتبس- السفر الثاني- ص297

3 - Levy Provençal – op. cit- –T 1 p 190.
4 - Levy Provençal – op. cit – T 3 p73 / Duffourcq –op. cit- p172.
5 - Levy Provencal – op. cit – T3 p 210

6- ابن حيان- المقتبس- السفر الثاني- ص154-155
7- ابن حيان- المصدر السابق- ص297.

وجند عبد الرحمن الناصر أيضا عددا من المماليك الأعاجم في جيشه[1]، وازداد عددهم على عهد المنصور بن أبي عامر، وبذلك ارتفع عدد المستعربين الأحرار المجندين في جيشه.

وعلى كل فإن المستعربين كانوا ينخرطون في الجيش الإسلامي سواء في عهد الدولة الأموية أو ملوك الطوائف لسببين رئيسيين هما الرواتب المرتفعة التي كانوا يتقاضونها، والمكانة اللائقة التي كانوا يتمتعون بها، إذ كان بإمكانهم الحصول على رتب ومهام عليا[2].

وتواصلت في عهد ملوك الطوائف، عملية تجنيد المستعربين، ففي زمن المنذر بن يحي التجيبي[3]، كان قائد جيش سرقسطة مستعرب حر يدعى خيار، يشرف على قيادة فرقة من الجيش، أفرادها من المستعربين[4].

من ذلك كله، يمكننا أن نستنتج أن المستعربين كانوا مواطنين يُستخدمون في الجندية بنفس درجة المسلمين، وكان لبعضهم امتيازات حسدهم المسلمون عليها.

ج- دور المستعربين في المجتمع الأندلسي:

شكل النصارى في الأندلس غالبية السكان خلال القرون الأولى للفتح، ثم بدأ عددهم يتناقص بسبب إسلام أعداد كبيرة منهم، أما البقية التي ظلت محافظة على ديانتها، فإنها منحت امتيازات عديدة من طرف السلطات الإسلامية، وقد أدى ذلك إلى تحسن مكانتهم سواء داخليا في الأندلس أو خارجيا في الممالك المسيحية الشمالية وممالك أوربا المسيحية الأخرى، وهذا ما سمح لهم بلعب أدوار مختلفة في مجالات متعددة، فهل كانت هذه الأدوار في مستوى المكانة التي مُنِحوها؟

1- ابن حيان- المقتبس- نشره شالمطا- ص77.

2 - Simonet – op. cit - p368.

3- المنذر بن يحي التجيبي (403-430هـ/1012-1039م): صاحب سرقسطة، عينه سليمان بن الحكم المستعين واليا عليها سنة 403هـ/1012م، فساسها واستولى على وشقة، ثم انتزى بسرقسطة، وتودد إلى الملوك النصارى مما أدى إلى اتساع المعارضة ضده في أوساط العامة، فقتل على يد عمه عبد الله بن حكم سنة 430هـ/1039-ابن بسام-الذخيرة-ج1صص147-154/ابن الخطيب-الإحاطة- ج1 ص211/ابن سعيد-المغرب- ج2 ص435/ابن الخطيب-أعمال الأعلام- ص196.

4- المقري- نفح الطيب- ج3 ص265/ابن بسام- الذخيرة- ج3 ص678.

1- الدور الإيجابي: لعب المستعربون دورا إيجابيا متعدد الجوانب، كان لهم من خلاله مساهمة، ولو أنها تبدو جزئية أحيانا، في الحضارة الأندلسية، وتمكنوا بذلك من ترك بصماتهم في هذه الحضارة.

*** دورهم في المجال السياسي:** ساهم نصارى الأندلس، وبالأخص الذين كانوا يتولون مناصب هامة سواء دينية أو مدنية، في استتباب الأمور واستقرارها خلال الإمارة والخلافة الأموية بالأندلس.

فقد حاولوا إلى جانب السلطة الإسلامية ضبط العامة من النصارى، وتجنيبها الانحراف والانسياق وراء المتشددين، وبخاصة خلال حركة الانتحاريين- التي يحلو للإسبان والمسيحيين بصفة عامة تسميتها بحركة الاستشهاديين- والتي شهدتها الأندلس خلال القرن الثالث الهجري(9م)، إذ استنكروا وبشدة أعمال هؤلاء المتعصبين[1].

ففي سنة 238هـ/852م عقد في قرطبة مجمع كنسي ضم غالبية أساقفة الأندلس، بهدف مناقشة ظاهرة سب بعض النصارى للدين الإسلامي وللرسول صلى الله عليه وسلم علنا، بحثا عن الانتحار، اعتقادا منهم أنهم يستشهدون، وأجمع الأساقفة على اعتبار هذه الظاهرة من المحظورات، وأن كل من يسب الدين الإسلامي والرسول صلى الله عليه وسلم فجزاؤه القتل من طرف السلطات الإسلامية، ولا يعتبر شهيدا إنما منتحرا، وهذا ما لا تجيزه الشريعة النصرانية[2].

كما بعث مطران إشبيلية مذكرة إلى كل الكنائس التابعة له لتقرأ على عامة المسيحيين، حذر فيها من الانسياق وراء حملة الانتحار (الاستشهاد)، ومما جاء فيها: "ألا تروا إخواني أن القوانين المعمول بها، تضمن لنا حرية اعتقادنا وأداء طقوسنا الدينية؟ ألا تظنوا إخواني أن هؤلاء المنتحرين يضيعون حياتهم بقتل أنفسهم رياء؟ ولا تنسوا إخواني أن كل عمل يقوم به المرء رياء، فهو حرام[3]".

1 - Levy Provençal – l'Espagne au X siècle – édition Larose, Paris- 1932- p 34.
2 - Duffourcq – op cit – p 224.
3 - Simonet – op cit – p 401.

وبذلك تكون الكنيسة المسيحية قد ساهمت في التخفيف من حدة حركة الانتحاريين أو الاستشهاديين، والحفاظ على الهدوء والاستقرار، وإعادة جو التعايش بين المسلمين والمسيحيين.

وكان بعض النصارى المستعربين من رجال عمر بن حفصون الثائر، وعلى رأسهم جعفر بن مقسم أسقف ببشتر، وعبد الله بن الأصبغ بن نبيل، وودناس بن عطاف، قد حثوه على توقيع الصلح مع عبد الرحمن الناصر، أملا منهم في وقف الحرب والعودة إلى حظيرة الدولة الإسلامية[1].

وفي عهد سليمان بن عمر بن حفصون، حاول بعض أكابر دولته من النصارى المستعربين تدبير انقلاب ضده بهدف التخلص منه، وإنهاء التمرد على الدولة الإسلامية، فانتظروا خروجه لتفقد بعض حصونه، وأعلنوا الانقلاب ضده، واتصلوا بالقومس عامل الناصر بجهة ببشتر، فلحق بهم ثم حاولوا استدعاء قائد الجيش الأندلسي، إلا أن سليمان أسرع في العودة إلى ببشتر، وفشلت بذلك محاولة الانقلاب[2].

كما كان لهم دور فعال ومهم في العلاقات الخارجية لدولة الإسلام في الأندلس، سواء في عصر الإمارة أو الخلافة أو ملوك الطوائف، إذ أن المستعربين كانوا أعضاء في أغلب البعثات الدبلوماسية الأندلسية إلى الدول المسيحية، إما لتوطيد العلاقات السياسية بين الأندلس وهذه الدول، أو لحل مشكلة طارئة، بل إن بعض المشاكل لم يكن يصلح لحلها غيرهم.

ففي سنة 329هـ/940م، وجه عبد الرحمن الناصر إلى جليقية أسقف إشبيلية عباس بن المنذر جاثليق وأسقف بجانة[3] "Pechina يعقوب بن مهران"، وعبد الملك بن حسان أسقف إلبيرة Lleberis أو Elvira إلى رذمير Ramiro ملك جليقية

1- ابن حيان– المقتبس- نشره شالمطا- ص140.
2- ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص33.

3- بجانة: مدينة بالأندلس من أعمال كورة إلبيرة، وهي مركز إقليم يضم ألمرية وبرجة وحصون كثيرة منها مرشانة وبرشانة وطوجالة وبالش-ياقوت- معجم البلدان- ج1 ص339/الإدريسي-القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس- ص258.

للاستيثاق منه لمحمد بن هاشم المعتقل لديه[1]، وكان محمد هذا قد طلب من عبد الرحمن الناصر إيفاد مستعربين لهذه المهمة، وكأنه لم يكن يصلح لحلها غيرهم.

كما استعان الحاجب عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر بكبار مستعربي قرطبة في عهده، وعلى رأسهم أصبغ بن عبد الله بن نبيل قاضي مستعربي قرطبة، لحل نزاع نشب بين قومس قشتالة سانشو غرسية "Sancho Garcia"، ومنندو غنزاليس "Menendo Gonzales" الوصي على ملك ليون الصغير ألفونسو Alfonso V، وتم حل هذا النزاع بوقوف قاضي مستعربي قرطبة إلى جانب الوصي[2].

وأرسل المقتدر بن هود حاكم سرقسطة (438-475هـ/1046-1082م)، أسقف طرطوشة إلى شنت ياقب سنة 458هـ/1064م، برسالة إلى ملك قشتالة فرناندو الأول[3].

أما المعتضد بالله صاحب إشبيلية، فكان يكلف شيشند بالاتصال بفرناندو الأول المعروف بالأكبر ملك قشتالة وليون (1035-1065م/427-459هـ) للقيام بمهام خاصة[4].

ومن أهم سفراء الأندلس، أسقف إلبيرة ربيع بن زيد أو روسيموندو الذي كلفه الخليفة عبد الرحمن الناصر بعدة مهام، منها مهمة استجلاب حوض صغير من القسطنطينية، مزين بتماثيل، كان الناصر ينوي وضعه في قصره بمدينة الزهراء[5].

كما كلفه نفس الخليفة بقيادة سفارة إلى الملك أوتون الأول بهدف توطيد العلاقات السياسية بين الأندلس والإمبراطورية الجرمانية[6].

وكلف الحكم المستنصر كبار مستعربي الأندلس، قاضي قرطبة وليد بن خيزران ومطران إشبيلية عبد الله بن قاسم، باستقبال أوردون الرابع Ordon IV، الذي

1- ابن حيان- المصدر السابق- ص467.

2 - levy provençal – histoire de l’Espagne musulmane – t2 p286.

3 - Isidro de las cagigas – op cit – t2 p454.

4- ابن بلقين- التبيان- ص227.

5- المقري- نفح الطيب- ج1 ص568.

6 - Pierre Guichard – al Andalus 711-1492 – p 244.

وفد على الأندلس طالبا المساعدة من الحكم المستنصر لاستعادة عرشه الذي افتكه منه سانشو الأول، فوعده الحكم بالمساعدة، وفي مقابل ذلك اشترط عليه قبول مجلس استشاري لديه مكون من كبار مستعربي الأندلس المذكورين آنفا[1].

ونظرا لإجادة كبار عجم الذمة اللغتين العربية واللاطينية، فإنهم كانوا يحضرون مراسيم استقبال الوفود المسيحية القادمة إلى الأندلس للقيام بالترجمة، كما كانوا يُرسَلون ضمن وفود إلى الممالك المسيحية كمترجمين، مثل مطران إشبيلية عبيد الله بن قاسم الذي رافقه الفقيه أحمد بن عمروس[2] المبعوث في مهمة سياسية إلى حلويرة ليترجم عنه وله[3].

من الأمثلة السابقة، يتبين الدور السياسي الذي قام به المستعربون في إطار دولة الإسلام في الأندلس، بحيث حاولت هذه الأخيرة إشراكهم في نشاطها السياسي وبخاصة الخارجي، فكانوا سفراءها ومبعوثيها لدى ملوك الدول المسيحية، ووفقوا في حل مشاكل مثل فك أسر الوزير محمد بن هاشم الذي كان معتقلا في جليقية، وبذلك كله سجلوا حضورهم في هذا الجانب.

- **دورهم في المجال الثقافي:**

نتيجة لتعلم نصارى الأندلس اللغة العربية، وتفوق بعضهم فيها كما سبقت الإشارة إليه، ظهر بينهم مجموعة من الشعراء لم تحفظ لنا المصادر العربية، إلا أسماء عدد قليل منهم، إما لأن المؤلفين المسلمين لم يهتموا كثيرا بالإنتاج الثقافي للمستعربين، أو لأن هؤلاء الشعراء لم يجدوا من يسجل إنتاجهم ويجمعه لهم، أو لأنهم لم يهتموا بتسجيله، ومن هؤلاء الشعراء ابن المرعزي الإشبيلي، وقد سبقت الإشارة إليه.

1- أسهب المقري في ذكر تفاصيل استقبال أوردونيو وإقامته ومراسيم استقباله من طرف الخليفة الحكم المستنصر- المقري- المصدر السابق- ج1 ص388-394.

2- هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمروس أو عروس المورورري الحضرمي، قال ابن حيان: كان من جوابر الحديث والفقه، وسلك سبيل العلماء، ولي القضاء ببعض النواحي، ثم صحب ابن أبي عامر، فتجرد لطلب دنياه، وتحول عن طبقته، فلحق أهل الخدمة، ونال الوزارة، وتقلد المدينة، وصادر المكوس، وأغرق في ظلم العباد، توفي في شهر رمضان من سنة 366هـ/976م، وترك من المال ما لا كفاية له مما غله، فحاز ابن أبي عامر أكثره– القاضي عياض– ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك– ضبطه وصححه محمد سالم هاشم– دار الكتب العلمية – بيروت– ط1– 1418هـ/1998م– ج2 ص 270- 271.

3- ابن حيان- المقتبس- تحقيق عبد الرحمن علي الحجي- ص 147.

ومن الشاعرات النصرانيات نذكر زينب بنت إسحاق النصراني الرسعيني التي أنشد لها القاضي رضي الدين الشاطبي[1] بعض الأبيات منها:

عَـدِيٌّ وَتَيمٌ لاَ أُحَـاوِلُ ذِكْرَهُمْ بِسُـوءٍ وَلَكِـنِّـي مُحِـبٌّ لِهَـاشِمِ
وَمَا يَعْتَرِينِي فِـي عَلِيٍّ وَرَهْطِهِ إِذَا ذُكِـرُوا فِـي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِـمِ
يَقُولُونَ مَا بَالُ النَّصَارَى تُحِبُّهُمْ وَأَهْلُ النُّهْيِ مِـنْ أَعْرُبٍ وَأَعَاجِـمِ
فَقُلْتُ لَهُـمْ إِنِّـي لأَحْسَبُ حُبَّهُمْ سَرَى فِي قُلُوبِ الخَلْقِ حَتَّى البَهَائِمِ[2]

أما عاصم بن زيد، الملقب بأبي المخشى، فهو من نصارى الحيرة، طرأ على الأندلس في فترة الولاة، وأدرك الدولة الأموية، ومدح سليمان بن عبد الرحمن الداخل[3].

ما قيل عن الشعر ينسحب على التأليف في مختلف المجالات، إذ أن الإنتاج الفكري للنصارى المستعربين الأندلسيين قليل جدا خلال الفترة التي نحن بصدد دراستها، ومن بين مؤلفاتهم كتاب "تقويم قرطبة" أو "الأنواء"، أو "تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان"[4] الذي ينسبه بعض المؤرخين الأوروبيين إلى أسقف إلبيرة ربيع بن زيد Recemundo، وتناول فيه صاحبه منازل القمر وما يتعلق بذلك من ظواهر طبيعية ونفسية، وعلاقة ذلك بالنشاط الزراعي، قدمه مؤلفه هدية للخليفة الحكم المستنصر بالله[5].

1- أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف بن محمد بن يوسف الأنصاري الشاطبي، ولد في بلنسية سنة 601هـ/1204م، عالم باللغة، له عدة مؤلفات، وتوفي بالقاهرة سنة 684هـ-1285م- المقري- نفح الطيب- ج2 ص374/الزركلي- الأعلام- ج6 ص283.

2- المقري- نفح الطيب- ج2 ص377.

3- أبو المخشي عاصم بن زيد بن يحي بن حنظلة بن علقمة بن عدي بن زيد التميمي ثم العبادي، نشأ على قول الشعر، وكان الشعراء يعيرونه بالنصرانية، وكان هشام بن عبد الرحمن الداخل قد قطع لسان هذا الشاعر لأنع عرّض به في قصيدة مدح بها أخاه سليمان- ابن سعيد- المغرب- ج2 ص123.

4- اختلف المؤرخون الأوروبيين المحدثون في نسبة كتاب الأنواء أو تقويم قرطبة، فبعضهم رأى أن هناك كتابين بنفس العنوان: أحدهما لعريب بن سعد المؤرخ المسلم صاحب تكملة تاريخ الطبري، والثاني للأسقف ربيع بن زيد، وهذه الفكرة تبناها رينهارت دوزي، وبعضهم يرى أنه كتاب واحد لمؤلف واحد، وهو ربيع بن زيد، الذي حرّف اسمه فـ"ربيع" تحول إلى عريب، و"زيد" تحول إلى سعد- كوننكسفيلد- المصادر العربية المسيحية في إسبانيا- والرأي الثالث يرى أصحابه أن هناك كتابا واحدا لمؤلفه المسلم عريب بن سعد، وأن النسخة اللاتينية المنسوبة إلى ربيع بن زيد إنما هي ترجمة للأصل العربي، واستدلّ سيموني على ذلك بوجود آيات قرآنية في النص العربي للكتاب- Simonet – op. cit -p613.

5- كوننكسفيلد- المصادر العربية المسيحية في إسبانيا خلال العصور الوسطى– مجلة الآداب- جامعة عبد الملك السعدي- العدد 8- 1997م- ص307/222 Levy Provencal- op. cit –T3 p

إلا أن أهم دور ثقافي قام به المستعربون هو مساهمتهم في ترجمة عدد من المؤلفات من اللاتينية إلى العربية، مثل كتاب باولوس هروشيوش Paulus Orusius بعنوان Adversus Paganus أو تاريخ الدولة الرومانية، وقد أشرف على ترجمته الفقيه المسلم قاسم بن أصبغ البياني[1]، واستعان في ذلك بأحد مستعربي قرطبة، ويرجح أن يكون قاضي العجم وليد بن خيزران[2]، واعتبر حسين مؤنس ترجمة هذا الكتاب صفحة مشرقة في تاريخ العلوم عند العرب[3].

كما تجب الإشارة هنا إلى مساهمتهم في تعريب كتاب ديسقوريدس في الأعشاب والطب، وما كان لهذا الكتاب من أهمية في دفع العلوم الطبية والصيدلانية عند المسلمين إلى الأمام في الأندلس[4]، وقد نشطت حركة الترجمة من اللاتينية إلى العربية خلال القرن الرابع الهجري(10م)، إذ تمت ترجمة عدة كتب منها Historiae Chronicon Omnimedae للمؤلف إيرونيم (340-420م)، وكتاب Paganos Historiae Adversus للمؤلف بافل أروسي وكتاب Etymologiae للمؤلف إيزيدرو الإشبيلي (570-636م)[5].

كما عكف رجال الدين المستعربين على ترجمة الإنجيل إلى العربية، بحيث قام المطران الإشبيلي أبو سعيد أوJohans Hispalensis بترجمة الإنجيل إلى العربية والتعليق عليه[6]، ومن جهته، قام القس المستعرب إسحاق بن بلشق بترجمة أخرى للإنجيل سنة 329هـ/940م[7].

وبذلك كان للمستعربين نصيبهم في الحضارة العربية الإسلامية الأندلسية، حيث ساعدوا العرب على ترجمة بعض الكتب الهامة من اللاتينية إلى العربية

1- قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن عطا البياني أبو محمد، مولى الوليد بن عبد الملك (244-340هـ/859-951م)، إمام من أئمة الحديث، نبيلا في النحو والغريب والشعر، وكان يشاور في الأحكام- الضبي- بغية الملتمس- ص391 رقم 1298/الحميدي- جذوة المقتبس- ص297 رقم 769.

2- حسين مؤنس- الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس (من البداية إلى الحجاري)- ص227 وما بعدها.

3- المرجع نفسه- ص251.

4 - Jose Maria Millas Vallicrosa – el quehacer astronomico de la Espa™a arabe – <u>revista del instituto egipcio de estudios islamicos</u> – volum V – N 1 y 2 a™o 1377H/1957 – p50.

5- ك بويكا- المصادر التاريخية العربية في الأندلس (القرن الرابع وحتى الثلث الأول من القرن الحادي عشر)- نقله إلى العربية نايف أبو كرم- منشورات دار علاء الدين- دمشق- الطبعة الأولى- 1999- ص80.

6 - Duffourcq – op cit – p141.

7- ك بويكا- المرجع السابق- ص311.

وبالأخص كتاب هروشيوش وكتاب ديسقوريدس، اللذان كان لهما أهمية كبيرة في تطور بعض العلوم الإسلامية في الأندلس، ومن الإجحاف نكران هذا الدور.

إلا أنه من المبالغة القول بأن العلوم في الأندلس خلال العهد الإسلامي قامت على أكتاف المستعربين، كما يدعي ذلك سيموني، إذ يرى أن أغلب المؤلفات في الفلاحة والطب والفنون والحرف من إنتاج نصارى مستعربين[1]، ويشاطره الرأي مجموعة من المؤرخين الأوروبيين المتعصبين مثل إزيدرو دي لاس كاخيغاس وميكيل دي إيبالزا.

كما تجب الإشارة في هذا المقام إلى الدور الذي لعبه المستعربون في نقل العلوم والفنون الإسلامية من الأندلس إلى الجزء الشمالي من شبه الجزيرة الإيبيرية وجنوب فرنسا عن طريق المهاجرين منهم، فخلال العقد السابع من القرن الثالث الهجري (9م) هاجر عدد من الرهبان والقساوسة والأساقفة، وأسسوا عدة أديرة في مملكة أشتوريس Asturias، أهمها دير ساهاغون Sahagun الذي أصبح في ظرف زمني وجيز أحد المراكز المسيحية الكبرى في أستوريش[2]، وساهمت هذه الأديرة في نشر الثقافة العربية الإسلامية في هذه المناطق.

وكان للطلاب المستعربين دورهم في نقل العلوم من الأندلس إلى الشمال المسيحي، منهم رونالدو دي فيلانوفا Ronaldo de Villanova، الذي تلقى تعليمه في الأندلس على يد العلماء المسلمين، الأمر الذي ساهم فيما بعد في نشر الطب والكيمياء وبعض العلوم الأخرى في أوروبا[3]، وجربير دوريلاك Gerbert d'Aurillac الذي كان له الفضل في نقل الجبر والحساب وطرق استعمال الأرقام العربية بدل الأرقام اللاتينية صعبة الاستعمال، إلى فرنسا خاصة وأوروبا عامة[4].

1 - Simonet – op cit – p 711 et suite
2 - Ibid– p 501.

3- محمد القاضي- المرجع السابق- ص98.
4- جوزيف رينو- المرجع السابق- ص 252.

ومن جهة أخرى ساهم المهاجرون من المستعربين نحو الممالك المسيحية في الشمال في نقل تقنيات الفلاحة والري، ومحاربة الآفات، وتحسين الإنتاج، واستعمال الأسمدة، وتهيئة التربة إلى هذه الممالك[1].

إضافة إلى كل ذلك، ساهموا في ترجمة المؤلفات العربية المختلفة إلى اللغة الإسبانية القديمة، ومن بين ما ترجم أحد التقاويم العربية القديمة المؤلفة عام 366هـ/976م، والذي تناول أحداث حملات موسى بن نصير وابنه عبد العزيز في شبه جزيرة إيبيريا[2].

ولذلك يعتبر المستعربون بحق العامل الرئيس في انتقال الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا، وفي إخراج هذه الأخيرة من عصور الظلام والهمجية إلى التحضر والتمدن.

- **في المجال العسكري:**

تمثل دور بعضهم في المساهمة في الحفاظ على الأمن الداخلي للأندلس، فقد كان للحكم الربضي مائة وثلاثون أو مائة وخمسون أسيرا من أسرى أربونة، اتخذهم حرسا خاصا به، وقد أبلوا بلاء حسنا خلال هيج الربض[3]، إذ قضوا على الاضطرابات، وتَوَلّوا، بإشراف من قائدهم القومس ربيع بن تيودولف، تسوية مباني الربض بالأرض[4].

وأوكل عدد من الحكام الأمويين حراستهم الخاصة إلى المجندين من المستعربين مثل الحكم الربضي وابنه عبد الرحمن وغيرهما[5]، بحيث وُضع هؤلاء المجندون في حاميات قريبة من القصر حتى يضطلعوا بالمهمة التي أوكلت إليهم.

كما وُجد ضمن الجيش البحري الأندلسي عدد من المستعربين[6]، كانوا يشاركون في حراسة سواحل الأندلس والدفاع عنها.

- **في المجال الفني:**

1- محمد عبد القادر جاد الرب- المستعربون في عصر ملوك الطوائف- ص266.
2- ك بويكا- المرجع السابق- ص52-53.
3- ابن حيان- المقتبس- السفر الثاني- ص152.
4- المصدر نفسه- ص151.

5- Levy Provençal – op cit – t1 p 164.
6 - Ibid – t1 p 349.

كان دور المستعربين في هذا المجال جليا، إذ قاموا بنقل بعض الفنون من الأندلس إلى الشمال المسيحي، من بينها استعمال بعض الأشكال الهندسية في البناءات المعمارية كالأقواس، وعقود حدوة الفرس، والقباب المصلبة القرطبية، وكذا استعمال الرسومات مثل التوريقات والأزهار والشجيرات وعناقيد العنب، والطيور مثل الطاووس الذي يلتف حول نفسه، والحمائم، وطير الكركي الذي يحمل سمكة في منقاره، وكتبت في عنقه عبارات باللغة العربية، ومن الحيوانات خاصة الأسود[1].

وظهرت هذه الأشكال في الكنائس التي بناها المستعربون في الشمال المسيحي، وفي الأناجيل التي كتبوها وزينوها برسومات ملونة[2].

وقد ازدهر فن المستعربين المتأثر بالفن الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري(10م) في الشمال المسيحي، ووصل تأثير هذا الفن إلى قطلونيا Cataluňa وجنوب فرنسا ثم إلى أوربا كلها، وبذلك يمثل هذا القرن ذروة التفوق الإسباني على أوربا التي كانت غارقة آنذاك في ظلمات الهمجية[3].

2- دورهم السلبي: رغم المكانة التي حظي بها المستعربون خلال الحكم الإسلامي للأندلس، ورغم ما حصلوا عليه من امتيازات مختلفة، إلا أن موقف بعضهم تجاه الوجود الإسلامي في الأندلس كان سلبيا، وعبروا عن موقفهم السلبي هذا بطرق ووسائل مختلفة أهمها:

*** قيامهم بالثورات أو المشاركة فيها:**

لجأ عدد من نصارى الأندلس إلى حمل السلاح في وجه المسلمين منذ الفتح الإسلامي للأندلس، ورغم انهزامهم واندحارهم في أغلب المدن الأندلسية واستسلامهم للمسلمين، إلا أن عددا منهم فضل اللجوء إلى المناطق النائية على الاستسلام، أبرزهم بلاي أو بلايو Pelayo[4].

1- مانويل جومث مورينو– الفن الإسلامي في إسبانيا– ترجمة لطفي عبد البديع والسيد محمود عبد العزيز سليم– مراجعة جمال محمد محرز– الدار المصرية للتأليف والترجمة– د.ت- ص443.

2- المرجع السابق– ص443– 475.

3- المرجع نفسه– ص 421.

4- الدون بلاي Don Pelayo قائد المجموعة المسيحية التي لجأت إلى صخرة كوفادونغا Cova-Donga، ثم أصبح ملكا على أشتوريس سنة 100هـ/718م، توفي سنة 120هـ/737م، يعتبره المؤرخون الإسبان زعيم

أما المستعربون الذين أظهروا خضوعهم للسلطة الإسلامية، فغالبيتهم كانت تتحين الفرص لرفع راية العصيان، وشقّ عصا الطاعة عن الحكم الإسلامي، ومناصرة كل خارج ومارق عن الجماعة وحامل لواء الثورة.

فقد انحاش المستعربون، خلال ولاية يوسف الفهري، إلى عروة بن الوليد، الثائر بمدينة باجة سنة 129هـ/747م[1]، والذي تمكن من السيطرة على إشبيلية، إلا أنه هزم أمام الوالي يوسف الفهري، ويعيد سيموني سبب وقوف المستعربين إلى جانب عروة ابن الوليد، إلى الضرائب الباهظة التي طالبهم بها هذا الوالي، بعد انخفاض الجباية، نتيجة هلاك عدد كبير منهم، وفرار عدد آخر بسبب الحروب التي دارت بين العرب في فترته، إلا أنه لا يمكن القبول بذلك، لأن الجزية كانت تفرض على الرأس، والعشر على الإنتاج الزراعي[2].

وفي عهد عبد الرحمن الثاني، ثار المستعربون في جزيرة ميورقة Mallorca[3] سنة 234هـ/848م، ونقضوا العهد وأعلنوا العصيان، وأضرّوا بالسفن الإسلامية المارة بهم، فوجه إليهم الأمير أسطولا من ثلاث مائة مركب تمكن من القضاء على هذه الثورة[4].

وفي بداية حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن، اغتنم مستعربو طليطلة فرصة قيام مولدي هذه المدينة بثورة، ووقفوا إلى جانبهم وناصروهم، ونقضوا العهد، ورفضوا مبايعة الأمير محمد، واستنجدوا بنصارى ليون ونابارة، وقد طال أمد هذه الثورة بسبب تحريض القساوسة والنصارى المتعصبين لعامة المستعربين، بحجة اضطهاد المسلمين لنصارى قرطبة[5]، فوجه الأمير محمد عدة حملات نحو طليطلة،

المقاومة الإسبانية ضد الغزو الإسلامي-حسين مؤنس- فجر الأندلس- ص318 وما يليها / Simonet – op. cit – p 173

1- المقري- نفح الطيب- ج3 ص26.

2 - Simonet – op cit – p 213-214.

3- جزيرة ميورقة هي أكبر الجزر الإسبانية في البحر المتوسط، وهي إحدى جزر البليار الثلاث، فتحها المسلمون سنة 290هـ/1000م، واستعادها الإسبان سنة 627هـ/1230م- الحميري- الروض المعطار- ص568/ياقوت- معجم البلدان- ج5 ص246.

4- ابن حيان- المقتبس- تحقيق محمود علي مكي- ص2/ابن عذاري- البيان المغرب- ج2ص89/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص18.

5- عصمت دندش- علاقات الأندلس بمملكة قشتالة- ص101.

استطاعت إحداها إخضاع المدينة ودخولها، فألقي القبض على عدد كبير من القساوسة، وضربت أعناقهم، وأخذ المسلمون صلبانهم فنكسوها وكسروها، ورغم ذلك لم تستسلم المدينة ولم تهدأ إلا في سنة 245هـ/859م[1].

من ذلك يتضح أن ثورة طليطلة في منتصف القرن الثالث الهجري(9م)، اتخذت صبغة دينية مسيحية، الهدف منها الانفصال عن السلطة الإسلامية والانتقام من المسلمين.

ولكن أهم ثورة شارك فيها المستعربون ضد الحكم الإسلامي في الأندلس، كانت، بلا شك، ثورة عمر بن حفصون في كورة ريه، والتي بدأت إرهاصاتها الأولى سنة 265هـ/878م، وإن كان سببها رفض سكان المنطقة دفع ما عليهم من الخراج، وتشدد يحيى بن عبيد الله بن يحيى، عامل الأمير محمد في حثهم على دفعه فأبوا وامتنعوا، ولاذوا بالجبال، وتمكنوا بعد ذلك من إلحاق الهزيمة بجيش الأمير[2].

حينها كان عمر بن حفصون في مدينة تيهرت عاصمة الرستميين، التي لجأ إليها فرارا من الأندلس، لارتكابه جريمة قتل في حق أحد جيرانه في رية، وعمل بتيهرت عند خياط أندلسي، إلى أن رآه شيخ، فحثه على الرجوع إلى الأندلس، وتنبأ له بشأن كبير فيها.

فرجع إلى الأندلس، واتخذ ببشتر قاعدة له، وجمع حوله المولدين والنصارى، وبني حركته على نزعة عصبية عرقية، كان لأصله الإسباني تأثير فيها، وقد عبَّر عن نزعته هذه في أحد خطاباته الموجهة إلى أتباعه من المولدين والمستعربين بقوله: "طالما عنَّف عليكم السلطان، وانتزع أموالكم، وحمَّلكم فوق طاقتكم، وأذلتكم العرب واستعبدتكم، وإنما أريد أن أقوم بثأركم وأخرجكم من عبوديتكم[3]"، وهذا ما يوضح أن حركة عمر بن حفصون قد اتخذت منذ بدايتها بعدا عرقيا، رغم أن أحد الباحثين ذهب إلى غير ذلك، إذ رأى أن حركة ابن حفصون لم تقم على نزعة عصبية، إنما كانت

1- ابن حيان- المقتبس- تحقيق محمود علي مكي- ص296.
2- ابن حيان- المصدر السابق- ص393.
3- ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص114.

حسب رأيه ثورة ضد الأرستقراطية العربية، ويستدل على ذلك بقتل ابن حفصون للمولد خير بن شاكر، وبتحالفه مع الأغالبة والأدارسة[1].

أما تحالفه مع بني الأغلب والأدارسة، فذلك لأنه أراد استغلال عداء هاتين الدولتين للأمويين، ثم لم يتوان بعد ذلك في التحالف مع الدولة الفاطمية ذات المذهب الشيعي، والتي أطاحت بحليفتيه السابقتين[2].

وكان من نتائج ثورة عمر بن حفصون، انتشار موجة من التعصب ضد العرب، قادتها مجموعة من المولدين من بينهم يحي بن بكر بن زدلف الذي ولاه الأمير محمد على شلب Silves، إلا أن بكرا استغل منصبه هذا وكون جيشا من المولدين والمستعربين، وأعلن الحرب على العرب[3].

واضطرمت نار الفتنة العصبية، وبخاصة في كورة إلبيرة، وتحزبت المسالمة مع المولدين، وتميزت إليهم نصارى الذمة فصار جميعهم إلبا على العرب، قائمين بدعوة عمر بن حفصون[4]، وكان سبب هذه الفتنة اعتداء المستعربين والمولدين على العرب، واتخذ المسالمة والمستعربين قادة، أمثال نابل والشميس[5]، وقاموا بانتزاع الحصون من العرب وشردوهم، فاجتمع العرب كرد، فعل منهم، حول يحي بن صقالة الذي قُتِل، ثم ولَّوا مكانه صاحبه سوار بن حمدون، الذي تمكن من إلحاق الهزيمة بالمولدين والنصارى، الذين كانوا بقيادة المولد جعد بن عبد الغافر، فأرجع سوار للعرب هيبتهم، ولولا أن الله منَّ على العرب به ونصره، لما أبقى العجم والمولدون منهم أحدا[6].

وفي نفس الفترة اندلعت فتنة أخرى في نواحي إشبيلية، كان نتيجتها قتل العرب لعدد من المولدين والمستعربين الذين شاركوا في هذه الفتنة[7].

1- القادري بوتشيش- أثر الإقطاع في الأندلس- ص269.
2- ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص32.

3- ابن حيان- المقتبس- نشره شالمطا- ص16.
4- المصدر نفسه- ص51.
5 - Levy Provençal – op. cit – T 1 p 342
6- ابن الخطيب- الإحاطة- ج 4 ص226.
7- ابن حيان- المقتبس– نشره أنطونية- ص85.

كما شارك المستعربون في الثورة التي أشعلها المولدون في كورة باغة Priego بزعامة المولد سعيد بن وليد بن مستنة صاحب عمر بن حفصون، وتعاونوا على تخريب مدينة باغة، وإبادة من كان فيها من العرب[1].

وكان المستعربون، وبالأخص العامة، أحد الأسباب الرئيسة في إطالة أمد ثورة بني حفصون، بتأثيرهم عليه، ودفعه إلى اعتناق المسيحية، مما أدى إلى إفشال كل محاولات القضاء على النزاع بينه وبين الحكام الأمويين[2]، كما دبروا مقتل جعفر ابنه على يد رذمير Romero قائد جيش بني حفصون، لأن جعفرا كان يُسِرُّ إسلامه، واستدعوا أخاه سليمان من قرطبة سنة 308هـ/920م، ولما علموا باتصالاته بالحكام الأمويين، حاولوا تدبير قتله هو الآخر، ففطن لذلك وانتقم من رذمير وبقية النصارى[3]. النصارى[3].

ووجد مستعربو عدة جهات من الأندلس في ثورة بني حفصون، فرصة مواتيية للانتقام من السلطة الإسلامية خاصة، ومن المسلمين عامة نذكر منهم، على سبيل المثال، مستعربو جبال رندة Ronda[4] ومالقة Malaga[5].

كما شجعت هذه الثورة نصارى مناطق عديدة في الأندلس، على نقض عهد الذمة ورفع لواء العصيان والمروق عن السلطة الإسلامية، ومنهم نصارى حصن طرش[6] Torrox الذي تحصن فيه عدد كبير منهم، فغزاه عبد الرحمن الناصر سنة 309هـ/921م[7]، وغزا حصن مونت روي سنة 310هـ/922م[8].

ورغم أن الناصر استطاع أن يقضي على الثورات ويسكن الأندلس ويجبر المستعربين على الالتزام بالطاعة، إلا أنه لم يتمكن أن يثنيهم عما كانوا يطمحون إليه،

1- المصدر السابق- ص27.

2- Isidro de las Cagigas – op cit – T1 p 255.

3- ابن حيان- المقتبس- نشره شالمطا- ص165.

4- رندة: من مدن جنوب الأندلس إلى الشمال من الجزيرة الخضراء، وهي مدينة قديمة بها آثار كثيرة، كما أنها حصن بين إشبيلية ومالقة- الحميري- الروض المعطار- ص269/ياقوت - معجم البلدان- ج3 ص73.

5- Levy Provençal – op. cit – t3 p215.

6- طرش: مدينة أو حصن في جنوب الأندلس إلى الغرب من مالقة- ياقوت- المصدر السابق- ج4 ص29.

7- ابن حيان- المقتبس- تحقيق عبد الرحمن علي الحجي- ص171.

8- حسين مؤنس- موسوعة تاريخ الأندلس- ج1 ص296.

ألا وهو التخلص من الوجود الإسلامي بصفة عامة، وإعادة شبه جزيرة إيبيريا إلى مسيحيتها، لذلك واصلوا تمرداتهم.

ففي عهد الحكم المستنصر ناصر مستعربو لاردة Lerida[1]، المنشق أبا الأحوص محمد بن عبد العزيز التجيبي الذي لجأ إلى أحد حصونها، فأرسل إليه الخليفة قائده رشيق البرغواتي، وأثناء محاصرة هذا الأخير لأبي الأحوص حاول أحد قمامسة تلك الجهة مد يد المساعدة له، إلا أن القائد رشيق قطع الطريق على القومس ومنعه من بلوغ هدفه[2]، كما وقف المستعربون إلى جانب غالب بن عبد الرحمن الناصري في حربه ضد المنصور بن أبي عامر سنة 370هـ/980م[3].

وبعد الفتنة القرطبية ونهاية الدولة الأموية وظهور ملوك الطوائف، استغل المستعربون ضعف هذه الدويلات وتناحرها فيما بينها، ليبرزوا كقوة تهدد الوجود الإسلامي.

فقد كون السيد الكنبيطور، الذي كان مستشارا سياسيا وعسكريا عند المؤتمن بن هود، جيشا من النصارى المرتزقة والمستعربين، شكل خطرا حقيقيا على بعض المدن الأندلسية مثل بلنسية التي دخلها سنة 487هـ/1094م، وعاث فيها فسادا وقتلا، وأحرق مدبر شؤونها القاضي ابن جحاف حيا، واستعان بمستعربيها لحراسة أبوابها[4].
أبوابها[4].

وعند دخول المرابطين الأندلس لخلع الأمير عبد الله بن بلكين عن ملك غرناطة، كان مستعربو لوشة Loja، أول من خرج عن طاعته، طمعا منهم في نيل الحظوة لدى يوسف بن تاشفين[5].

1- لاردة: مدينة من مدن الشمال الغربي لإسبانيا، تقع في الطريق بين برشلونة وسرقسطة، كانت إحدى مدن الثغر الشرقي، اشتهرت بخصوبة أراضيها وكثرة منتوجاتها الزراعية- الحميري-الروض المعطار- ص507/ ياقوت- معجم البلدان- ج 5 ص07.

2- ابن حيان- المقتبس- تحقيق عبد الرحمن علي الحجي- ص224.
3- ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص279.
4- المصدر نفسه– ج 2 ص34 وما بعدها.
5- ابن بلقين– التبيان– ص158.

كما لا يجب أن ننسى الدور الهام الذي لعبه مستعربو طليطلة، والمتمثل في مساعدتهم لألفونسو أثناء افتكاكه لهذه المدينة من أيدي المسلمين، وقد كافأهم على ذلك بمنحهم امتيازات واسعة[1].

- **التآمر ضد المسلمين:**

كانت مرحلة الولاة في الأندلس، مرحلة توسعات وتثبيت لسيطرة المسلمين على شبه جزيرة إيبيريا، قضوا خلالها على كل محاولات سكانها المسيحيين لمواجهة الفتح الإسلامي، كما استطاع عبد الرحمن الداخل القضاء على الصراعات الداخلية في الأندلس، وتوحيدها تحت حكمه، وتوجيه أنظار المسلمين نحو الممالك المسيحية في الشمال، مما اضطر أغلب هذه الممالك إلى توقيع معاهدات صلح مع حكام الأندلس.

وأمام هذا الوضع، قرر المستعربون اللجوء إلى التآمر ضد المسلمين، بالاتصال بالممالك المذكورة لطلب المساعدة منها، أو التحالف معها ضد السلطة الإسلامية، مستغلين في ذلك الاضطرابات السياسية التي كانت تمر بها الأندلس من حين لآخر، وضعف بعض حكامها، إلا أنهم كانوا كلما ظهر حاكم قوي يتمكن من القضاء على الاضطرابات ويسيطر على زمام الأمر، ينضبطون ويصطنعون الوفاء له، كما كان شأنهم في عهد عبد الرحمن الناصر، والحكم المستنصر، والمنصور بن أبي عامر[2]

ومما لاشك فيه أن اتصالات المستعربين بالممالك المسيحية في الشمال بدأت منذ القرن الثاني الهجري(8م)، ففي سنة 163هـ/779م هاجم المسلمون تدمير Tudemir أو مرسية Murcia بسبب تآمر حاكمها أتاناجيلدو Atanagildo ابن تدمير مع الملك الكارولونجي شارلمان[3]، واستولى المسلمون بموجب ذلك على مدن وقرى

1- اكناثيو فيرناندو- اللغة العربية في مدينة طليطلة بعد الفتح النصراني ووثائق المستعربين- مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد- المجلد الثلاثون- 1998م- ص163.

2 Levy Provençal – op. cit – T3 p 218

3- شارلمان أو شارل الأول الكبير إمبراطور الغرب من العائلة الكارولنجية، حكم من (768 إلى 814م)، حاول غزو إسبانيا من الشمال إلا أنه فشل- Le petit Larousse illustre - 2005- p 1266 -1267

كورة تدمير[1]، جاعلين بذلك حدا للمعاهدة التي أبرمها تدمير مع عبد العزيز بن موسى بن نصير.

واتصل مستعربو ماردة بعد ذلك، بإمبراطور الفرنجة لويس العابد بن شارلمان Louis le pieux[2]، بإرسالهم لوفد يطلعه- حسب ما يدعون- على معاناتهم، ويطلبون منه مساعدتهم عسكريا، وقد احتفظت لنا سجلات الوثائق بالرد الذي بعث به الإمبراطور إليهم، يعدهم فيه بالمساعدة العسكرية، ويغريهم بالهجرة إلى الشمال المسيحي، ويحثهم على مواصلة المقاومة ضد السلطة الإسلامية، ويطمئنهم إلى استحالة قيام الأمير عبد الرحمن بهجوم ضدهم[3].

يظهر من خلال الرسالة أن مستعربي ماردة اتصلوا بلويس العابد لأسباب مادية بحتة، ولم يشتكوا اضطهادا دينيا أو اجتماعيا.

وفي نفس الفترة تمرد نصارى طليطلة سنة 240هـ/854م، ووجهوا طلبا إلى أردونيو الأول لمساعدتهم، فجهز إليهم جيشا جرارا بقيادة أخيه غشتون Gaston قومس ألبيرزو Bierzo، إلا أن الأمير محمد تمكن من القضاء على هذا التمرد[4].

وظلت طليطلة ملجأ للتيارات المتعصبة الآتية من الشمال ومن النصارى المعاهدين، وممن وفد عليها من معاهدي قرطبة، والذين كانوا يوجهون بين الحين والآخر نداءات استغاثة إلى ملوك الممالك النصرانية[5].

ومن جهة أخرى، استجاب المستعربون لنداءات ملوك اشتوريس وليون لإعادة إعمار المناطق الخالية الفاصلة بين بلاد المسلمين والأراضي المسيحية.

فقد استعان بهم ألفونسو بن أردون[6] سنة 280هـ/893 لتعمير مدينة سمورة[1] Zamora[2] التي اتُّخِذت أديرتُها كقواعد للتضييق على المسلمين واكتساح أراضيهم[3]،

---

1 - Simonet – op cit – p243-244.

2- لويس العابد(778-840) ابن شارلمان الأول، حكم الإمبراطورية الكارولنجية أو إمبراطورية الغرب من (814-840) خلفا لأبيه شارلمان- .Le petit Larousse illustre – 2005 – p 1523

3- نص الرسالة في الملحق رقم 2 من هذه المذكرة

4- ابن حيان- المقتبس- تحقيق محمود علي مكي- ص295/ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 94-95.

5- عصمت دندش- علاقة الأندلس بمملكة قشتالة- ص105.

6- ألفونسو الثالث المدعو بالكبير Alphonse III le grand، (224-300هـ/838-910م)، ملك اشتوريس (252-300هـ/866-910م)، موحد الأقاليم المسيحية الشمالية الغربية- Le petit Larousse illustre- 2005- p 1155

أراضيهم[3]، لذلك وجه إليها المسلمون عدة غزوات، فقد غزاها عبد الرحمن الناصر مرتين، الأولى سنة 327هـ/938م، والثانية سنة 332هـ/944م، ثم غزاها المنصور بن أبي عامر مرتين أيضا، الأولى في صفر 371هـ/أوت 981م، والثانية في رمضان 373هـ/فبراير 984م[4].

وكشف المنصور بن أبي عامر مؤامرة لمستعربين جليقيين كان يستخدمهم في الجيش، إذ حاولوا بعث رسالة إلى نصارى جليقية يدلونهم فيها على أماكن معينة، مناسبة لنصب كمائن للجيش الإسلامي، إلا أن المنصور استطاع بفضل دهائه، إلقاء القبض على الشيخ الحامل للرسالة، واستخراجها من برذعة حماره، وأفشل بذلك المؤامرة[5].

وبعد سقوط الدولة الأموية، عمل ملوك الطوائف على استمالة المستعربين اتقاء دسائسهم ومؤامراتهم[6]، ورغم مصانعة هؤلاء الملوك للمستعربين، مثل استخدامهم في وظائف عليا كقادة للجيوش، أو كسفراء، أو كمستشارين، إلا أنهم نكثوا العهد، وتعاونوا مع الممالك المسيحية في الشمال من خلال مدهم بمعلومات هامة عن النواحي العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية لممالك الطوائف، قصد إضعافها والقضاء عليها[7].

لعب المستعربون دورا هاما في سقوط مدينة قلمرية[8] Coimbra في يد النصارى، فأثناء حصارها من طرف فرديناند الأول[9] Ferdinand I المدعو بالكبير، اتصل به قائد ثغر قلمرية، المستعرب رانده Rando، وهو أحد مستخدمي ابن

1- سمورة: هي دار مملكة الجلالقة، وهي مدينة جليلة، وقاعدة من قواعد الروم تقع على نهر دويرو، شديدة التحصين- الحميري- الروض المعطار- ص324-325.
2- ابن حيان- المقتبس- نشره أنطونية- ص109.
3- القادري بوتشيش- أثر الإقطاع في الأندلس- ص252.
4- العذري- المصدر السابق- ص77-79.
5- ابن عذاري- البيان المغرب- ج 2 ص290-291.
6- عصمت دندش- المرجع السابق- ص105.
7- عبد القادر عثمان جاد الله- المرجع السابق- ص266.
8- قلمرية: مدينة بالبرتغال تقع على جبل مستدير، محكمة التحصين، وهي على نهر منديق-الإدريسي-المصدر السابق- ص271/الحميري- الروض المعطار- ص471/ياقوت- معجم البلدان- ج4 ص391.
9- فرديناند الأول المعروف بالكبير توفي سنة 1065م، ملك قشتالة وليون من 1035 إلى 1065، اشتهر بحروبه ضد المسلمين- Le petit Larousse illustre – 2005 – p 1382

الأفطس[1]، واتفق معه على الأمان له ولأهله مقابل خروجه من المدينة، وتركها عرضة لغزو النصارى[2]، كما التحق بالملك فرديناند، عدد هام من مستعربي المدينة

ودلوه على عوراتها، كما ساهم رهبان دير لوربان Lorban، القريب منها، في مد جيش فرديناند بالمؤن والأطعمة، وهذا ما ساعد على نجاح الحصار، واستيلاء جيش فرديناند على مدينة قلمرية سنة 456هـ/1064م[3].

ويجب أن نذكر هنا أن سقوط طليطلة في يد ألفونسو السادس سنة 478هـ/1085م كان بإشارة من شيشند، الذي كان قبل ذلك قائدا للجيش في مملكة إشبيلية، ثم عُين حاكما للمدينة بعد سقوطها[4].

كما أن مستعربيها مهدوا الطريق لألفونسو لدخولها، عن طريق تدبيرهم للفتن والدسائس، وإثارة الاضطرابات، ثم الاتصال به وتشجيعه على التقدم نحو المدينة[5].

وما قام به مستعربو غرناطة، يعتبر من أكبر الخيانات، فقد استدعوا ألفونسو المحارب Alfonso el batallador سنة 519هـ/1125م، وأغروه بالتقدم نحو المدينة، وأعلموه بثرواتها الزراعية، ومصادر مياهها، وأهمية موقعها الجغرافي ومنعته، كما بعثوا إليه بزمام يشتمل على اثني عشر ألفا من رجالهم القادرين على حمل السلاح والمستعدين للانضمام إليه[6].

وأمام هذه الإغراءات خرج ألفونسو من سرقسطة سنة 519هـ/1125م، واتجه نحو غرناطة ووصل إلى أحوازها سنة 520هـ/1126م، إلا أنه لم يستطع دخولها رغم طول بقائه في المنطقة ورغم المساعدات الغذائية الهامة التي قدمها له مستعربو

1- ابن الأفطس محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي الأندلسي، المكنى أبا بكر، صاحب بطليوس بالثغر الشمالي من الأندلس، تولى بعد وفاة أبيه سنة 437هـ/1045م، كان عالما بالأدب، له مؤلفات من بينها كتاب "المظفري"، توفي 460هـ-1068م-ابن الأبار- التكملة لكتاب الصلة- ج1 ص317 رقم 1123/الزركلي-الأعلام - ج6 ص228.

2- ابن عذاري- البيان المغرب- ج 3 ص238-239.

3- المصدر نفسه – ج 3 ص 238-239.

4- ابن بسام- الذخيرة في محاسن الجزيرة- ج4 ص117.

5- عصمت دندش– المرجع السابق – ص 107.

6- ابن الخطيب- الإحاطة- ج1 ص22-23-24/ابن عذاري- البيان المغرب- ج4 ص69 -72.

المنطقة، لذا أرسل إلى قومس المدينة، المسمى ابن القلاس، يلومه على تقصيرهم في مساعدته على دخولها[1].

كما ساهم المهاجرون المستعربون المهاجرون نحو الشمال المسيحي، مثل القس سباستيان Sebastien، وكذا النصارى الوافدين على كنيسة شنت ياقب Santi= =ago de Compostelle في التجسس لصاح الممالك المسيحية[2].

ورغم كل هذه الشواهد، يرى سيموني أن المصادر لم تشر إلى أي دور لمستعربي الأندلس في مساعدة إخوانهم نصارى الشمال ضد المسلمين بأي صورة من الصور لإثارة الفتن في الداخل، الأمر الذي يعني أن موقفهم كان حياديا، وأنهم كانوا ميالين للسلم، ومقتنعين بواقعهم السياسي والاجتماعي[3].

- **الحقد على المسلمين والسعي للثأر منهم:**

منذ أن فتح المسلمون الأندلس، رفضت طائفة من سكانها الخضوع لهم، وآثرت الفرار نحو المناطق النائية، على العيش مع المسلمين ودفع الجزية لهم، ومن هؤلاء بلاي أو بلايو الذي لجأ إلى صخرة منيعة، اشتهرت باسم كوفا دونجا Cova Donga مع عدد من المسيحيين، ونظرا لقلة عددهم استهان بهم المسلمون وقالوا: "ثلاثون علجا ما عسى أن يجيء منهم"[4]، وظل هذا العلج يُذكي قرائح المسيحيين حتى حتى دفعهم إلى طلب الثأر، ومن وقته أخذ نصارى الأندلس في مدافعة المسلمين عما بقي بأيديهم من أرضهم[5]، فأصبح المسلمون يُصوَّرُون كأعداء، فقد كانت "وقائع مستعربية" أو "Cronica Mozárabe"، المدونة سنة 137هـ/754م من طرف راهب قرطبي مستعرب، أولى الكتابات التي صورت الإسلام والمسلمين على أنهم أعداء، كما اعتبرت الفتح الإسلامي للأندلس خسارة كبيرة لإسبانيا وكارثة حلت بالإسبان[6].

ورغم ذلك خضعت غالبيتهم للحكم الإسلامي، وحافظوا على ديانتهم المسيحية، وعن طريقها حافظوا على أكبر مقوم ثقافي، وعلى هويتهم الوطنية، وصمدوا

1- ابن عذاري- البيان المغرب- ج4 ص71.

2 - Levy Provencal – op. cit – T3 p216./ محمد عثمان جاد الرب– المرجع السابق– ص 274.

3 - Simonet – op cit – p 156.

4- مجهول- أخبار مجموعة - ص109/ابن عذاري- البيان- ج2 ص29 /المقري- نفح الطيب- ج3 ص17.

5- نفسه- ج3 ص17.

6- مارغريتا لوبيز غوميز– المرجع السابق- ص272.

بإصرار وصبر في وجه تيار الإسلام الجارف[1]، كما اعتُبِر المستعربون رمزا قوي الدلالة لاستمرارية الطابع المسيحي للمجتمع الإسباني القديم والمعاصر.

استغل المستعربون كل فرصة أتيحت لهم لإظهار حقدهم تجاه المسلمين، ففي سنة 132هـ/749م حلت بالأندلس مجاعة شديدة، اصطلح الأندلسيون على تسميتها بـ"سني برباط"، استمرت سنتين ونيف: 134 و135 وبعض سنة 136هـ(751-752-753م)[2]، استغلها نصارى الأندلس استغلالا كبيرا، إذ أخرجوا المسلمين من أشتورقة وجليقية، وقتلوا عددا كبيرا منهم، وكادوا أن يفتَكُّوا الأندلس من المسلمين لولا تأثرهم بالمجاعة المذكورة[3].

كما استغل ربيع بن تيودولفو قومس الأندلس والمتولي لقهرمة[4] الحكم الربضي، منصبه هذا للانتقام من المسلمين، فسامهم الخسف وأحدث فيهم المنكر[5]، وعندما سوغه الحكم فرض المعاون والمغارم على المسلمين، اشتط في ذلك وتمادى كثيرا، مما أدى إلى تضرر عدد كبير منهم، وتسبب تصرفه هذا في ثورة أهل إلبيرة سنة 207هـ/822م، الذين قدموا إلى قرطبة يشكون معاناتهم الشديدة مما فرضه عليهم هذا القومس من مغارم[6].

فكان من أجلِّ الأعمال التي حببت عبد الرحمن الأوسط إلى العامة قبل اعتلائه سدة الحُكْم، أنه أقنع أباه الحَكَم، خلال فترة مرضه، بالتخلص من هذا القومس، لأنه سبب قلقا ومشاكل للدولة، فوافقه الحكم على ذلك[7].

ورغم الامتيازات التي حصل عليها المستعربون من لدن السلطات الإسلامية في الأندلس، إلا أنهم لم ينسوا أبدا أن المسلمين قضوا على دولتهم وسيطروا على

1 - Pierre Guichard – les mozarabes d’ al-andalus entre l’histoire et le mythe – p22.
2- مجهول- أخبار مجموعة- ص129/ ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص38.
3- مجهول- أخبار مجموعة- ص129.
4- القهرمة: القهرمان هو من أمناء الملك وخاصته، ويعني الخازن والوكيل الحافظ، وهي كلمة فارسية- لسان العرب- ج12 ص496 - مادة قهرم.
5- ابن حيان- المقتبس – السفر الثاني- ص 184.
6- المصدر نفسه- ص 410.
7- نفس المصدر – ص 409.

بلادهم، وسبوا نساءهم وبناتهم، ونعموا بخيرات وطنهم، فكانوا يكتمون الحقد والغل طوال عصر الإمارة، وظلوا يتحينون الفرص لإسقاط دولة الإسلام، وعندما فشلوا، أرجأوا مناهضتهم للعرب إلى فرص مواتية، ينتقمون فيها منهم ويستردون بلادهم[1].

وقد استغل عمر بن حفصون هذا الحقد واستمال إليه المستعربين، فأصبحوا يشكلون غالبية جيشه وحاشيته، وازداد تأثيرهم على دولته[2].

ونشأ تنافر بين جماعات المستعربين، إذ كانت الغالبية منهم تعتبر المسيحيين الذين يشغلون وظائف حكومية، خونة ومتعاونين مع السلطة الإسلامية، وكان رجال الكنيسة يؤلبون عامة نصارى الأندلس ضد هؤلاء[3]، ويرددون في صلواتهم أدعية تفيض حقدا وكراهية على المسلمين، وينظرون إليهم على أنهم محتلين[4].

وساهم البابوات في روما، في إذكاء نار الحقد المسيحي ضد الإسلام والمسلمين في الأندلس، فقد وعد البابا إسكندر الثاني Alexander II(453-466هـ/ 1061-1073) سنة 455هـ/1063م، كل من يتوجه إلى الأندلس لمحاربة الصابئين- في إشارة إلى المسلمين- بإمكانية غفران كل ذنوبه، كما وجه البابا باسكال الثاني(494-512هـ/1099-1118م) نداء إلى أساقفة الغرب، جاء فيه: "إن إخواننا المسيحيين يعيشون بين المسلمين وكأنهم يعيشون بين الذئاب والأسود"[5]، وهو ما يبين يبين أن نصارى الأندلس، كانوا محل اهتمام البابوية، التي كانت ترى في شبه جزيرة إيبيريا جزءا من ممتلكاتها، وأنها حصن لكل غرب أوروبا يحميه من التيارات المعادية للمسيحية.

- **العمل على نشر عادات قبيحة في أوساط المسلمين:**

انتشرت في أوساط مستعربي الأندلس، مجموعة من الصفات الذميمة، أبرزها تناول الخمور، ذلك لأنهم يعتقدون أن الخمر بعد تقديسه يتحول إلى دم المسيح عليه

1- سحر السيد عبد العزيز سالم- الجوانب الإيجابية في الزواج المختلط في الأندلس- ص58.
2 - Simonet – op cit – p.518.
3 - Duffourcq – op cit – p 177.
4 - Ibid – p77
5 - Ibid – p 12.

السلام[1] فكانوا يتناولونه في مراكز عبادتهم كالكنائس والأديرة، الشيء الذي شجع المنحرفين من المسلمين على قصد هذه الأماكن بهدف تناول الخمور.

ورغم أن الخمر كانت منتشرة في الأندلس، وبخاصة في أوساط المسيحيين، إلا أن صناعتها لم تكن علانية، بل كانوا يقومون بها في أماكن خاصة كالمخازن[2].

وقد احتفظت لنا المصادر ببعض الأشعار التي قيلت في أديرة كانت تقدم الخمور لزوارها من المسلمين، مثل أبي عامر بن شهيد[3]، الذي قضى ليلة في إحدى كنائس قرطبة، تناول خلالها الخمر، فأنشد قائلا:

وَلَرُبَّ حَـانٍ قَـدْ شَمَمْتُ بِدَيْرِهِ   خَمْرَ الصِّبَا مُزِجَتْ بِصَرْفِ عَصِيرِهِ
فِي فِتْيَةٍ جَعَلُوا السُّرُورَ شِعَارَهُمْ   مُتَصَـاغِـرِينَ تَخَشُّعًـا لِكَبِيـرِهِ
وَالقِسُّ مِمَّا شَـاءَ طُولَ مُقَامِنَـا   يَدْعُـو بِعُـودٍ حَوْلَنَـا بِزَبُـورِهِ
يَتَنَاوَلُ الظُّرَفَـاءَ فِيـهِ وَشُرْبُهُمْ   سُلاَفَـةٌ وَالأَكْـلُ مِـنْ خِنْزِيرِهِ[4]

ويقول عبد الجبار أبو طالب المتنبي[5]:

وَخَمَّـارٌ أَنَخْتُ بِـهِ مَسِيحِيٌّ   رَخِيمُ الدُّلِ ذِي وَتَرٍ فَصِيحِ
سَقَانِي ثُـمَّ غَنَّانِي بِصَـوْتٍ   فَدَاوَى مَا بِقَلْبِي مِنْ جُرُوحِ
وَفَضَّ فَمَ الدِّنَانِ عَلَى اقْتِرَاحٍ   فَفَاحَ البَيْتُ مِنْهَا طِيبَ رِيحِ
فَقُلْتُ لَكَـمْ سَنَـةً تَرَاهَـا   فَقَـالَ أَظُنُّهَا مِنْ عَهْدِ نُوحِ
وَلَمَّا أَنْ شَدَا النَّاقُوسُ صَوْتًا   دَعَانِي أَنْ هَلُمَّ إِلَى الصَّبُوحِ
وَحَيَّانِـي وَفَدَانِـي بِكَـأْسٍ   وَقَبَّلَنِي فَـرَدَّ إِلَـيَّ رُوحِي[6]

1- القرطبي– الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام– ص 427.
2 -Levy provençal – op cit – t3 p278
3- هو أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد (382-426هـ/992-1035م): أشجعي النسب، يكنى أبا عامر، عالم بالأدب، له عدة مؤلفات في الأدب من بينها رسالة "التوابع والزوابع"-الضبي- بغية الملتمس- ص164 رقم 440/الحميدي-جذوة المقتبس- ص117 رقم 232/المقري- نفح الطيب- ج1 ص380/ابن بسام- الذخيرة- ج1 ص154-260/ابن الأبار- الحلة السيراء- ج1 ص237.
4- ابن خاقان– مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس– تحقيق محمد علي شوابكة– دار عمار- مؤسسة الرسالة– بيروت– ط1– 1402هـ/1983م– ص195/نفح الطيب– ج1 ص526.
5- أبو طالب عبد الجبار المتنبي، من أهل جزيرة شقر، برع في الأدب شعرا ونثرا-ابن بسام - الذخيرة- ج1 ص693/ ابن سعيد-المغرب- ج2 ص371.
6- ابن بسام – الذخيرة- ج1 ص 695/ ابن سعيد – المغرب – ج2 ص372.

يتضح من خلال هذه العينات من الأشعار، أن الأديرة كانت عبارة عن ملاهي، تدار فيها الخمور، وترفع فيها الأصوات بالغناء، ويختلط فيها الرجال بالنساء، ويمارس فيها الزنا، فتحولت بذلك إلى أماكن للدعارة، وهذا ما أنكره ليفي بروفنسال، واعتبره اتهاما باطلا ناتجا عن تعصب ديني من طرف بعض الكتاب المسلمين المتشددين وبعض الشعراء[1]، إلا أنه في نفسه الوقت، ومحاولة منه دفع الشبهة عن هذه الأديرة، يُقِر بأن الملاهي وُجِدت خارج المدن، وكانت غالبيتها بالقرب من الأديرة[2].

ومما ساهم في انتشار ظاهرة تناول الخمور من طرف المسلمين، تعاطيها من طرف بعض الحكام الأمويين وملوك الطوائف، وتساهل القضاة المسلمين في معاقبة شاربي الخمر، مثل القاضي محمد بن زياد اللخمي[3] والقاضي أحمد بن بقي بن مخلد[4].

مخلد[4].

وحاول بعض الحكام الأمويين القضاء على هذه الظاهرة أو على الأقل الحد منها، إلا أنهم لم يستطيعوا، فقد أمر عبد الرحمن الأوسط بهدم الفندق الذي أقامه أبوه في شقندة، لأن المستعرب ربيع بن تيودولفو، الذي كلفه الحكم الربضي بإدارته، استغله لبيع الخمور[5].

كما حاول الحكم المستنصر القضاء على زراعة الكروم للحد من صناعة الخمور، إلا أن مستشاريه أعلموه أن العامة يمكنها أن تتخذ من عصير التين وغيره شرابا مسكرا، فتراجع عن مشروعه[6].

1- Levy provencal- op. cit- T 3 p 226.

2 - Ibid – T 3 p 447

3- محمد بن زياد اللخمي، استقضاه عبد الرحمن الأوسط، توفي بعد 240هـ/854م- الخشني- قضاة قرطبة- ص87/النباهي- تاريخ قضاة الأندلس- ص55/ ابن الفرضي- تاريخ علماء الأندلس- ص295 رقم 1098/الحميدي-جذوة المقتبس- ص50 رقم 55/الضبي-بغية الملتمس- ص66 رقم 121.

4- أحمد بن بقي بن مخلد يكنى أبا عمر، وقيل أبو عبد الله (ت 324هـ/936م أو 344هـ/955م)، تولى منصب قاض الجماعة في قرطبة في عهد عبد الرحمن الناصر- الخشني-قضاة قرطبة- ص163/ابن الفرضي- تاريخ علماء الأندلس- ص38 رقم 103/الضبي- بغية الملتمس- ص148 رقم 385/الحميدي- جذوة المقتبس- ص 105 رقم 197.

5- ابن حيان– المقتبس– السفر الثاني– ص186.

6- الحميدي– جذوة المقتبس– ص 19.

واشتهر المستعربون بالانحلال الخلقي الذي انتشر في أوساط الميسورين منهم، ثم انتقل إلى الطبقات الاجتماعية الدنيا، مثل البنائين والحرفيين والمزارعين[1]، ومن مظاهر هذا الانحلال الخلقي انتشار الزنا، وبخاصة في أوساط رجال الدين من نصارى الأندلس مثل الأساقفة والقساوسة، حتى أصبح من باب العسير العثور على رجل دين عفيف[2].

بل أن الزنا أصبح عرفا عند هؤلاء، فكان لكل واحد منهم خليلة أو أكثر يبيت معها، لذلك حذر بعض الفقهاء النساء المسلمات والنصرانيات من دخول الكنائس والاختلاء برجال الدين لأن هؤلاء زناة لوطة[3].

وكان بعض النسوة المستعربيات تمارسن الدعارة في الشوارع، وزبائنهن من المستعربين خاصة[4].

وقد سعى بعض المستعربين إلى نشر ظاهرة الزنا في وسط النساء المسلمات[5]، المسلمات[5]، إذ كان التجار منهم يستغلون اتصالهم بالنساء المسلمات في دورهن بحجة بحجة بيعهن بعض السلع، ويغروهن بممارسة الزنا[6]، بل كان بعضهم يغري المسلمات على الخروج معه من بيتها إلى أماكن أخرى ليوقعها في الفاحشة[7].

وليس أدل على ما قلناه، مما جاء في رسالة أبي عبد المنعم القروي[8]، ردا على على رسالة ابن غَرْسية الشعوبي[9]: "ومن الآيات ذكر صواحب الرايات، والمباضعة عندكم كالمراضعة، ما في الشَّكر عندكم نُكر، تبيحون ولوج العلوج على بدور الحدوج، الزنا عندكم سنا، والفجار بينكم فخار، تقتادونهن وتستأدونهن..."[10].

---

1 - Simonet – op cit – p 367-368.

2- ابن حزم- الفصل في الأهواء والملل والنحل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1996- ج1 ص174.

3- ثلاث رسائل في الحسبة- ص48.

4 - Duffourcq – op cit – p117/ Levy Provençal – op. cit – T3 p 289.

5- الونشريسي- المعيار المغرب- ج2 ص345/ البرزلي- النوازل- ج6 ص168.

6- المصدر نفسه- ج5 ص197.

7- البرزلي- النوازل- ج 6 ص169/الونشريسي- المعيار المغرب- ج2 ص346.

8- عبد المنعم بن من الله بن أبي بحر الهواري القيرواني أو القروي، يكنى أبا الطيب، كان أديبا شاعرا، توفي سنة 493هـ-1099م-ابن بشكوال- الصلة – ص315 رقم 841.

9- أبو عامر أحمد بن غرسية، أديب من أبناء البشكنس، من موالي إقبال الدولة بن مجاهد العامري ملك دانية والجزر، اشتهر برسالته في الشعوبية، التي يفتخر فيها بالعجم على العرب، عارضها عدد من الأدباء العرب- ابن سعيد-المغرب- ج2 ص406، وأورد ابن بسام رسالته وبعض الردود عليها في كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة– ج3 ص 531-567.

10- ابن بسام- المصدر السابق- ج3 ص546.

- **محاولتهم تشويه الدين الإسلامي وصورة المسلمين:**

بعد أن تم فتح الأندلس، واستقرت الأوضاع، وتيقن النصارى من سماح المسلمين لهم بالاحتفاظ بممتلكاتهم الدينية وبأداء شعائرهم التعبدية، واعتناق أعداد من الأهالي للإسلام، شعر رجال الكنيسة بالخطر المحدق بالمسيحية وبواجبهم مواجهته، فكان رد فعلهم أن وجهوا انتقاداتهم للديانة الإسلامية، وللرسول عليه الصلاة والسلام، وحاولوا تشويه صورة المسلمين.

فقد كانوا ينعتون الديانة الإسلامية بالمنكرة، ويلجأون إلى الأكاذيب والمغالطات[1] لتشويهها عند جهالهم وعامتهم، مركزين على أمور فرعية ليست من الأهمية بمكان[2]، وذلك بسب الرسول عليه الصلاة والسلام، ووصفه بأوصاف شنيعة[3]، والتشكيك في نبوته، وفي العقيدة الإسلامية[4]، وقد بدأت محاولاتهم هذه خلال خلال فترة الإمارة، إذ ظهرت مجموعة من المستعربين المتعصبين الذين تعمدوا سب الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم علنا، مع علمهم المسبق بالحكم الإسلامي على من يقوم بذلك، إلا أنهم كانوا يعتبرون إعدامهم استشهادا، فسميت هذه الحركة عند المؤرخين اللاتين بحركة الاستشهاد، أما المؤرخون المسلمون ففقد اصطلحوا على تسميتها بحركة الاستخفاف[5]، التي يمكننا تسميتها بحركة الإنتحاريين.

بدأت هذه الفتنة سنة 235هـ/850م بإعدام قس اسمه برفكتو Perfecto، في أول أيام عيد الفطر لهذه السنة، لأنه وأثناء نقاشه مع أحد المسلمين، انفعل وسب الإسلام والرسول[6].

استغل المتعصبون من المستعربين مثل إيلوخيو وألبارو القرطبي هذا الحادث لإذكاء نار الحقد على المسلمين، والدفع بمسيحيين آخرين إلى الجهر بسب الإسلام

1 - Emmanuel Filhol – l'image des sarrasins dans les textes chrétiens (de la chanson de Roland a la chronique du pseudo Turpin) - l'occident musulman et l'occident chrétien du moyen âge - coordonnée par Mohamed Hammam – publications de la faculté des lettres, Rabat, 1ere édition, 1995 – p 235.

2- القرطبي- الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام- ص447.

3 - Emmanuel Filhol – op cit – p 236.

4- الونشريسي- المعيار المغرب- ج11 ص155.

5- محمد بن شريفة- الإستعراب– ص 65.

6- أحمد مختار العبادي- المرجع السابق- ص356.

والرسول صلى الله عليه وسلم، فكان أول المنتحرين، بعد برفكتو، راهبا اسمه إسحاق، والذي أعدم سنة 236هـ/851م[1].

وتواصلت عمليات الاستخفاف أو الانتحار هذه، مما دفع بالأمير عبد الرحمن الأوسط إلى دعوة أساقفة الأندلس، لحضور مجمع كنسي عقد في قرطبة سنة 237هـ/852م، بهدف اتخاذ موقف من هذه الفتنة، وخلص المجمع إلى اعتبارها جنونا وانتحارا، ولا تمت إلى المسيحية بأية صلة[2].

ورغم قرار المجمع الكنسي، واعتقال إيلوخيو، إلا أن الفتنة تواصلت بدخول مجموعة من أتباعه مسجد قرطبة الكبير، وقيامهم بسب الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم علنا، فحُكم عليهم بالإعدام سنة 238هـ/852م[3]، وفي نفس السنة توفي الأمير عبد الرحمن الأوسط وخلفه ابنه محمد الذي عفا عن إيلوخيو وأطلق سراحه، فتوجه إلى طليطلة، ثم لم يلبث أن عاد إلى قرطبة لتحريض المستعربين من جديد على سب الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم، فألقي عليه القبض، وأعدم سنة 245هـ/859م[4].

إلا أن إعدام إيلوخيو لم ينه الحركة كليا، بل بقي لها بعض التأثير في أوساط المستعربين، وواصل بعضهم استخفافه بالإسلام والرسول عليه الصلاة والسلام، فاضطر القضاة المسلمون إلى إصدار أحكام بإعدام هؤلاء المنتحرين، ولم تختف هذه الحركة إلا بعد أن استطاع عبد الرحمن الناصر إخضاع الثوار، وتسكين الأوضاع، والسيطرة على زمام الأمور في الأندلس.

وتجب الإشارة هنا إلى أن الحُكم بالإعدام على هؤلاء المستخفين بالإسلام من المستعربين لم يكن أبدا بدافع التعصب من طرف القضاة المسلمين، إنما كان حكمهم

1- المرجع نفسه– ص 356.
2- نفسه– ص357.
3- نفسه- ص357.
4- نفسه– ص358.

مستلهما من الشريعة، وأن هذا الحكم يسري على الجميع مسلمين ومسيحيين وغيرهم[1].

فقد حُكم بالإعدام على يحي بن زكريا الخشاب، ابن أخت عجب، حظية الأمير الحكم الربضي سنة 237هـ/851م لاتهامه بالزندقة والاستخفاف بالديانة الإسلامية، ولم يشفع له مركز خالته[2]، كما حُكم بالإعدام على عبد الملك بن المنذر بن سعيد البلوطي[3]، سنة 368هـ /978م، وصلب على باب السدة لأنه اتهم بالنكث، ولم تشفع له هو الآخر سمعة أبيه[4]، واتهم هارون[5] ، أخو الفقيه عبد الملك بن حبيب[6]، بالكفر وسب وسب الدين، فأمر عبد الرحمن الأوسط بحبسه والنظر في التهم المنسوبة إليه، إلا أن التحقيق أثبت بطلان هذه التهم، فأطلق سراحه[7].

وعموما فإن عهد الخلافة الأموية بالأندلس، تميز بنوع من الهدوء واستكانة المستعربين، ولكن بعد انفصام عقدها وضعف وقصور ملوك الطوائف، وفي المقابل توحد الممالك النصرانية في الشمال، وظهور قوتها العسكرية، وبداية تهديدها لممالك الطوائف، أحس نصارى الأندلس أنهم في موقف قوة، فبدأوا هجمة جديدة على الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق الكتابات، مستغلين انشغال ملوك الطوائف في صراعاتهم البينية وخوفهم من الملوك النصارى.

فقد جاء في مقدمة قاموس رايموندو مارتين ما يلي: "بسم الله الرحمن الرحيم، أعارض قرآن من آخر اسمه الدال، وأول اسمه الميم بلسان فصيح عربي مبين لا بمعنى من سيف ولا سكين، إذ قال لي بلسان الإلهام سيد المرسلين، قل المعجزة لا

1- أحصى ابن قيم الجوزية خمسة عشر دليلا توجب قتل الساب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابه أحكام أهل الذمة – ج2 ص 830-890.

2- ابن حيان- المقتبس - السفر الثاني – ص 414- 415.

3- عبد الملك ابن المنذر بن سعيد البلوطي (328-368هـ/939-979م): تولى خطة الرد في عهد الحكم المستنصر، وكان قاضيا لفحص البلوط، صُلب لما عُزي إليه من النكث- ابن الفرضي-تاريخ علماء الأندلس- ص224 رقم 823/ ابن حيان - المقتبس- تحقيق عبد الرحمن علي الحجي- ص100 و104.

4- ابن الفرضي–المصدر السابق– ص 224 – رقم 823.

5- هارون بن حبيب السلمي أخو عبد الملك بن حبيب الفقيه، من أهل قرطبة، لقبه يحيى بن جرير الأندلسي-ابن الأبار- التكملة لكتاب الصلة- ج 4 ص 104 – رقم الترجمة 403.

6- الفقيه عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبي (174-238هـ/790-853م)، عالم الأندلس وفقيهها في عصره، كان عالما بالأدب والتاريخ، ومقدما في الفقه المالكي، له مؤلفات عديدة في فنون متنوعة- ابن الفرضي- تاريخ علماء الأندلس- ص221 رقم 816/الحميدي- جذوة المقتبس- ص250 1064/ابن فرحون- الديباج المذهب- ص252 الخطيب- الإحاطة- ج3 ص420.

7- ابن حيان- المقتبس- السفر الثاني- ص418.

شريك فيها لرب العالمين، وفي الفصاحة يشرك كثير كثيرين، يغلب فيها أحيانا الصالح الطالح والكافر المؤمن؛ فليست الفصاحة ولو في النهاية آية، ولا معجزة الله إلا عند الذين أوطأهم عشوة معلم مجنون، حتى قالوا عنه خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، مع أنه بإقراره في سورة الأحقاف لم يدر قط ما يفعل به ولا بأتباعه أجمعين أكثرين، فقل يا من اسمه رمند ولقبه مرتين، آه لقوم يقبلون الباطل والخرافات والتراهات كأنها اليقين، وإن كنتم في شك مما ألهمنا إليه عبدنا، يا معشر المسلمين، فاتوا بحل هذه الحجة، وبمثل هذه السورة، وادعوا لذلك إخوانكم من الجن إن كنتم مهتدين، فإن لم تقدروا ولن تقدروا فقد زهق الباطل واستقام اليقين، والحمد والشكر لله آمين، آمين، آمين"[1].

ولم يتوقف النصارى عند حد توجيه إهانات للإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم، بل تحولوا من موقف الدفاع عن الديانة المسيحية وصيانتها من الزوال في الأندلس، وذلك من الفتح إلى نهاية القرن الرابع الهجري، إلى الهجوم بمحاولة تنصير المسلمين ودعوتهم الصريحة لترك الإسلام واعتناق المسيحية، ولا أدل على ذلك من الرسالة التي وجهها راهب مستعرب من فرنسا إلى المقتدر بالله صاحب سرقسطة[2]، يدعوه فيها إلى اعتناق المسيحية، فرد عليها القاضي أبو الوليد الباجي[3] برسالة مطولة مطولة أوضح فيها للراهب الفرنسي، زيغ ما ادعاه، ووجه له دعوة لاعتناق الإسلام[4]. الإسلام[4].

كما رد أبو مروان بن مسرة[5] على رسالة لنصراني اسمه عبد الرحمن بن غَصَن، برسالة أهم ما تضمنته، أربعة أبيات شعرية:

1- محمد بن شريفة- الاستعراب- ص71.

2- المقتدر بالله (ت 475هـ/1082م) أحمد بن سليمان بن محمد بن هود، كان نصيبه سرقسطة بعد أن قسم أبوه المملكة على أبنائه الأربعة-ابن سعيد- المغرب- ج1 ص215/ الزركلي- الأعلام- ج1 ص132.

3- سليمان بن خلف بن سعد التجيبي الباجي أبو الوليد (403-474هـ/1012-1081م)، فقيه مالكي من رجال الحديث، له عدة مؤلفات، ولي قضاء مناطق صغيرة في الأندلس-ابن الفرضي- تاريخ قضاة الأندلس- ص95/الضبي- البغية- ص261 رقم 777/ابن بشكوال-الصلة- ص175 رقم 453/الزركلي-الأعلام- ج 3 ص125.

4 - D.M. Dunlop – A Christian mission to Muslims Spain - al Andalus – 1952 – fasc 2 – pp 287.310.

5- عبد الملك بن مسرة بن فرج بن خلف بن عزيز اليحصبي، يكنى أبا مروان، من أعلام الأندلس، فقيه محدث حافظ، توفي سنة 552هـ-1157م-ابن بشكوال- الصلة- ص296 رقم 781/الضبي- بغية الملتمس- ص333 رقم 1079.

عَقِيدَةُ إِيمَـانٍ حَدَثُهَا كَرَامَـةٌ   تُجْلِي ظَلاَمَ الشِّـرْكِ مِنْهَا بِكَوْكَبِ

أَشَادَتْ بِذِكْرَاهَا العُدَاةِ فَشَيَّدَتْ   اَقَاوِيلَ حَامَ عَنْ ذَرَى الدِّينِ مُعْرِبـِ

فَلِلَّهِ بَـدْرٌ مِـنْ عُزَيْرٍ مُعَزَّزٍ   تُجْلِي بِـهِ عَـنْ دِينِهِ كُـلَّ غَيْهَبِ

إِذَا سَارَ وَفْدُ اللهِ نَحْوَ مُحَصَّبِ   أَقَمْنَاهُ رُكْنَ البَيْتِ مِنْ سِرِّ يَحْصُبـِ[1]

كما رد الفقيه شمس الدين القرطبي من خلال كتابه "الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام" على ما جاء به القاضي المستعرب حفص بن ألبر.

وعند انتزاع المسيحيين طليطلة من المسلمين، تقرب شيشند من المسلمين، ودعاهم إلى المسيحية، وهون عليهم الأمور، وتحبب إليهم، وعدل بينهم، حتى استطاع استمالة قلوب بعض أعلامها[2] مثل أبي القاسم بن الخياط، الذي تنصر وحلق رأسه وشد الزنار، وبرر عمله هذا بكون المسلمين والمسيحيين يعبدون ربا واحدا، ولذلك قربه ألفونسو السادس منه، واتخذه كاتبا له[3]، ونتيجة لذلك تنصر عدد من سفهاء المسلمين[4].

ونشطت عملية التنصير بعد ذلك، إذ كان ألفونسو العالم Alfonso el Savio يرسل بعثات من الرهبان إلى المدن الأندلسية، بهدف مناظرة المسلمين واستمالة الضعفاء منهم.[5]

ومن جهة أخرى كان بعض نصارى الأندلس ينافقون، بحيث كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون المسيحية، وبخاصة خلال القرن الثالث الهجري (9م)، حين استفحلت حركة الاستخفاف (الاستشهاد) بين المستعربين، فتحول عدد من العائلات المستعربية إلى الإسلام، مع بقائها في الحقيقة على الديانة المسيحية[6]، وكانت تتخذ في في بيوتها ما يشبه الكنيسة الصغيرة، تضم كل ما يمكن أن يوجد في كنيسة كبيرة، استخدمت لممارسة الطقوس المسيحية خُفْية[7]، وربما عاد ذلك إلى التهرب من دفع

1- ابن الأبار– التكملة لكتاب الصلة- ج2 ص199- 200.
2- ابن بسام- الذخيرة- ج4 ص118.
3- ابن سعيد- المغرب في حلى المغرب- ج2 ص22.
4- ابن بسام- المصدر السابق- ج4 ص118.
5- محمد بن شريفة- الاستعراب الإسباني- ص30.
6 - Simonet – op cit – p 458.
7- البرزلي- النوازل- ج6 ص262.

الجزية، أو للتقرب أكثر من المسلمين قصد استمالتهم بعد ذلك إلى المسيحية دون إثارة الانتباه.

كما حاول بعض المؤرخين المستعربين إلحاق كل الصفات الشنيعة بالمسلمين، فعند غزو المنصور بن أبي عامر كنيسة شنت ياقب، ادعى بعض هؤلاء المؤرخين، أن المسلمين كانوا يتغوطون داخل الكنيسة حول مائدة القرابين[1]، وأنهم نكلوا بأجساد المسيحيين[2]، وأنهم يضربون عدوهم في الظهر، ويقتلون حصان الخصم، ولا يحترمون الهدنة، وكثيرا ما يفرون أمام منافسهم[3]، وصوروهم على أنهم كلهم عنف وحقد وأنهم أشرار[4].

ونظر عدد من المستعربين إلى بعض السنن النبوية نظرة عداء وازدراء، فقد اعتبروا الختان تعذيبا للنفس البشرية، ولذا استدعى مطران إشبيلية الأسقف ساموبل الإلبيري مجلسا كنسيا جهويا سنة 246هـ/860م لدراسة عملية الختان، وخلص المجلس إلى قرار جماعي يمنع عملية الختان في أوساط المسيحيين[5].

ومن مظاهر حقدهم على الإسلام، أن الراهب إيلوخيو كان حين يسمع الآذان يتشاءم منه، ويدعو على المسلمين بالهلاك، ويصلب أمام وجهه[6].

واستغل المستعربون معرفتهم باللغة العربية، فقاموا بترجمة القرآن لأغراض دنيئة، وكان بتروس Petrus المشرف على دير كلونيCluny أول من ترجم القرآن الكريم ليدشن حملة ضد الإسلام، ثم تبعه فيها كتاب مسيحيون آخرون[7]، ولإنجاح هذه هذه الحملة، شجع رجال الكنيسة تعلم اللغة العربية، وساهم ذلك في تخريج دفعات من المستعربين تم استعمالهم كذلك في حملات التنصير وتشويه الإسلام[8].

1- مائدة القرابين هي المائدة التي توجد داخل الكنيسة، يوضع عليها الخبز والخمر، وتقرأ عندها الصلوات ليحولا إلى جسم ودم المسيح عليه السلام، ثم ليقدما إلى المسيحيين في المناسبات الخاصة-MEMO Larousse –librairie Larousse - 1990 - p 320.

2 - Emmanuel Filhol – op cit – p234.

3 - Ibid – p 235.

4 - Jean Flori – En marge de l'idée de guerre sainte : l'image des musulmans dans la mentalité populaire en occident (XI –XII eme siècle)- l'occident musulman et l'occident chrétien au moyen age – p 214.

5 - Duffourcq – op cit – p 83.

6 - Ibid – p 92.

7 - Brahim Harakat – op .cit– p 202.

8 - Ibid – p 205.

كما قاموا بترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية أو القشتالية، ونسبوا بعضها إلى رجال الدين المسيحيين، لذلك نبه المحتسبون إلى ذلك، ونصحوا المسلمين بعدم ابتياع كتب العلوم من اليهود والنصارى، إلا ما كان من شريعتهم[1].

يتضح مما سبق، أنه رغم المكانة التي حظي بها المستعربون لدى الحكام المسلمين، والامتيازات التي تمتعوا بها، إلا أن عددا هاما منهم أشهر عداءه لكل ما كان يمت إلى الإسلام في الأندلس، وعبروا عن رغبتهم في الانتقام من الإسلام والمسلمين، مستعملين عدة وسائل، منها المشاركة في الثورات، والتواطؤ مع مسيحيي الشمال، والسب العلني للإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام.

وخير دليل على ما نقول، معاملة المسيحيين السيئة لمسلمي المدن التي سيطروا عليها، في إطار ما سموه بحروب الاسترداد، إذ حولوا الساجد إلى كنائس، كما حدث في طليطلة، وأجبروا المسلمين على التنصر، ونكلوا بالمسلمين، وصولا إلى حد إحراقهم، كما فعل السيد الكمبيطور بابن جحاف بعد سيطرته على بلنسية سنة 486هـ/1093م، وارتكبوا مجازر رهيبة في حقهم، وطردوهم نهائيا من الأندلس، ثم لاحقوهم إلى العدوة المغربية، الأمر الذي يؤكد الحقد الدفين لمسيحيي شبه جزيرة إيبيريا، على الإسلام والمسلمين.

1- ابن عبدون وآخرون- ثلاث رسائل في الحسبة– ص57.

الـخـاتـمـة

الخاتمة:

المستعربون إذا هم سكان الأندلس الذين ظلوا على ديانتهم المسيحية بعد الفتح الإسلامي رغم استعرابهم لسانا وزيا.

ظهرت هذه التسمية أولا في الوثائق المسيحية اللاتينية التي يعود تاريخها إلى ما بعد سقوط طليطلة في يد ألفونسو السادس سنة 478هـ/1085م، ولم نصادفها أو

نعثر على إشارة إليها في المصادر العربية، مما دفعنا إلى الاعتقاد بأنها كانت متداولة في المناطق المسيحية الشمالية التي كان يفد إليها نصارى الأندلس المستعربين بهدف تمييز هؤلاء عن نصارى هذه المنطقة.

وقد توصلنا بعد مقابلة النصوص إلى أن الاستعراب الرسمي لنصارى الأندلس تم في عهد الأمير هشام الرضا الذي سمح لهم باستعمال اللغة العربية في الكنائس والأديرة لأداء طقوسهم الدينية بعد تخلي المسيحيين عن اللاتينية وعزوفهم عنها نحو اللغة العربية لعدة أسباب أثبتناها في المتن.

وبعد خضوع الأندلس لعبد الرحمن الداخل، ولأحفاده من بعده، توافد عليها أعداد من المسيحيين من داخل شبه جزيرة إيبيريا وخارجها، واستقروا بها، وبخاصة في قرطبة وطليطلة وإشبيلية وماردة لما كان لهذه المدن من أهمية تاريخية، ولما كانت تحويه من معابد مسيحية.

ومما تميز به النصارى المستعربون في الأندلس عن المسلمين واليهود أعيادهم العديدة التي كانوا يحتفلون بها، منها ما هو عام يشترك فيه كل المسيحيين الكاثوليك، ومنها ما كان خاصا بالأندلس أو بناحية منها. ومما تجدر الإشارة إليه أن المسلمين عامتهم وخاصة عدا الفقهاء كانوا يشاركون المستعربين في أعيادهم.

أما فيما يتعلق بعلاقتهم بالمسلمين فيجب التأكيد على المكانة الحسنة التي حظي بها هؤلاء في المجتمع الأندلسي، إذ بمجرد نزول الفاتحين المسلمين بأرض الأندلس بدأوا يختلطون بسكانها، ونتيجة لذلك تعددت الزيجات المختلطة بين المسلمين والنصرانيات سواء على مستوى طبقة الخاصة أو العامة، وتواصلت هذه الظاهرة إلى وقت متأخر من تاريخ الأندلس، مما سمح بانصهار النصارى اجتماعيا وسياسيا في المجتمع الأندلسي، وبخاصة في عهد عبد الرحمن الناصر، كما احترم المسلمون ملكيات الأهالي من كنائس وأراضي زراعية وأموال ومنازل، وتركوا لهم حرية التصرف فيها.

وتجب الإشارة إلى أن الحكام المسلمين في الأندلس فتحوا كل المجالات أمام المستعربين؛ فلم يقصوهم أو يهمشوهم، ولم يضطهدوهم، إلا أن دورهم في المجتمع

الأندلسي، وبخاصة في الجانب الثقافي كان ضعيفا باهتا لا يكاد يذكر، وهذا مما يفسر قلة الإشارات إليهم في المصادر العربية.

ورغم المكانة التي نعم بها هؤلاء المستعربون في الأندلس، إلا أن مجموعة غير قليلة منهم أصرت على حمل كل مشاعر الحقد والكراهية تجاه المسلمين؛ فقد قاموا بثورات، وشاركوا في البعض منها، وسعوا إلى التآمر مع مسيحيي الشمال ضد المسلمين، وتشويه صورتهم، وتوجيه الشتائم لهم وللنبي صلى الله عليه وسلم، والعمل على نشر عادات قبيحة في أوساط المسلمين.

هذا الدور السلبي الذي لعبه المستعربون هو الذي يتوقف عنده المؤرخون الإسبان مثل سيموني وإيزيدرو دي لاس كاجيغاس ويمجدوه، ويثنوا على المستعربين الذي قاموا به، بينما يمر عليه المؤرخون العرب المحدثون، ويقتصرون في حديثهم عن هذه الطائفة عند تعايشها مع المسلمين والحقوق التي تمتعت بها.

لذا أصبح من الواجب على المؤرخين العرب، وبخاصة، منهم المسلمين، حشد الهمم وتقوية العزائم، للرد على المؤرخين الغربيين المتعصبين على الإسلام، الناكرين لفضل المسلمين على الحضارة الإنسانية عموما، والحضارة الأوروبية خصوصا.

الـمـلاحـق

الملحق رقم01

بسم الله الرحمن الرحيم.

كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن عبدوش انه نزل على الصلح، وأن له عهد الله وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم، الا يقدم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخذ ولا ينزعن ملكه، وأنهم لا يقتلون ولا يسبون ولا يفرق بينهم وبين أولادهم ولا نسائهم ولا يكرهوا على دينهم، ولا تحرق كنائسهم، ولا ينزع عن ملكه ما تعبد ونصح وأدى الذي اشترطنا عليه وأنه صالح على سبع مدائن: أوريوله وبلنتله

ولقنت وموله وبقسره وأيه ولورقة، وأنه لا يؤوي لنا آبقاء ولا يؤوي لنا عدوا، ولا يخيف لنا آمنا، ولا يكتم خبر عدو علمه وأن عليه وعلى أصحابه دينارا كل سنة، وأربعة أمداد قمح وأربعة أمداد شعير وأربعة أقساط طلاء وأربعة أقساط خل وقسطي عسل وقسطي زيت، وعلى العبد نصف ذلك، شهد على ذلك عثمان بن أبي عبده القرشي وحبيب بن أبي عبيده وعبد الله بن ميسرة الفهري، وأبو القاسم الهذلي، وكتب في أربع رجب سنة أربع وتسعين من الهجرة[1].

الملحق رقم 02

"لقد سمعنا رواية أعضاء وفدكم وما تعانونه من جراء قسوة الملك عبد الرحمن الذي بلغ به الجشع إلى درجة انتزاع أموالكم منكم وما أصابكم به من غم وكدر كما سبق أن فعل بكم والده أبو العاصي الذي قام بزيادة الضرائب عليكم وهي ضرائب غير مستغلة وطالبكم بتسديدها بالقوة وحولكم من أصدقاء إلى أعداء ومن رعايا مطيعين إلى متمردين محاولا بذلك سلبكم حريتكم من خلال ضرائب جائزة وغير معهودة من قبل لكنكم حسبما سمعنا قاومتم ذلك بشجاعة كرجال أشداء ووقفتم ضد ظلم الملوك الطغاة وضد جشعهم الجديد وأنتم تواصلون الصمود حتى اللحظة الراهنة وهذا طبقا لما عرفناه من روايات كثيرة ولهذا رأينا أن نوجه إليكم هذه الرسالة لتكون لكم سلوى ولحضكم على مواصلة الصمود في الدفاع_عن حريتكم في مواجهة ملك

1- الضبي- بغية الملتمس- ص 235.

ظالم ووقوفكم مقاومين غضبه وحنقه ولم يكن عدوكم أنتم فقط بل عدونا أيضا لهذا علينا أن نحارب طغيانه صفا واحدا وقد قررنا بعون الله أن نرسل بجيشنا في الصيف القادم إلى الثغر التابع لنا وسوف يرابط هناك منتظرا أوامرنا التي نختار فيها وقت بداية الزحف وعبور الحدود ليكون عونا لكم إذا ما رأيتم ذلك للوقوف في وجه العدو المتواجد الذي يتواجد في ثغرنا وفي حالة ما أذا قرر عبد الرحمن القيام بهجوم عليكم فإن تواجد جيشنا بالقرب من الحدود سوف يمنعه من القيام بما يريد كما نريد إبلاغكم أنكم ما إذا أردتم الهجرة والقدوم إلينا سوف نعمل على أن تتمتعوا بما كان لكم من حريات في السابق ولا نقصان في ذلك كما لن نفرض عليكم أية ضرائب وما نهدف إليه هو أن تعيشوا في ظل قوانين تختارونها ولن نعاملكم إلا على أنكم أصدقاء وشركاء انضموا إلينا بشرف للدفاع عن مملكتنا ونتمنى من الله أن يحفظكم ويرعاكم"[1].

الفهارس

1- ليفي بروفنسال- تاريخ إسبانيا الإسلامية، من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية 711هـ-1031م، ترجمه إلى الإسبانية إميليو جارثيا جومث، ترجمه إلى العربية علي عبد الرؤوف البمبي وعلي إبراهيم منوفي والسيد عبد الظاهر عبد الله، مراجعة صلاح فضل- المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة- ط2- 2000- صص 189 - 190.

فهرس المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: كتب الحديث الشريف:

1-البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت256هـ/870م): صحيح البخاري أو الجامع الصحيح، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1، 1423هـ/2002م.

2- ابن أنس أبو عبد الله مالك(ت 179هـ/ 795م): الموطأ، قدم له وراجعه ونسقه فاروق سعدون، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1401هـ/ 1981م.

3- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني(ت 275هـ/ 889م): سنن أبي داود، راجعه على عدة نسخ وضبط أحاديثه وعلق عليه محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

ثالثا: المصادر:

4- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت 658هـ/1260م) التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م.

5- ابن الأبار: الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م.

6- ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني(ت 630هـ/1232م): الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ/1995م.

7- ابن الأحمر إسماعيل (ت 807هـ/1405م): بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، .1972

8- الإدريسي، الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 558هـ/1161م): القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

9- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي (ت 668هـ/1269م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، .1965

10- البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي(ت 841هـ/1438م): جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002م.

11- ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني (ت 542هـ/ 1148م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000.
12- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578هـ/1183م): كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، قدم له وضبطه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1423هـ/ 2003م.
13- البكري، عبد الله بن عبد العزيز أبو عبيد البكري الأندلسي (ت 487هـ/1094): معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ/1983م.
14- ابن بلقين، عبد الله بن بلقين بن باديس (ت بعد 488هـ/1095م): كتاب التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، الرباط، 1995م.
15- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، أبو العباس، تقي الدين(ت 728هـ/1328م): مجموع الفتاوى، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1418هـ/1997.
16- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت 255هـ/869م): البيان والتبين، تحقيق المحامي فوزي عطوة، دار صعب، بيروت، ط1، 1968.
17- الجاحظ: المختار في الرد على النصارى، تحقيق ودراسة محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، ومكتبة الزهراء، جامعة القاهرة، ط1، 1411هـ/1991م.
18- ابن جبير، محمد بن أحمد أبو الحسن (ت 614هـ/1271م): رحلة ابن جبير، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1988م.
19- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد الكناني (ت 852هـ/ 1449م): الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت،ط1، 1412هـ/ 1992م.
20- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم القرطبي الأندلسي(ت 456هـ/ 1063م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1402هـ/1982م.
21- ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، اعتنى به وقدم له عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1423هـ/ 2003م.
22- ابن حزم: الفصل في الأهواء والملل والنحل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.
23- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي(ت 488هـ/ 1095م): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/ 1997.
24- الحميري، مجمد بن عبد المنعم(ت 726هـ/ 1326م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1980.
25- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت 469هـ/1079م): السفر الثاني من كتاب المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، د.ت.

26- ابن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1393هـ/1973.
27- ابن حيان: المقتبس في تأريخ رجال الأندلس، نشره الأب ملشور م. أنطونية، بولس كتنر الكتبي، باريس، 1937م.
28- ابن حيان: المقتبس (الجزء الخامس)، نشره ب. شالميتا، ف. كورنطي، م. صبح، المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979م.
29- ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965م.
30- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي(ت 529هـ/ 1135م)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.
31- الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني الأندلسي (ت 361هـ/971م): قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981م.
32- ابن الخطيب، لسان الدين بن محمد السلماني (ت 776هـ/1374م): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.
33- ابن الخطيب: تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق إ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956م.
34- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن محمد المغربي (ت 808هـ/1406م): العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ/1992م.
35- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ/ 1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968م.
36- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت 748هـ/ 1347م): سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1413هـ/ 1993م.
37- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد الجد (ت 520هـ/1126م): فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق المختار الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م.
38- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد الحفيد (ت 595هـ/1198م): بداية المجتهد ونهاية المقتصد، نقحه وصححه خالد العطار، دار الفكر، بيروت، ط2، 1415هـ/1995م.
39- الزجالي، أبو يحيى عبيد الله بن أحمد القرطبي(ت 694هـ/ 1294م): أمثال العوام في الأندلس، تحقيق وشرح ومقارنة محمد بن شريفة، القسم الثاني، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم، د. ت.

40- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي (ت 683هـ/ 1284م): المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1955م.
41- السلفي، أبو طاهر أحمد بن محمد بن سلفة (ت 576هـ/1180م): أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1963م.
42- ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني (ت 486هـ/1093م): ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تحقيق يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ/2007م.
43- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ/1153م): الملل والنحل، تحقيق أبي محمد محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت.
44- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، جلال الدين (ت 911هـ/1505م): تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1371هـ/1952م.
45- الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أجمد بن عميرة (ت 599هـ/ 1202م): بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.
46- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري (ت 530هـ/1135م): الحوادث والبدع، إشراف لجنة التحقيق بدار الفتح، الشارقة، 1415هـ/ 1995م.
47- ابن عبدون، محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي، وآخرون: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، نشرها ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.
48- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (ت بعد سنة 712هـ/1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب:
* ج1 وج2 وج3: تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1400هـ/1980م.
* ج4: تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983.
49- العذري، أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائي (ت 478هـ/1085م): نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965م.
50- عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ/1149م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م.
51- ابن فرحون، الإمام القاضي إبراهيم بن نورالدين (ت 799هـ/1396م): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م.

52- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي (ت 403هـ/1012م): تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.
53- القرطبي، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري (ت 671هـ/ 1272م): الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، 1398هـ/1978م.
54- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت 821هـ/1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الفكر، دمشق، ط1، 1987م.
55- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر الإشبيلي (ت 367هـ/977م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق وتقديم إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1402هـ/1982م.
56- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت 751هـ/ 1350م): أحكام أهل الذمة، تحقيق يوسف أحمد البكري وشاكر توفيق العاروري، رمادي للنشر، الدمام، ودار ابن حزم، بيروت، ط1، 1418هـ/1997م.
57- مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.
58- مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م.
59- مجهول: فتح الأندلس في عهد موسى بن نصير، تحقيق حساني مختار، منشورات دحلب، الجزائر، د.ت.
60- المسعودي، علي بن الحسين بن علي أبو الحسن (ت 346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ/1989م.
61- المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن علي محي الدين التميمي (ت بعد سنة 621هـ/1224م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الإستقامة، القاهرة، ط1، 1368هـ/1949م.
62- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 380هـ/ 990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
63- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1632م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997م.
64- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الإفريقي (ت 711هـ/1311م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت.

65- النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي (ت نهاية القرن 8هـ/ 14م): تاريخ قضاة الأندلس المسمى "المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.
66- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد (ت 914هـ/1508): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م.
67- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت 626هـ/ 1228م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت.
68- يحيى بن عمر، أبو زكريا الكناني (ت 289هـ/901م): أحكام السوق، تحقيق محمود علي مكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد الرابع، العدد 1و2، 1375هـ/1956م.

رابعا: المراجع العربية:
69- بالنثيا، أنخيل جنثالت: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م.
70- بوتشيش، إبراهيم القادري: أثر الإقطاع في التاريخ الأندلسي السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري من ظهور الخلافة (250-316هـ)، منشورات عكاظ، الرباط، 1992م.
71- بويكا. ك: المصادر التاريخية العربية في الأندلس، نقله إلى العربية نايف أبو كرم، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط 1، 1999.
72- خالص صالح: اشبيلية في القرن الخامس الهجري، دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد في إشبيلية وتطور الحياة الأدبية فيها، دار الثقافة، بيروت، 1965م.
73- دوزي رينهارت: تاريخ مسلمي إسبانيا، ترجمة حسين حبشي، مراجعة جمال محرز ومختار العبادي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، دار المعارف، القاهرة، 1963م.
74- الريس محمد ضياء الدين: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار الأنصار، القاهرة، د. ت.
75- رينو جوزيف: الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي، ترجمة إسماعيل العربي، دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1، 1984.
76- الزركلي خير الدين: الأعلام، قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م.
77- الشكعة مصطفى: المغرب والأندلس: آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م.
78- طه عبد الواحد ذنون: دراسات أندلسية، مكتبة بسام، الموصل، ط1، 1986م.

79- طويل مريم قاسم: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر 403- 483هـ/ 1012-1090م، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414هـ/1994م.
80- ضيف شوقي:ابن زيدون، دار المعارف، مصر، ط7، د.ت.
81- العبادي أحمد مختار: في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية بيروت، 1972م.
82- عباس إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1960م.
83- ابن عبود امحمد: جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، جمعية تطوان أسمير، مطابع الشويخ، تطوان. ط 2، 1999م.
84- غيداء خزنة كابتي: الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري، الممارسات والنظرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، سلسلة أطروحات الدكتوراه، ط2، ديسمبر 1997م.
85- كونستبل أوليفيا ريمي: التجارة والتجار في الأندلس، ترجمة فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 1423هـ/2002م.
86- ليفي بروفنسال إيفاريست: تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمه إلى الإسبانية إميليو جارثيا جومث، ترجمه إلى العربية علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، طبع بالهيئة العامة لشؤون، المطابع الأميرية، جدة، 2000م.
87- محمد رواس قلعة جي وحامد صادق قنيبي: معجم لغة الفقهاء، عربي- انجليزي، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1408هـ/1998م.
88- أبو مصطفى كمال السيد: تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي، 95-495هـ/714-1102م، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، د.ت.
89- مؤنس حسين: فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، 1405هـ/1985م.
90- مؤنس حسين: موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1، 1416هـ/1996م.
91- مورينو، مانويل جوميث: الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة لطفي عبد البديع، والسيد محمد عبد العزيز سالم، مراجعة جمال محمد محرز، الدار المغربية للتأليف والترجمة، الدار البيضاء، د. ت.
92- هونكة زيغريد: شمس العرب تسطع على الغرب، تعريب فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1401هـ/1981م.

خامسا: المقــالات العربيــة:

93- أحمد علي: "المؤثرات الحضارية العربية الأندلسية والمغربية في الغرب الأروبي وكيفية انتقالها خلال العصور الوسطى" الغرب الإسلامي والغرب المسيحي، تنسيق محمد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995، صص 211–232.

94- بالباس، ليوبولدو توريس: "الأبنية الإسبانية الإسلامية" تعريب علية إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، العدد الأول، السنة الأولى 1372هـ/1953م، صص 97-.150
95- بيدال، رامون مننDث: "إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام"، تعريب لطفي عبد البديع، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، العدد 1، السنة الأولى، 1372هـ/1953م، صص 1–.24
96- جاد الرب ، عبد القادر عثمان محمد: "المستعربون في عصر ملوك الطوائف بالأندلس 403-486هـ/1012-1093م"، مجلة التاريخ العربي، الرباط، المملكة المغربية، 1424هـ/2003م، العدد25، صص 249-274.
97- دندش، عصمت: "علاقة الأندلس بمملكة قشتالة من خلال الأقليات (أهل الذمة) إلى القرن السابع الهجري"، الغرب الإسلامي والغرب المسيحي، تنسيق محمد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995، صص 101–116.
98- دي إيبالزا، ميكيل: "المستعربون أقلية مهمة في الأندلس الإسلامية"، ترجمة يعقوب دواني، الحضارة العربية في الأندلس، جمع سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1999، ج1، صص 233-.265
99- سالم، سحر السيد عبد العزيز: "الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس (دراسة سياسية أدبية واجتماعية)"، الغرب الإسلامي والغرب المسيحي، تنسيق محمد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995، صص 33–.79
100- شحلان أحمد: "صور من اللقاء العلمي بين المسلمين وأهل الذمة في الأندلس"، مجلة التاريخ العربي، العدد 20، سنة 1422هـ/2001، صص 93– .98
101- بن شريفة، محمد: "الجذور التاريخية للإستعراب الإسباني"، المغرب في الدراسات الإستشراقية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، شوال 1413هـ/أبريل 1993م، صص.
102- بن عبد الله، عبد العزيز: "العربية لغة العلم والحضارة"، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد الخامس، العدد 1و2، 1377هـ/ 1957م، صص 255–.262
103- عزوزي، حسن: "التجربة الأندلسية في دراسات المستشرقين"، مجلة كلية الشريعة، جامعة القرويين، المملكة المغربية، العدد 20، 1995م، صص319-.359
104- غوميز، مارغريتا لوبيز: "المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس"، ترجمة أكرم ذا النون، الحضارة العربية في الأندلس، جمع سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1999، صص 267-.283
105- فيرناندو إكناثيو: "اللغة العربية في طليطلة بعد الفتح النصراني ووثائق المستعربين" مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد الثلاثون، 1998م، صص 161–.170

106- القاضي، محمد: "الإستعراب الإسباني والتراث الأندلسي، من خلال ثلاث نماذج: خوان أندريس-غاينغوس- ريبيرا"، مجلة التاريخ العربي، العدد 20، 1422هـ/2001م، صص 93-.109.
107- كوننسفيلد، شورد فان: "المصادر العربية المسيحية في إسبانيا خلال العصور الوسطى"، مجلة كلية الآداب، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، العدد 8، 1997م، صص 293-.321.
108- ليفي بروفنسال إيفاريست: "نص جديد عن فتح العرب للمغرب"، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد- المجلد الثاني، العدد 1و2- 1373هـ/1954م، صص 193–.239.
109- مكي، محمود علي: "قراءة جديدة لوثائق مستعربي طليطلة"، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد 55، العدد3، جويلية 1995م، صص 1-.28.
110- مؤنس حسين: "الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس من البداية إلى الحجاري"، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان 7و8، 1959 –1960م، صص 199–359.
111- مؤنس حسين: "الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس– الشريف الإدريسي قمة الجغرافيا عند المسلمين– صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد – المجلدان 9 و10 – مدريد 1961 – 1962.

سادسا: المــراجع الأجنبيــة :

112-- Cagigas, Isidro de la : Los Mozarabes, Instituto de Estudios Africanos, tomo I, Madrid, 1947.
113-- Cagigas, Isidro de las: Los Mozarabes, Instituto de Estudios Africanos, tomo II, Madrid, 1948.
114-- Duffourcq, Charles Emmanuel: La Vie Quotidienne dans l'Europe Médiévale Sous Domination Arabe, 1ere édition, Hachette, 1978.
115-- Guichard Pierre : AL-Andalus, 711-1492, Hachette littérature, 2000.
116-- Guichard Pierre : Structures Sociales Orientales et Occidentales dans l'Espagne Musulmane, édition Mouton, Paris La haye, 1977.
117-- Lebon Gustave :La Civilisation des Arabes, S.N.E.D, Algérie, 1969.
118-- Lévy Provençal, Evariste :L'Espagne Musulmane au Xème Siècle, édition Larose, Paris, 1932.
119-- Lévy Provençal, Evariste : Histoire de l'Espagne Musulmane, édition Maisonneuve et Larose, Paris, 2eme édition, 1999.
120-- Picard Christophe: Le Portugal Musulman (VIII-XIII siècle) l'Occident d'Al Andalus sous domination islamique, Maisonneuve et Larose, Paris, 2000.

121-- Simonet, Francisco Javier: Historia de los Mozarabes de España, Oriental Press, Amsterdam, 1967.
122-- Le Petit Larousse Illustre, 100eme édition, 2005, Larousse, Paris.
123-- MEMO Larousse, librairie Larousse, Paris, 1990.

سـابعا: المـقالات الأجنبيـة :

124-- Dunlop, D. M: «A chistran mission to Muslims Spain» in Al Andalus – 1952 – fasc. 2 – pp 287-310.
125-- Epalza, Mikel de :« monde musulman et de la meditérannée, traduction française d'André Bazzana, N 63-64, Edisud, Aix en Provence, France, 1992, pp 39-47.Les mozarabes état de question» – in revue du
126-- Filhol Emmanuel: «L'image des sarrasins dans les textes chrétiens (de la chanson de Roland a la chronique du Pseudo Turpin),» in l'occident musulman et l'occident chrétien au moyen age - coordonné par Mohamed Hammam, publication de la faculté des lettres, Rabat, 1ere édition, 1995, pp 223-239.
127-- Flori Jean: «En marge de l'idée de guerre sainte : l'image des musulmans dans la mentalité populaire en occident (XI-XII eme siècle).» in l'occident musulman et l'occident chrétien au moyen age, coordonne par Mohammed Hammam, publication de la faculté des lettres, Rabat, 1ere édition, 1995, pp 209-221.
128-- Guichard Pierre: «les arabes ont bien envahi l'Espagne » in annales économiques et sociétés – année 79 – n^{o} 06 –1974– PP. 1486/1502.
129-- Guichard Pierre: «les mozarabes de valence et d'Al Andalus entre l'histoire et le mythe,» in revue de l'occident musulman et de la meditérannée – N40, 1985 – pp17-27.
130- Guillou. A: «Trois monnaies Latino Arabes de la collection de Jacques de Morgan » in Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos en Madrid, numero primero, año primero, 1953/ 1372, pp 59-65.
131-Harakat Brahim: «la communauté chrétienne et celles d'origines chrétienne en Espagne musulmane vues par les sources arabes» in l'occident musulmane et l'occident chrétien au moyen âge, coordonne par Mohammed Hammam, publication de la faculté des lettres, Rabat, 1ere édition, 1995, pp 197-207.
132-Lévy Provençal, Evariste: «Alphonse VI et la prise de Tolède 1085 » in Hesperis, tome XII, 1931 – librairie Larose – paris – p36-37.

133-- Molenat, Jean Pierre: «les mozarabes un exemple d'intégration dans Tolède XII-XIII siècle» in série mémoires, N 5, édition autrement, paris, 1991.
134-- Molenat, Jean Pierre: «permanence de l'influence de la civilisation arabo-islamique dans la péninsule ibérique reconquise (XIème siècle) notamment a travers les minorités transculturelles (mozarabes et mudéjares), le cas tolédan et les autres» in l'occident musulman et l'occident chrétien au moyen âge– coordonné par Mohamed Hammam– publié par la faculté des lettres, Rabat –1ere édition 1995, pp 269-282.
135-- Vallicrosa, José Maria Millas : «El Quehacer astronomico de la España arabe» – in Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos– numero especial, volum V , fasc. 1y 2, Madrid, 1957 – pp.

فهرس محتويات المذكرة